



32101 074320738

P_n

التعابير القرآنية والبيئة العربية
في مشاهد القيامة

al-Saffār, Ibtisām Maḥmūd

al-Ta'ābir al-Qur'āniyyah

التعابير القرآنية والبيئة العربية فمِسْأَلَةُ الْقِيَامَةِ

تأليف
إبتسام مَهْمُونُ الصَّفَارِ

2274
7958
389

الطبعة الاولى

مطبعة الادب في القاهرة

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لقد كان القرآن الكريم - معجزة الرسول العربي الدينية - حدثا عظيما في حياة العرب احدث انقلابا في حياتهم السياسية والفكرية والادبية ذلك لان اللغة العربية كانت في أوج ازدهارها ، وتقدمها فجاء القرآن الكريم في بلاغته وبيانه ممثلا لها . واثار اسلوبه البياني دهشة العرب فسرعان ما آمنت به نفوس بعضهم ، واطمأنت لما فيه من احكام وتعاليم ، وضات الاخرى عن الهدى ولكن الاسلوب القرآني خلب الياها ، واثار دهشتها فقالت (ان هذا الاسحر يؤثر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٤ وأراد الله سبحانه وتعالى ان يثبت نبوة محمد (ص) فلم يختر الا الاسلوب القرآني يتحدى به العرب ان يأتوا بسورة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاقفوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) سورة البقرة ٢ : ٢٣ - ٢٤ . واجتمع جبايرة قريش وفتاحلها ولكن بغير جدوى لان الايات الكريمة تسير باسلوب خاص يسحر الالباب وقصة ايمان عمر بن الخطاب لمجرد سماعه آيات من الذكر الحكيم مشهورة نذكرنا بالتأثير العظيم الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس سامعيه مسلمين ومشركين . ومن هنا أكد القرآن الكريم ضرورة سماع المشركين للايات الكريمة لانهم ان سمعوها لا بد ان يتأثروا باسلوبها الرائع (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) سورة

التوبة ٩ : ٦ . ولنا ان نقسام هل يستطيع القارىء العربى في هذا العصر ان يفهم الايات الكريمة كما فهمها العرب ايام نزولها ؟ مما لاشك فيه ان القرآن الكريم خالد معجز بروعة اسلوبه ، وجماله اليبائى الا ان القارىء العربى اليوم يقرأ الايات الكريمة فيعجب بها ، ويفهم المعنى العام الذي توجيه حتى اذا تعمق في فهم الايات الكريمة وجد فيها معانٍ لم يفهمها من قبل ، وروعة لابلحقها اسلوب آخر فيتأمله باعجاب لا يستطيع معه إلا أن يقر الاقدمين على اعجازه وروعته .

ان فهم القرآن بدراسة دلالة الفاظه تقرّبنا من الصورة التي فهمها العرب ، ذلك لان الله سبحانه وتعالى انزل القرآن بلغة العرب ، واساليبهم الكلامية . ومن هنا نفيذنا دراسة دلالة التعابير القرآنية على فهم الاعجاز الذي رسمه الآيات الكريمة المختلفة . وهي دراسة نفتقر اليها المكتبة العربية - خاصة الحديثة - التي صبت أكثر اهتمامها على الادب والشعر ناسية القرآن الذي يمثل روعة العربية في سحرها وبيانها .

ودراسة البيئة امر مفيد ، لان لها اهمية عظيمة في توجيه تفكير الانسان وتطوير لغته ذلك لان الانسان ابن بيئته فيها يعيش ، وعليها تنمو لغته واساليبه في الحياة . ومع ان الاقدمين لم يولوا دراسة البيئة اهمية كبيرة الا اننا لانعدم اشارات لطيفة اوردها الجاحظ مبيّنا اهمية البيئة في خلق الانسان وعاداته ، وتبعه في هذا آخرون كابن رسته والقزويني وابن خلدون وغيرهم ممن نهج منهج الجاحظ ، الا أن هذه كلها كانت اشارات تعطينا بداية لمثل هذا البحث الطريف .

اما دراسة التعابير القرآنية على ضوء البيئة العربية فمناهج نفتقر اليه الدراسات القرآنية ايضا ، ذلك لان المفسرين اتجهوا كل الى وجهة خاصة في تفسير القرآن الكريم فمنهم من اولى غريب القرآن اهتمامه كأبي عبيدة

والسجستاني ، وابن قتيبة ، ومنهم من شات تفسيره اخبار أهل الكتاب وما يسمى بالاسرائيليات كعقائل بن سليمان مثلاً ، ومنهم من صب اهتمامه على الماحية الفقهية والمذهبية كالتستري ، وهرات الكوفي مثلاً ومنهم من اعتمد على نقل الروايات في التفسير كالطبري والطوسي . واخيراً هناك من وجه اهتمامه لبدائع عن فكرة الترمها كالزحشري في تفسيره حين ضمنه تأكيده على مذهب الاعتزال الى جانب اهتمامه بالاسلوب البياني حين حاول ان يبين اوحه الخجاز الذي استعملت فيه الكلمة ثم ما يعكسه هذا الخجاز في بعض الاحيان من دلالة على البيئة والدوق العري كما ستراه في بحثه عن الرقة .

أما المعاجم اللغوية فقد رثيت فيها الالفاظ ثرتياً ابجدياً ، واهمها فيها التدرج التاريخي لتطور دلالة الكلمة . ومن هنا كان بحثي قياساً الى تفسير الاقدمين دراسة جديدة لفهم التعابير القرآنية ودلالة الالفاظ . إلا ان هذا لا يعنى انعدام الاشارة الى هذا المنهج عند الاقدمين فقد حاول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ان يضع اصلاً واحداً او اصدين لكل كلمة تدور حوله جميع مشتقاتها مع تطور معانيها ، إلا انه يختلف عن منهجنا في هذه الرسالة في انه يصع الاستعمال المعنوي للكلمة اصلاً لها فيتعد بذلك عن البيئة التي يشترط ان تبدأ فيها دلالة الالفاظ الحسية ومنها تتطور الى المجازية والمعنوية . كما نجد في كتاب الزينة للرازي محاولة جديدة في هذا الباب لدراسة الالفاظ الاسلامية ، وتنتج معانيها الاصلية إلا انه ما ان يسير شوطاً على هذا المنهج حتى ينحو في بحثه بهج معاصريه فيتحول بحثه الى دراسة عن الفرق ، والمذاهب الاسلامية مبتعداً عن المنهج الذي سار عليه في اول كتابه . ونجد مثل هذا بصورة اوضح عند الشريف الرضي في شرحه لمجازات القرآن الكريم والحديث النبوي ، والشريف المرتضى في اداليه حين بين اوجه المجاز وعاد بنا الى الاصل الحسي لبعض المخارات ،

ولكنها أيضاً إشارات محدودة ، وليست منهجاً معيناً بذاته .

كل هذه الطرف التي وجدناها عند الاقدمين أقتت صوفاً كاشفاً رسم
لي معالم هذا البحث واحد يمدى لاسير في حضم التعبير لقرآنية ، وما
توجيه من الصور الرائعة العديدة . وقد وجدت في دراسة بعض المحدثين
عون لي في هذا البحث كان اولها محاضرات النقد الادبي التي القاها علينا
استاذي الدكتور جميل سعيد ولتي وجهها وبها الى دراسة البيئة واندوق العرف
قبل دراسة النص الادبي مما اعادني على سوق النصوص لادبية وفهمها فيها
ببانيا . ثم محاضرات فقه اللغة التي وجهها وبها الاستاذ الدكتور ابراهيم
السامرائي لدراسة النمطة دراسة موضوعية ترتب فيها معانيها ترتيباً تاريخياً
ابتداء من اصولها الحسية الى التخورية وفي الجمع بين هذين التوجيهين بدأ
اعجابي بمثل هذه الدراسة القيمة . ثم كانت محاضرات السنة التحضيرية
(البيئة لصحراوية وأثرها في الادب الجاهلي) لاساذي الدكتور جميل سعيد
عائمة جديدة لبحث تطبيقي لاهمية البيئة على الادب واللغة بصورة عامة
كان يؤكد لنا فيها ضرورة تطبيق هذا المنهج على نص القرآن الكريم
مما وجهني الى كتابة بحث صغير في موضوع الحنة والبار فتح امامي ابوابا
وسعة لهذا البحث الطريف وعائق نفسي بدراسة القرآن الكريم . ومن هنا
كانت فكرة الرسالة وتوسيع ذلك البحث الصغير الى بحث دقيق موجه .
وما دراسة القرآن الكريم على صوء السنة العربية كأول ما وجدته في
مقار قيم نشرته مجلة الهيئة المصرية بعوان البيئة العربية في القرآن الكريم
للاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي عرض فيه صوراً رائعة من البيئة العربية
متجنية في مشاهد عديدة من القرآن الكريم مما القى صوفاً جديداً على منهجي
في هذا البحث . ومن كتبوا في هذا الموضوع الدكتور بقت الشاطيء في
كتابها (التفسير لبياني للقرآن الكريم) الذي حاولت فيه دراسة الاسلوب

القرآني غايوحيه من صور بيديه متعدده في ذلك عن الشروح اللغوية واستطراد
المفسرين ومحتها هذا يختلف عن مهجي في الرسالة في انها اكدت مهم
المعاني المتعددة التي يوحىها لافظ على حين حاول ان اصيف الى هذا
دراسة البيئة العربية ، وازرار صورها ، وصدا من نصوص شعرية تجلي لها
موجيات التمايز القرآنية اكثر وأكثر . بصاف لي هذا ان كتابها مقدمة لتفسير
باني حصت ، بعض السور القصير دون غيرها من الآيات ولكنه بحث
قيم في توحيه دراسة القرآن الكريم دراسة بديعة . اما كتاب مشاهد القيامة
في القرآن الكريم لبيد قطب فانه يختلف تماماً عن مهجي في هذا البحث
الا انني استمدت من اسلوب الكاتب الرابع في عرض الآيات الكريمة عرضاً
ادبياً في كل صورة نخص يوم القيامة .

وقد حصصت مشاهد القيامة بهذه الدراسة لانها شكل لها سلسله من
المشاهد المتتابعة نبدأ من اللحظة الاولى التي يحدد فيها يوم القيامة الى الخلود
الابدي ، واجتلاقاً من هذه المفكرة كتب مهجي في تقسيم اصول الرسالة .
فكن فصل منها يمثل مشهداً كاملاً وعدد اخواب ، والصور لا يمكن ان
نقدمه على فصل آخر ذلك لان مجموع الفصول تمثل مجموع الاحداث التي
تجرى يوم القيامة هذه الاحداث متتابع وتشكل ما صوراً كاملة لمشاهد
القيامة .

فأول مشاهد القيامة نخذه في الفصل الاول . التعبير (بحث الناس من
النور) وقد صور عدة تعبير لسمتها الى ثلاثة مجاميع : الصور والماور
وتشكلات الصورة الاولى التي يكون التعبير فيها بواسطة آلة ينصح فيها . اما
مجموعة الثانية فيمثلها تعبير الداعي والمدعي اما المجموعة الثالثة فهي التي
تمثلها الزحرة والصيحة اللتان تصوران التعبير دونه يكون بواسطة صوت مفرع
دون تحديده بآلة او شخص . وقد حاولت نفع ايجاءات كل تعبير ، ثم

دلائلها بمجموعها على انغير المخرج الذي يدعى الناس من قبورهم
١٠ الفصل الثاني فيه تصوير للطواهر الكونية ، والاضطرابات التي
تحدث يوم القيامة وقد حاولت ان استشف من مجموع هذه الظواهر
الرهيبة بعض جوانب البيئة العربية ، وكيف ان العرب استطاعوا ان يتصوروا
اضطراب السموات والارض يوم القيامة كما عرفوه في بطنهم من طواهر
طبيعية ، رسمت صورها في ادمانهم .

وفي هذا الخضم المضطرب للسموات والارض بدأ صور اخرى تجدهم
في الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيامة ، حيث يعثرون من قبورهم
منزع نفوس الكافرين ويسرعون على غير هدى وقد شملهم اليأس ،
وذلك بمرسهم ١١ صورة المؤمنين فيها نساب يهدوهم ربيع غير مهابين
بالفرح الذي يشمل الكون كله .

وبعد ان تكتمل صور الاضطراب المنزع بدأ مشهد آخر وهو الذي
بحثته في الفصل الرابع : (انقصاء بين الناس) حيث يقف الناس امام
قصاء عاد سوي لا شوبه شائبة من الناطل وقد تمت الآيات الكريمه
وجود القيم الجاهلية التي سادت المجتمع العربي فاصاعت الحق ، فلا شعاعة
ولا فداء ، ولا اي وسيلة من الوسائل التي كان العرب يتحلصون بواسطتها
من العقاب . وقد صورت دفقة الحساب بصور حسنة وثيقة الصلة بالبيئة
العربية ، تلك التي عرفها العربي في الموارنة والمعاداة بين الاشياء المادية .
وكذا الامر في نتيجة الحساب وما يعكسه من صور البيئة العربية .

١٢ الفصل الخامس فيه يمثل المشهد الذي يتبع انقصاء حيث يعاقب
الخزروب . وقد صور بدة تعابير لها دلالتها ، لوثيقة الصلة بالبيئة العربية ،
وتنداعى فيها الانشاءات في كل تعبير برسم لها صورة النار ، او تسعيتها
اولهيا ، أو في صفة شراب اجل النار والعطش الدائم الذي يعالونه وما

ينقله من صور العطش المصي الذي عاياه العربي في الصحراء الشحيحة بالماء
وأخيراً الفصل السادس ، الثواب بالجنة ، وقسدت حاولت فيه أن
استشف بعض جوانب البيئة العربية . فالخضرة الدائمة ، والأشجار المتنوعة
يستشف منها صوراً رائعة تعكس لنا أهمية الخضرة المضافة الى نفس العربي
وأهمها الجنة ومياهها الوفيرة تعكس لنا أهمية الماء في البيئة الصحراوية
والصورة الحميمة التي يرسمها في الدهن العربي . ثم أهمية اللبن والعسل والحمر
وما تعكسه هذه الصور من ملامح البيئة العربية .

أما مراجعي فقد تنوعت تعدد المواضيع التي طرقتها في هذا البحث
فاضطررت الى مراجعة كتب الادب العامة استشف منها محات عن الدوق
العربي والبيئة العربية ثم التعمير القرآنية . وما يتعلق بالقرآن والعقيدة من
دراسات في هذا الباب والمعاجم العربية لأنتج فيها معاني الكلمة ودلالاتها
وحصن الكتب الجغرافية لأجد فيها ملامح البيئة العربية . وقد اعتمدت على
الدواوين الشعرية استشف منها صور البيئة العربية التي خلدها الشعراء وقد
حاولت أن أجد دسة للآيات ، ولكن ذلك آيأاً تمثل بها المفسرون أنفسهم
دون تسببها الى قائلها ، فهي بين امرين إما أنها كانت معروفة في زمانهم
فاستغنوا عن ذكر قائلها ، وإما أنها لشاعر مجهول تمثلوا بأشعاره فمضت
عن هذا المنهج ولم اكتف الشعر الجاهلي بل حاورته الى الاسلامي والاموي لأن
منهج الشعراء لم يتبدل إلا قليلاً ثم اني وجدت المفسرين يتمثلون بأشعار
هؤلاء عند شرحهم لآيات القرآن الكريم كأس عباس ، وانطوري ، والزبحشري
والعل أكثر من وجه اهتمامه للاستفادة من النصوص الشعرية في فهم التعمير
القرآنية هو ابن عباس حين سأله نافع بن الاررق بعض المسائل المتعلقة بالقرآن
الكريم فكان يتمثل بشواهد شعرية ليؤكد لنافع أن العرب كانت تعرف
هذا المعنى . أما الحديث السوي الشريف فلم اعتمد عليه اعتماداً كبيراً إلا

في التعابير التي تعاصدت على فهم مغايبها كتب اربعة ، والتفاسير ، وايدنها
تصوص الشعر لان المحدثين حورووا رواية الحديث السوي بمعناه
وقد حصصت بالبحث التعابير التي لها دلالة على البيئة العربية ،
واهتمت فيها بالتعابير الاعجمية والعربية التي يس لها دلالة واصحة على
البيئة العربية .

وهذا البحث كنبته في فصول متتالية كان استاذي المشرف الدكتور
جميل سعيد يتابعني فيها فقرة فقرة ، ويوجهني الى النواحي الادبية وكان
يرى ان كثرة الشواهد الشعرية تصعب ملامح الصورة الصية لذا اكنهت
بشاهد او شاهدين مع لاشارة الى الشواهد الاخرى في هامش البحث .
واحيرا ارجو ان اكون قد وفقت في هذا البحث ، وعرضت جانبها
من جودت لقرآن الكريم الذي لم يزل يحظه من الدراسة والبحث لدقيق
والله ولي التوفيق :

ولا يسعي واما اقدم الرسالة بن يدي الفريء الكريم إلا ان اتقدم
بجزيل شكري وامتناني للاستاذ المشرف الدكتور جميل سعيد لتشجيعه المتواصل
ونوجيهاته القيمة واشكر كلاً من الاستاذ الدكتور مصطفى جواد والدكتور
ابراهيم السامرائي والدكتور حسين نصار لما أبدوه من مساعدة خلال بحثي
كما اتقدم بجزيل شكري الى كل من اعانني على اخراج هذه الرسالة واحص
منهم الاختين نائلة وادية في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا والاحت
آمال قاسم في كلية الاداب :

الفصل الأول

النفيير (بعث الناس من القصور)

١ - وسائل النفيير :

- أ - الصور والناقور
- ب - الداعي والمناذي
- ج - الصبيحة والزجرة

٢ - مدة النفيير :

١ - وسائل النقيير

ان اول مشاهد القيامة في عرآن الكريم هو مشهد النقيير المفزع الذي يثير الناس الى العث . ويحشرهم من قورهم الى ساحة الحساب ، والقضاء .

ومشهد النقيير هذا صورته عدة تعابير كل منها بوحى بصورة خاصة من صور النقيير ، حتى اذا اجتمعت هذه الصور المتعددة شكلت في اذهن صورة جامعة حية متحركة لمشاهد لنقيير ، وانعث

أ - الصور والناقور

أما الصورة الأولى فيسمىها تعبيراً هي الصور والناقور . والصور هو الذي يحدد يوم القيامة . قال الله سبحانه وتعالى : (وجاءت سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ .) (١) وقد صورت الآيات الكريمة الصدى العبد الذي يحدثه نفخ الصور ، وذلك انه يُنفِخُ كل من في السموات والأرض : (ويوم يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَمِيزٌ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) (٢) ومع الفرع الذي يوقظ الناس فإنهم يُرْعَوُونَ من قورهم ويهتزعون افواجا ادلاء لئلية صوت النقيير المفزع : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فإِذَا هُمْ مِنَ الْأَحْجَادِ إِلَى رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ نَعِشَا مِنْ مَعْرِقِدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (٣)

(١) سورة ق : ٥٠ - ١٩ ، ٢٠ ،

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٨٧ .

(٣) سورة يس ٣٦ : ٥٠ - ٥٢ ،

وقال تعالى أيضاً : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) (١)
(وَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ مِنْكُمْ نُفُوسُهُمْ جَمْعاً) (٢)

وقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الصور . قال ابو عبيدة (يقول
انها جمع صورة 'نُفَخَ' فيها رُوحها فتُحْيَا) (٣) قال ابو عبيدة هـ . لم يفسر
الصور على انه آفة ينفخ فيها للتنبيه والسير وإنما هي عند جمع صورة
فكان الأرواح «شرية تعود الى الحياة في اجسامها اذا نفخ فيها» وفيه
رأي أبي عبيدة قراءة الحسن البصري ('يُنْفَخُ' في الصُّور) (٤) .

أما التفسير الثاني وهو ان الذي عليه معظم المفسرين فهو قولهم ان
الصُّور هن 'يُنْفَخُ' فيه (٥) ووقع هذا التفسير الى الذي (ص) حين سئل
عنه (٦) كما روي عنه (ص) في حديثه عن الدجانب (٧) وانه يقول حين
يتمثل لهم : (اَلَا نَسْجُدُونَ ؟ فَيَأْمُرُهُم بِالْأَوْتَانِ وَيَهْسِدُوهُنَّ ، وَهُمْ فِي
ذَلِكَ دَرَّةٌ أَرْدَاهُمْ ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ

(١) سورة الباء : ٧٨ : ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ١٨ - ١٠٠ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ١٩٦ ، جامع (١) ان ٧ : ٢٤١ ، وانظر ايضا قول الخليل
في العين الورقة (١٩٨) .

(٤) 'اصحاح ٢٩ . ٧١٦

(٥) جامع البيان ٧ : ١٤١ التبيان ٧ : ١٨٧ .

(٦) جامع البيان ٧ : ٢٤١ .

(٧) لُدْجَال : المعوه يقال انه رحل من يهود ، يخرج في آخر ايام هذه الامة
سمي بذلك لأنه يدجل الحق بالباطل ، وقيل بل لانه يغطي الارض بكثرة جموعه
وقيل لانه يدعي الربوبية ، «طار لسان العرب ١٣ . ٢٥١ .

أحد إلا أصغى له ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ثم لا يبقى أحد إلا صعق (١) وهذا الحديث يرسم لنا الصور ، وكيف أنه إذا بُعِثَ فيه سبب صورتنا قويا مفعرا يصعق من يسمعه وفي وصفه (ص) لصاحب الصور قال : (كيف أنعم وصاحب الصور قد انقم الصور ، وحتى جهته ، وأصغى سمعه . ينتظر متى يؤمر (٢) وفي رواية أخرى (قد انقم القرن) (٣) وهذا الاختلاف في الرواية يؤيد تفسير الصور بالقرن ، لانه يدل على انهما تعبيران لهما نفس الدلالة في اللفظ العربي ، وقد ذكر هذا الماركس الأثير حين رجح معنى القرن بقوله (والصحيح الأول لأن الأحداث تعاصدت عليه تارة بالصور ، وتارة بالقرن) (٤) ثم إن وصف صاحب الصور في الحديث السوي الشريف يمثل لنا صورة شخص قد وضع آلة البعخ في فمه وحتى جهته وأصاغ سمعه ، ينتظر الأمر بالبعخ في آله تماماً كما ينتخ في بوق مثلاً .

أما اللاويون فقد ذهب معظمهم الى تفسير الصور بالقرن (٥) . وناقش بعضهم كون الصور جمع صورة . قال الفراء : (كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحده ، فواحدته بزيادة هاء فيه ، وحدث مثل الصوف والوبر ، والشعر ، والنضن ، والبعشب ، فكل واحدة من

(١) مسند الامام احمد ٢ : ١٦٦

(٢) ن ٢ م ٣٠ ٧٣

(٣) جامع النيبان ٢٩ : ١٥١ الثيبان ٧ . ١٨٧

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٥

(٥) جهرة اللغة ٢ : ٣٣٨ ، الصحاح ٢ : ٧١٦ ، لسان العرب ٦

١٤٦ ، تاج العروس ٣ : ٣٤٣ ، وكذا قمرها ياقوت في شرحه لمساعدة

صور انظر معجم البلدان ٣ : ٤٣٣ ، وانظر

هذه الأسماء اسم لجميع جنسه فإذا أوردت واحده ربيت فيه هاء لأن جمع هذا الباب سبق واحده ، ولو ان الصوفة ، كانت سابقة الصوف قدام صوفة وصوف وبسرة وبسرة كما قالوا عرفة وعرف ، ورثمة رثف . اما الصور القرن فهو واحد لا يجوز ان يقال واحده صورة ، واما تجمع صورة الاساس صوراً ، لأن واحده سقت جمعه (١) . وقال ابو الهيثم (٢) مناقشاً أبا عبيدة متهمه بقله معرفته باللغة ، والغريب قال (ولا تعلم احداً من القراء قرأها فأحسن صوركم وكذلك قل وسُخ في الصور ، فمن قرأ ونفع في الصور او قرأ فأحسن صوركم فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله ، وكان ابو عبيدة صاحب احوار ، وغريب ولم يكن له معرفة بالبحر) (٣) ، ولكن ابا عبيدة ليس وحده لقائل بهذا الرأي فقد رتت آتياً قراءة الحسن الهجري والتي فيها تأييد لما قاله بعده ابو عبيدة (٤) .

ونضاف الى الأدلة التي تعاضدت على تفسير الصور بالقرن ان البيئة العربية تعصداً في هذا التفسير ، ذلك لأن القرون مما توفرت في حياة العرب ولابد أنهم استعملوا وقرتها في الاستعانة منها في بعض شؤون حياتهم ، من ذلك اتحادهم القرن آتة في اعام حياكة الثياب ، وهي تلك التي يسمونها بالصبيصة . قال ابن دريد ، (صبيصة الخاك ، الشوكة التي يحدوها على الثوب واشد لدريد بن الصمة - (٥)

- Arabic English Lexicon , Book I , Part 1 , P. 1714

(١) لسان العرب ٦ : ١٤٦

(٢) لم أعثر على ترجمته

(٣) لسان العرب ٦ : ١٤٦ وانظر ايضاً قول ابن عبي في المخصص ١ : ٥٣

(٤) انظر ص : ١٦

(٥) دريد بن الصمة الحشمي شاعر جاهلي قتل عذر مائتي سنة ، حتى سقط -

فَحَسْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاحُ تَنْوِشُهُ كَقَوْعِ الصَّيَّاحِي فِي النَّسِيجِ الْمُنْدَرِ
 واصل الصيصية القرون (١) واستعمل القرن كذلك لفعل النمر ،
 واصلق عليه ايضاً اسم الصيصية (٢) . وهناك مجاز آخر استعملت فيه
 القرون ، وذلك انها تركب في الرماح مكان الأتسة كما يقول الجوهري (٣)
 وربما كان هذا الاستعمال اكثر من غيره نظراً لأهمية الرماح والسلاح في
 البيئة العربية الحربية .

وكل هذا يدلنا على أهمية القرون في البيئة العربية ، ويقرب لنا
 معنى الصُّور وكونه البوق الذي يُصْنَعُ من القرن . الا اننا نلتفت في
 هذا الدرب الى الشواهد الشعرية ، وذلك لانه لم يرد قبيحا وصل الينا من
 الشعر الجاهلي ذكر للصُّور الا الشاهد الذي أورده الجوهري وهو :
 لَقَدْ تَطَحَّنَا هُمْ غَدَاةَ الْجَمْعَيْنِ تَطَحُّناً شَدِيداً لَا كَطَحْنِ الصَّوْرَيْنِ (٤)
 ولا يمكن الاعتماد على هذا الشاهد ، لانه لم ينسب الى قائمه ، ولم
 يقبل الجوهري ان مفرد الصوريين هو نفس الصُّور الذي يتفح فيه يوم
 القيامة .

وهناك لفظه عبرة الاصل . تقارب معنى الصور ودلالته ، تلك هي
 كلمة اششور التي تعني البوق وهي في الاصل شومار : وكان يستعمل في
 — حجاجه على عينه وادرك الاسلام ولم يـلم ، وقتل يوم حنين كافراً . انظر
 المعمرين : ٢٧ المؤلف والمختلف : ١٦٣ .

(١) الصحاح ٣ : ١٠٤٤ ، وانظر ايضاً غريب الحديث : ٨٤ ، المخصص ١٢

٢٦ ، لسان العرب ٨ : ٣١٨

(٢) لسان العرب ٨ : ٣١٩

(٣) الصحاح ٣ : ١٠٤٤ ، وانظر ايضاً لسان العرب ٨ : ٣١٨

(٤) الصحاح ٣ : ١٠٤٤

الاعياد الكبرى كراس السنة ، والعيد الاكبر عيد الصيام (١) ، وأول من اشار الى اصلها العبري - فيما وصل اليها - هو ابن الاثير حين قال (وفي حديث الاذان ذكر كبير له الشُّور - وجاء في الحديث تفسيره انه الدوق - وفُسرَّوه ابصاً بالفتح ، والمقطعة عرابة) (٢) ومحمد في روايات اخرى ذكره للدوق ، وان الرسول (ص) اراد ان يجعل بوقاً كدوق اليهود اندي يكون امثالهم ثم كرهه ، ثم امر بالفاوس ومحت (٣) - وبوق اليهود هذا سمي في روايات اخرى بالقرن (قرناً مثل قرن اليهود) (٤) واطاهر بن الرسول (ص) كره اتحاد الدوق لانه آفة يفتح بها اليهود ، وهم ما عيه من انقض والكراهية للإسلام .

كل هذا يقدم لسيا صورة للمقطعة الشور العربية ، ودلالاتها الواضحة في يدن العربي ، وقد ورد ذكرها في الاستعمال اللغوي مقترنة بيهود (٥) ومع ان هذه الكلمة نعطيها نفس الدلالة التي توجبها كلمة الصور ، وانها المقرن الذي يفتح فيه فمن المستبعد ان يقل ان كلمة الصور متطورة عن الاصل العبري الشُّور او الشوفار لتساين محارج حروفها وعددها (٦)

(١) هكذا حققها الاستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان

٥٢٥ : ٤

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٠٢

(٣) سيرة النبي ٢ : ١٢٨ ، واطر ابصاً دليل لمتقال الاندلس السيرية بحمة

المجمع العلمي العربي م ٢٦ ح ٤ : ٤٨٧

(٤) صحيح مسلم ١ : ٢٨٥ ، سنن الترمذي ١ : ٣٦٢ سنن ابسائي ٢ : ٢

(٥) الحيوان ٤ : ٢٥ مجالس العلماء : ١٨

(٦) مع ان السين مقاربة للصاد فان لإقحام الياء هنا يعد كون الصور

متطوراً عن الشور وقد استأست في هذا برأي الاستاذ ابراهيم اسامرائي -

الا ان معرفة الشُّعُور يعطينا صورة لمعرفة البوق الذي ينفخ فيه ، وبإِنَّه
كان يُصنع من انقرون في اكثر الاحيان . وكان يستعمل للفقير ، والتسبيح ،
ومن هنا جاء التعبير القرآني (الصُّور) والذي يفسر بالقرن ليرسم صورة
السمير ليوم القيامة ، وانه يكون بالمنح فيه ، ونسبه اناس من قورهم ،
ومن يؤيد تفسير الصُّور بالبوق ، ان ذكر البوق ورد في التوراة أن
الناس يُحششرون من قورهم على صوته المنزع (١) .

اما التعبير الآخر الذي يصور لنا آفة السمير فهو الباقور . قال الله
تعالى : (فاذا نُفِيت في الباقور عدلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين
غير يسير ، ذرني ومن تخلفت وحيدا ، وتخلت له مالا ممدودا ،
وبين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع ان ازيد ، كلا
انه كان لأياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا) (٢)

لقد فسر معظم المفسرين الباقور بأنه آلة ينفخ فيها يوم القيامة اعلاما
وتنبها وقرنوا بينه وبين الصور (٣) . وقد اوردوا الحديث الشريف الذي
تردنا في تفسير الصور (كيف انعم وصاحب القرن ، قد انتقم انقرون ،
وحتى جهته) (٤) .

اما الطريق الثاني فكما فسروا الصور على انه جمع صورة ، وكذلك
باعتباره متخصصا في اللغة العبرية والاسناد مصطفى جواد ، ولم يشر الى أصلها
غير ان عربي احد من الذين كتبوا في الدجيل كالخو اليحيى والسيوطي والخفاحي وغيرهم
(١) انظر الكتاب المقدس متى ٢٤ : ٣١ ، سالوبيكي ٤ : ١٥

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٧ - ١٦

(٣) عريب القران : ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩ : ١٥١ التبيان ١٠ : ١٧٤ ،

وكذا قال الخليل في العين الورقة ٣٦

(٤) جامع البيان ٢٩ : ١٥١

فسروا الناقور ذكر الطيري (الناقور الصور ، والصور الخلق) (١) وروي عن ابن الاعرابي انه فسّر الناقور بالقلب (٢) فكان النسخ يكون سبباً لأحباء القلوب ويستعملها هذا التفسير لأن إحياء الآيات الكريمة بعيد عن معنى القلب وقد مر ما تفيد هذا الرأي حين فسّر به الصور. أما تفسير الناقور بالقرن فهو الذي عليه معظم اللغويين (٣) ، وهذا التفسير أدر بلغت النظر لأن أول ما توجه كلمة القر هو الضرب الذي يستعمله صوت ما ، وهو معنى يرسم في ذهن صورة الدف (٤) الذي هو بعيد عن معنى الصور ، والوقوف لاختلاف موحيات كل منهما عند سماع صوتهما. ويسند معنى القر ، والضرب قول ابن فارس : (الدون وأقاف والراء اصل يدل على مرع شيء حتى تهزم فيه هزيمة ثم يتوسع فيه) (٥) . والذي يقارن بين معنى القر الذي هو النفخ في تفسير من فسّر الناقور بالصور ، وبين معنى الضرب والقرع يجد لاون وهلة أن هناك هوة بعيدة بينهما ، وبخيل إليه أنه لا رابط بين المادتين ، ولكن محاولة ترتيب التدرج التاريخي لمعاني الكلمة ، تفيدنا في فهم الدلالات المختلفة .

(١) جامع البيان ٢٩ : ١٥١

(٢) لسان العرب ٧ : ٨٩

(٣) عريب القرآن : ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩ : ١٥١ ، انصاف ١٠ : ١٧٤

وكذا قال الخليل في العيون : الورقة (٣٦)

(٤) وقد ورد القر مقترنا بالدف في قول عامر بن عمرو :

ولا تسقريني تقرّك الدف دائما فابلّك لا تدريّن كيف المغيّب

الحمامة المصرية : الورقة ١٨٤ (ب)

(٥) مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨

واقرب المعاني لكلمة القمر هو بحر الحبل الارض بحواميرها ، وذلك اذا امرعت في سيرها قصصوت سنايكها ، واحصرت الارض ، قال الالبث (١) (سقرت الحبلُ بحواميرها بقرا أي احتصرت بها) (٢) . وقد وردت بهذا المعنى في شعر المرقش الاكبر (٣) واصفاً سير دافته من وجيف ، وابساس ، ونقر :

وَجِيفٌ وابَّسَاسٌ وَنَقَرٌ وَهَزَّةٌ

إلى أن تَبْكُلَ العَيْسُ والمرءُ حَرِدَسُ (٤)

وقال عمرو بن الاثم (٥) :

وَقَوْمٌ يَطْرُونَ إِلَى شَرِّهِمْ عَوْنُهُمْ مِنَ التَّغْصِيهِ مُعَوِّرُ
قَصَصْتُ لَهُمْ مَحَبَّةً إِذَا مَا أَصَاحَ الْقَوْمُ وَأَسْمِعَ الْقَمَرُ (٦)

(١) الالبث بن المظفر ، وقيل بن نصر بن ميار الحراساني ، كان من كتب الناس في زمانه بارعاً في الادب ، بصيراً بالشعر ، وانقريب ، والحو ، امل الحليل عليه كتابه العيس . وقال الازهري انه اشحل كتاب العين للحذل ، برعب فيه . انظر نزهة الاله : ٢٩ ، بقية الوعاة : ٢٨٣

(٢) لسان العرب ٧ : ٩٠

(٣) هو عمرو بن معد بن مالك بن صبيعة شاعر من مُشجِمي العرب ،

وفرساتها انظر المؤلف والمختلف : ٢٨١

(٤) المفصليات : ٢٢٥

(٥) هو عمرو بن ممان بن حنبل كان سيداً من سادات تبعين خطبها دينا

شاعراً ، وقد قدم الى رسول الله (ص) مع وفد تبعين وهو الذي قال الرسول (ص) عن كلامه (إن من البيان لسحرا) توفي حوالي سنة ٥٧ هـ انظر البيان

والتبيين ١ : ٥١ لباب الآداب ٣٥٥ الاصابة ٢ : ٥١٧ ، ٥١٨

(٦) المفصليات : ٤١١

وقد سر الامتداد عبد السلام هارون النقيز هنا من الواقع وهي الدواهي ، وقال انه معنى لم يرد في المعاجم (١) ، والذي يبدو ان تفسير الواقع بالدواهي هنا بعيد ، وانما يصيح القوم لوقع قوائم الخيل بسرعة بحوهم ، فتكون الداهية نتيجة العارة ، وقر الخيل الارض بحوافرها وسرعة هجومها عليهم :

والملاحظ في هذا الاستعمال المادي انه يجمع بين الصوت الشديد ، وبين ما يتبع هذا الصر من السير من قرع الارض ، وجرها ، وهو اصل مادي ملازم للبيئة العربية التي تتعود فيها العربي عبارات المفاجئة وسرعة الخيل حين تضرب الارض بقوة فتفترق بها سُقرا صغيرة .

ومن هذا الصوت الذي تثيره الخيل بقوائمها استعملت الكلمة في مجال آخر وهو التصويت الذي يُكسّر به الفرس ، وقد وصمه الخيل بقواه : (التَقَرُّ أَنْ تُلْزِقَ لِسَانَكَ بِحَنَكِكَ ثُمَّ تُصَوِّتُ وَقَدْ نَقَرْتَ بِالْدَابَةِ) (٢) . وقد نقل المبرد قول الشاعر :

اَنَا ابْنُ مَؤَيَّةَ إِذْ جَدَّ النَّقَرُ (٣)

فقال معلقا عليه : (يَرِيدُ النَّقَرَ يَا غَيَّ ! وَهُوَ النَّقَرُ بِحَنَكِ . . . النقيز : صوت اللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قبل امرؤ القيس : اُخْفَضَهُ بِالنَّقَرِ لَمَّا عُلُوَّتُهُ وَبَرَقَ طَرَفُهُ غَيْرَ جَافٍ غَضَبِيضٍ (٤)

(١) المفضليات : ٤١١

(٢) الخليل عن المختص ٦ : ١٨٢ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ : ٨٣٤ ، الانفال : ١١١ ، اساس البلاغة : ٩٨٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٨

(٣) الكامل : للمبرد ٢ : ٥٠٢

(٤) ن . م والشطر الثاني من قول ابن موية (وجاءت الخيلُ أنبي زمر) لسان العرب ٥ : ٨٨ والطاهر ان الشاعر لم يقصد بقواه هذا الصوت الذي

والنقر أيضاً تصويت لأصابع وذلك : (ضَمُّكَ الابهام الى طرف
الوسطى ثم تنقر ويسمع صاحبك ذلك) (١) .

هذه هي المعاني التي اقترنت في النجاء بها ، بنقر الخيل ، ومنها أيضاً
تطور معنى آخر وهو قولهم : النقرة . الحفرة ، (٢) ثم أطلقت على الآزار
وعلى كل منخفض (٣) .

ونجد للنقر معنى حساباً آخر مستمداً من معنى الخمر ، وذلك ان ينقر
الخشب فتحفر فيه بقرة لعرض من الأعراص (٤) .

وباستبعاد الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة الدقور . (واذا نُقِرَ
في الدقورِ فذلك يومٌ مني يومٌ عسيرٌ ، على الكافرينَ غيرُ يسيرٍ ، ذُرْفِي
ومن حَلَقَتْنِي وحيداً ، وجعلتْ له مالا ممدوداً ، وبينَ شهوداً ، ومهدتْ

— يسكن به العرس ، وإنما المقصود به سرعة الخل في الحروب وهو الذي يقتحر
به ابن ماوية اذ يكون أهلاً للحروب والعروات التي تسمع فيها قرانم الخيل المسرعة
وهومها عليه رهراً كثيرة ، وهو المعنى الذي يكمنه الشطر الثاني ، وربما جاء حديث
المجرد عن النقيب الذي هو التصويت على سبيل الاستطراد ، وبیت امرئ القيس
في ديوانه : ٧٥ .

(١) الصحاح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٩

(٢) المغرب المصنف : الورقة ٢٤٥ ، لسان العرب ٧ ، ٩٠ ، وانظر أيضاً

قول المحسن السعدي في المعصيات : ١١٦ .

(٣) المغرب المصنف الورقة ٢٤٥ . مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨ ، لسان العرب

٧ : ٨٦ ، ٩ . وانظر أيضاً قول المحسن السعدي في المعصيات : ١١٦ ، ديوان
ابن مقبل : ٣٤١ .

(٤) الصحاح ٢ : ٨٣٥ مقاييس اللغة : ٥ : ٤٦٩ ، أساس البلاغة : ٩٨٥

لسان العرب ٧ : ٨٦ .

له تمهيدا ، ثم يطمع ان تردا ، كلا انه كان لابانيا عبيدا ، ساء رهقه
 صعودا (١) ومن سياق هذه الآيات يتضح لنا معنى الدافور ، وكيف
 انهم قننوا بينه وبين الصور آلة النهر فاذا كان الصبور أشبه ما يكون بالهوق
 وانه اطلق آنذاك على القرن ينقحون فيه فان الدافور الذي جعل مرادفا له
 عند بعض المفسرين يكون على هذه الشاكلة ويقرب بقر الخشب صورته ا وذلك
 ان بقر الخشبة حتى نصبح محوطة بنفخ فيها ، ويميدا في رسم هذه الصورة
 قولهم انقبز ، لاصل الخشبة التي تنقر فينشد وبها الرطب والبسر (٢) ، مما
 يعطينا صورة للقر الذي يخوف الخشبة أو أي آلة يعمل فيها .

ومما ان القر قد اقترن بالصوت المزع وهو بقر الخيل في الشواهد
 ههنا نستطيع ان نجد في الآية الكريمة انحاء آخر في رسم صورة الفرع الأكبر
 الذي يحيط النخج بالصور والدافور وكيف انه يرهب من يسمعه ، ويجعل
 الكافر موقفا بالمصبنة العظيمة التي منحل به ، ويذكره هذا بالرعب والمزع
 الذي يشهر به حين يسمع بواقر خيل الأعداء القوية وبساعده جو الآيات
 العام على هذا التصور وهو معنى واضح الملامح عميق الصلة بالبيئة العربية
 التي كثرت الغارات فيها وتعود العربي صريح الخيل وسرعة سيرها ، وما يوحيه
 بقر قوائم الخيل خاصة عند الغارات من معاني الفرع والهل مما يقرن يوم
 القيامة بصورة الفرع والرعب المفاجيء ، وهو معنى تشترك فيه كل التعابير
 التي تخص القيامة منذ ساعة النفير .

ومما ان بقر قد اقترن بالصوت المزع الى جانب معنى الضرب والحصر
 وان انحاء آخر يضاف الى الكلمة ، وهو دلالتها على الصوت وهذا المعنى
 هو الذي مقرر به بعضهم قول طرفة المشهور :

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٨ - ١٧ .

(٢) الصحاح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٥ : ٨٦ .

يَا لَيْتَكَ مِنْ قُتْرَةٍ بِمَنْعَتِي
 حَلَا لَيْتَ الْخَوْ قُبَيْتِي وَاصْغِيرِي
 وَغَيْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُصَغِّرِي
 فَدِرْ حَلَّ الصَّيَادُ عَلَيْ دَائِشِيرِي (١)

أقبل التفسير مثل الصمير (١)

أما معنى النسخ الذي بهم من كلمة النقر (واداً يُقَرَّ في الناقور
 وذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ) (٢) فهو معنى جديد اكتسبته الكلمة من طرفة
 استعمال الآلة حيث يدمج فيها . ونستطيع أن نقول أن كلمة النقر قد
 ضُمَّتْ معنى النسخ في الآية الكريمة على اسلوب العرب في تضمين كلامهم
 معاني لم يعرفوها من قبل (٤) ومن هذا عُبِي الفعل (نقر) بالحرف (في)
 واستعمال هذا الحرف هو الذي يعبر عنه الصرب الذي قد يتبادر إلى الذهن
 وهو كان معنى النقر كذلك أقبل نُقِيرَ ، ناقورٌ ، أو نُعِيرَ بالناقور كما قبل
 دَعَّرْتُ الشيءَ ثَقْبَتُهُ بالناقور ، وَنَقَّرَ الطائرُ الحبَّ نَقَّارَهُ ، وَنَقَّرَ
 النَقَّارُ الرُحَى نَمَقَّارِهِ ، وَنَقَّرَ الْعُودَ ، وَالْدَفَّ ، وَنَقَّرَ رَأْسَهُ دَاصِعَهُ
 نَقْرَةً (٥) أما تعلية النقر بالحرف (ي) وهو يقوي ما ذهب إليه المفسرون

(١) ديوان طرفة . ١٩٣ .

(٢) الأزهري عن لسان العرب ٥ : ٨٧ ، الصحاح ٢ : ٨٣٦ ، ومن الحائر

أن يراد بالنقر هنا المعنى المادي وهو النقاط الحب .

(٣) سورة المدثر ٧٤ . ٧ .

(٤) قال ابن هشام في موضوع التضمين . (قبد يشربون لعضاً ويعطونه

حكمه ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدته أن تؤدى كلمة مؤدى كلمتين) . معني

السبب ٢ : ٦٨٥ ، وانظر أيضاً شرح الفية ابن مالك ١ : ٤ ، ٥ ، معجم الجواهر ٢ : ١٣٠

(٥) الصحاح ٢ : ٨٣٤ . أساس البلاغة ١٠ : ٩٨٤ . لسان العرب ٧ : ٨٠ ، ٨٦

من ان معنى لقر هو النسخ وان الدقور هو الذي ينفخ فيه
ومن هذين التعبيرين تتشكل الصورة الأولى للمعبر في يوم القيامة ، اذ
يدعى الناس ، ويحشرون من قورهم على صوت مفرع يبعث من آلة هي
الصور أو الدقور ، وقد ورد في الكتاب القديم ذكر للدوق الذي يبه الناس
ويحشرهم من قورهم (١) ، مما يؤكد تفسير الصور والدقور على انها آلات
ينفخ فيها يوم القيامة .

ب - الداعي والمنادي

أما الصورة الثانية فيشككها تعبيران آخران هما «داعي» و«منادي» فقد ورد
الداعي في قوله «وَبَشِّرِ الثَّوَلَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ،
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَهً نَاصِبًا ، لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَاثٌ وَلَا أَمْتًا ، يَوْمَ تَبْيَسُّونَ
الدَّاعِيَ لَأَعْيُوخَ لَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا» (٢) . وقال أبصاً : «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ
نُكْرٍ ، حُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، بِقَوْلِ الْكَافِرِينَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ» (٣) . والداعي
في هذه الآيات الكريمة هو الذي يدعى الناس إلى موقف القيامة فيحشرونهم
إليه (٤) ، وقد خشعت أبصارهم ، ونكست رؤوسهم وأدركوا حقيقة المعبر
(١) جاء في سمر متي ٢٤ : ٣١ (و يرسل ملائكته فوق ، وصوت عظيم ،
فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع من أقاصي السماوات إلى إقصيها) ، واطر
أيضاً سفر تسالونيكي ٤ : ١٥ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

(٤) جامع البيان ٢٦ : ٢١٤ ، ٢٧ : ٨٩ ، الثبيان ٩ : ٤٤٥ .

الذي يدعوهم ، وإذا كان السياق العام هو الذي يوحي لنا بهذه الصورة المرعبة فإن كلمة الداعي وحدها تعطي من الصور والابتداءات المتعددة ما يزيد ملامح صورة الغير وصوحاً ويعكس لنا جوابات متعددة من البيئة العربية . والداعي في المجال اللغوي يستعمل للدلالة على معانٍ مختلفة قد تبدو بعيدة الأصل عن المعنى القرآني ، ولكن معرفة الصور الحسية التي تفرغت عنها نميذا على ربط المعاني بعضها ببعض ، وفهمها من التعبير القرآني الكريم . ومن الصور الحسية الأولى الواردة في الشعر الجاهلي صورة تداعي الكتيب إذا تحرك بعض الرمل ونهال واهدم ، قال ابن منظور (تداعي الكتيب من الرمل إذا هيل، فانهال) (١) . قال النابغة ذاكراً الكتيب المتداعي ، تنفخي بأظلالها حتى إذا بلغت

يُبْسُ الكتيب تداعى التُربُ فانهدم (٢)

وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً صورة قريبة من صورة النابغة :
يَمْرِي بِأُظْلَالِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبْسُ الكتيب تداعى التُربُ فانهجرتا (٣)

فسرعة سير الثور ، وركضه ، تهدم الكتيب ، وتهلج تراه مرة واحدة وهذا هو الذي يطلق عليه اسم التداعي ، وقال طرفة متغزلاً :
وإذا قامت تدعى قاصيف مال من أثنى كتيب منقعر (٤)

(١) لسان العرب ١٨ : ٢٨٧ .

(٢) أمالي المرتضى ٢ . ١٣ ، والبيت عبر موجود في ديوان النابغة الذبياني ومقارنته ببيت زهير المذكور أعلاه يشير الشك في نسبته إلى قائله .

(٣) شرح ديوان زهير : ٤٦ .

(٤) ديوان طرفة . ٧٣ .

أما داعية الله فهو ما يترك في الضرع ليدعو ماعده (١) . وقد ورد في الحديث النبوي الشريف . ان لرسول (ص) قوس لرجل بعثه لحلب ذقنه أن " دَعَّ دَاعِي لَللَّسَنِ (٢) وَقَالَ اِنْ مَنظُورٌ شَارِحاً قَوْلَ الرَّسُولِ (ص) لَسَانُكَ . أَيِ اِنِّي فِي الصَّرْعِ قَلْباً مِنَ اللَّسَنِ . وَلَا تَسْتَوِعُهُ كُلُّهُ فَإِنَّ الَّذِي تَقْبِهِ فِيهِ يَدْعُو مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْمَلِكِ فَيَرْكَلُهُ ، وَذَا اسْتَقْصَى كُلَّ مَا فِي الصَّرْعِ أَبْطَأَ دَرَّتْهُ عَلَى حَالِهِ قَوْلَ الْأَرْهَرِيِّ : وَمَعْدَهُ عِنْدِي دَعٌّ مَا يَكُونُ سَبَباً لِمَرُورِ الدَّرَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَلَابَ إِذَا تَرَكَ فِي الصَّرْعِ لِأَوْلَادِ الْحَلَالِثِ لَبِئَةً تَرْضَعُهَا طَائِفَاتٌ مِنْهَا فَكَانَ أَسْرَعَ لِدَوِّهَا . (٣) .

وحركة تساعي الكتيب واضحة في داعية الناس ، ولكنها على صورة أخرى وهي أيضاً حركة نثقة عن وجود أخرى سابقة لها ، وهي القية القليلة من اللين التي تستدعي زول ماعدها إلا ان مانوجيه من الصور بعيد عن معنى داعي العير لأن في اللين الحياء الخير والفرح ، أما داعي العير واه محاط بالضرع ، وللول وما ينفع ذلك من صور رهبة مرعبة

ومن هذا الاستعمال المادي جاء قولهم الهاري : وتساءعت عليهم الفسائل من كل حسب اجتمعت عليهم وتألأت . اعداوة (٤) . وبهذا المعنى وردت في الحديث النبوي الشريف (٥) .

(١) الصحاح ٦ : ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة ٢ : ٢٨٠ ، ثمار القلوب ٤٩٤ : أساس الملاعة ٢٧٢ . لسان العرب ١٨ : ٢٨٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤ : ٧٦ . وأظهر أيضاً سنن الدارمي ٢ : ٨٨

(٣) لسان العرب ١٨ : ٢٨٤ ، أظفر أيضاً التخصيص ٧ : ٤٠

(٤) أساس الملاعة ٢٧٢ ، وانظر شوهد الشعر في الطرثيب الأدبية : ١٤

(٥) مسند الإمام أحمد ٤ : ٢٧٨ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ١٧٨ : سنن الدارمي

٢ : ٤٢٦ ، لسان العرب ١٨ : ٢٨٧ .

هذه الصور المتدحلة نستطيع ان نجد لها في أحد جواب صورة الداعي
 المفرغ فالناس يتراكمون نحوه ، ويتدافعون سرعة كما تتدافع أجزاء الكتيب
 حين يسهال بعضها على بعض ونفهم انهم في بداعيهم ، وقد فهم نحو الداعي
 يسرون بصورة ثقافية تماماً كما يسهل كتيب الرمل اذا تساقطت بعض أجزائه .
 ونستطيع أن نلمح في الداعي صورة أخرى لها دلالة أعمق للذة
 العربية ! وذلك ان الداعي أطلق في بيئتهم الحربية المتسارعة على الشخص الذي
 يُستمر ويدعو للأمر الملم الشديد ويستصرح قومه . فكأن صياحه يكون
 سداً للداعي قومه حوله ونجدتهم له . وقد كثرت افتحار شعرائهم بتلبية دعوة
 الداعي وتارعهم نحوه مع الفرع الذي يشبه في موسمهم ، قل متمن من
 نورة (١) رثياً أحده .

وقد كان مجذماً إلى الحرب وكفه

سريعاً إلى الداعي اذا هو أفزعا (٢)

أي انه كان شجاعاً بطلاً يسرع الى استجابة صرخة الداعي ، مع ان
 غيره يهزغ منها ويهرب . وقال النابغة الجعدي (٣) بمنخرأ :

(١) متمن بن نورة بن حمزة بن شداد بن ربوع بكى اذا نهشل شاعر جاهلي
 أدرك لاسلام فاسلم وحسن اسلامه واستفرغ شعره في مرثي أحبه مالك بن نورة
 الذي قتل في حروب الردة توفي نحو سنة ٣٠ هـ انظر معجم الشعراء : ١٩٤ .

(٢) أمالي البزيري : ١٩ .

(٣) شاعر معمر عاش في الجاهلية والاسلام ، وقد اختلف في اسمه هل هو
 قيس بن عبد الله بن علس بن ربيعة بن جعدة أم حيان بن عبد الله الا انهم اتفقوا
 على انه من مضر وان سبب لقبه بالنابغة لأنه قل الشعر في الجاهلية ، ثم احبل
 دهرأ ثم نزع بالشعر في الاسلام توفي نحو سنة ٥٠ هـ انظر طبقات محول الشعراء
 ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٤٧ ، الأغاني ٥ : ٥ ، المؤلف والمختلف : ٢٩٣ .

يَسْتَنْخَفُونَ إِلَى الدَّاعِي بِهَيْمٍ وَإِلَى الصَّيْفِ إِذَا الصَّيْفُ تَزَكَّى (١)
 وَحِينَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي فِي الْخِي يَسْرِعُ الرَّحَلُ نَحْوَهُ ، وَيَتَسَاعَدُ
 رُكُضُ الْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ إِلَى حَوْمَةِ الْقِتَالِ :
 مَتَى مَا دَعَى فِي أَمْدٍ تُجِيبُنِي مُسَوِّمَةٌ عَلَى حَيْلٍ صَبَامٍ
 تَتَابَعُ نَحْوَ دَاعِيهَا سِرْعًا كَمَا انْتَسَلَ الْعَرِيدُ مِنْ أَيْطَامِ (٢)
 وَوَصَفَ طَرَفَهُ مِنَ الْعَدُوِّ الدَّاعِي فِي الْخِي ، وَكَيْفَ أَمَرَ تَشِيرَ
 الْفَرْعَ ، وَالْمَطْعَ فِيْ حَرْدِ الشَّجَعَانِ سَيُوهِمُ ، وَيَعْتَلُونَ حِيَادَهُمُ الطُّوَلِ السَّرِيعَةِ
 حِينَ يَأْدَى الْخِي لَمَّا قَرَعُوا وَدَعَا الدَّاعِي وَقَدْ لَحَّ الدُّعَاءُ
 أَبْنَاهَا الْفَيْنِيَّاتُ فِي مَنَحِيصِنَا جَرَدُوا مَهْمَا وَرَدَا وَشَفَرُوا
 أَعْرَاجِيَّاتٍ طِيُولًا شَرًّا دُوْحِيلَ الصَّعَةِ فِيهَاوَالضُّمُرُ (٣)
 وَالدَّاعِي فِي هَذِهِ الصُّورِ الْمَعْدُدَةِ (٤) يَمُكِّنُ لَهَا جَنْبًا مِنْ جَوَانِبِ
 الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي سَادَ فِيهَا الْإِصْطِرَابُ وَالْوَحْشِيُّ ، فَالْأَمْسُ مَقْقُودٌ ، وَالْأَحْيَاءُ
 مُعَرَّضَةٌ لِلْعَارَاتِ الْمُهَاجِنَةِ ، وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ السَّلْبِ ، وَالْهَبِ ، وَالْقَتْلِ . .
 وَيَأْتِي دَوْرُ الدَّاعِي الَّذِي يَسْتَصْرِحُ قَوْمَهُ ، وَيَنْفِخُهُمْ إِلَى الْحَادِثِ الْمَعْجَازِيِّ ،
 فَاسْتِمَاعُ الدَّاعِي هَذَا يَسْتَرْقِ صِيَاحُ أَحَدٍ ، أَوْ اسْتَعَاذَةٌ مَهْوَاةٌ تَنْفِخُهَا لِجَانِبِهِ
 مِنَ الْآخَرِينَ ، فَكَأَنَّهُ فِي الْمَسَانَةِ طَرَفَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ تَلَارِمُ حَرَكَةُ الْكَتِيبِ الْأَوَّلِيِّ

(١) دِيْوَانُ الدَّائِفَةِ الْجَعْدِيِّ ٩٧ .

(٢) الْخَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ : الْوَرَقَةُ ٤٨ (ب) .

(٣) دِيْوَانُ طَرَفَةٍ : ٨١ ط ص ٨٠ .

(٤) أَنْظَرُ شَوَاهِدَ أُخْرَى لِلدَّاعِي فِي دِيْوَانِ عَامِرِ بْنِ الظُّعَيْلِ ٨٢ . دِيْوَانُ

عَبِيدٍ : ١٣١ ، دِيْوَانُ بَشَرٍ : ٨٦ ، دِيْوَانُ طَرَفَةٍ : ٧٧ ، دِيْوَانُ الشَّيْخِ : ١٠ ،
 الْمُعْصَلِيَّاتُ : ١٦٦ ، الْوَحْشِيَّاتُ : ٤٣ ، الْعَيْنُ : ٤٢ ، الصَّاعَتَيْنِ : ١٦٨ ، الْأَشْيَاءُ
 وَالنَّظَائِرُ : ١٠٥ ، دِيْوَانُ الْخَمَاسَةِ : ٥٨ .

بهدام الرممل والكثيب من جميع جوانبه ، أو حركة داعية اللين التي تستدر مايعدها ، فالداعي يستصرخ ويستنجد فبحجاب ويقات ، وحتى اذا لم يستجد فان دعوته في الأصل كانت طلاءً للاجابة والمجدة

ويستند على هذا بالاستعمال القرآني للكلمة ، ومشتقاتها ، وتلارم الاجابة لها في كثير من الآيات القرآنية . والله سبحانه وتعالى يستجيب دعاء من بدعوه محضاً « وَاِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَاِنِّي قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي اِلَيَّ . دُعَائِي » (١) وكذلك اقترنت الاجابة بالدعاء في الحديث عن الآلهة التي اتخذها المشركون من دون الله تعالى فجاءت الآيات القرآنية الكريمة تبين هم بأنهم اذا يعدون ما لا يسم دعاءهم ، ولا يستجيب لهم : « وَيَوْمَ يَقُولُ بَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ » (٢) . فالحاجة القوية في مناقشة المشركين هي انهم يدعون آلهة لا تسمع دعاءهم ، والاجابة ملازمة للدعاء وان كانت ساية . أما الآيات التي ذكر فيها الدعاء دون ملازمة الاجابة فانها تفسر على ضوء قوله تعالى : « ادعوني استجب لكم » (٣) أو ان الدعاء في الأصل انما يكون في انتظار الاجابة . هذه الاجابة ملازمة لدعوة الداعي يوم القيامة قال تعالى : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحِجَالِ فَقُلْ يَنْتَسِبُهَا رَبِّي نَسْأً ، فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ، لا تَبْقَى فِيهَا حِوْجٌ وَلَا أَمْتٌ . يَوْمَئِذٍ يَنْشَعُونَ الدَّاعِيَ لَأَعْوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » (٤) حين نقرأ هذه الآيات

(١) سورة البقرة ١٨٦ : ٢ ، وانظر أيضاً النمل ٢٧ : ٦٢ ، غافر ٤٠ : ٦٠

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٥٤ ، وانظر أيضاً القصص ٢٨ : ٦٤ ، الشعراء

٢٦ : ٧٢ ، فاطر ٣٥ : ١٤ الأحقاف ٤٦ : ٥١ ، الأعراف ٧ : ١٩٤ .

(٣) سورة عاقر ٤٠ : ٦٠ .

(٤) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨ .

الكرامة المتسلسلة السياق ترسم في الذهب صورة الناس حين يهزغون لصبيحة الداعي المهولة التي تفرهم الى ساحة الحساب وتراكمون حولهم ، ويستجيرون له بصورة تلقائية يتبع بعضهم البعض الآخر ، وقد ملأ المزج ، واشلع قلوبهم وتساعدنا صورة الداعي في الحروب على فهم اتجاهات مختلفة طبع صفة الداعي وبهره ، فهي لا توحى معنى لاحبة فحسب ، انما ترسم في مدح كل متوحيه البيئة الحربية في حياة العرب حين يحاجي الحلي بصريخ الداعي الذي يفرهم بالهارة ، وتضاف الى هذا صورة تداعي الكثيب التي تصور لنا الناس في تراكمهم نحو الداعي بأنهم يتدفعون بعضهم فوق بعض وقد ملأ الرعب والفزع قلوبهم .

أما المادي فانه تعبر آخر للشخص الذي يدعو الناس يوم القيامة والذي سمي أبصاً بيوم التنادي قال تعالى على اسان الرجل المؤمن حين يخاطب قوم ورعون عموماً هدايتهم : (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دآب قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ، ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التنادي ، يوم توثبون مدثرين ما لكم من الله من عاصم ومن يصلي الله فانه من هادي) (١) وقال سبحانه ونعمالي أبصاً واستمع يوم ينادي المادي ، من مكان قريب ، يوم يستمعون الصبيحة بالحق ذلك يوم الخسروح ، اننا نحن سحبي ونهيت ، والينا المصير ، يوم تشقق الارض عنهم سراعاً ، ذلك حشر علينا يسيراً (٢) .

هذه الآيات الكريمة صورت لنا حقيقة الموقف حين يهب الناس على صوت المادي يهرعون نحوه ملين نداه ، مسرعين الى ساحة الحشر المهولة .

(١) سورة عاشر ٤٠ : ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٤ .

أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسير التناد نتيجة لاختلافهم في قراءتها
 ان عامة قراء الأمصار (يوم التناد) بتخفيف الدال وترك اثبات الياء
 بمعنى التفاعل من تنادى انقوم تناديا (١) وقال الأزهري : القراء على تخفيف
 الدال (٢) وهذه القراءة توحه تفسير الآية عدة توجيهات .

١ فسر التناد على انه الخطاب والكلام الذي يكون بين الناس يوم
 القيامة كما قال حلّ نهذه . (وبادى أصحاب الجنة أصحاب الدار أن قد
 وجدتم ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا :
 نعم) (٣) . وقال (وبادى أصحاب الدار أصحاب الجنة أن أليصوا
 عليا من الماء) (٤) فذلك تأواه قارئو هذه القراءة (٥) .

ويجد ان هذا التوجيه اعتمد على قول العرب : التنديد رفع الصوت (٦)
 قال أبو زيد (٧) ، وهو مجرد النداء الذي يكون بصوت مرتفع عال (٨)

(١) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ .

(٢) لسان العرب ٤ : ٤٢٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٥) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٥٣

(٦) لسان العرب ٤ : ٤٣ ، ان السكيت عن المخصص ٢ : ١٣٣ ،

العاشر : ٢٨٨ .

(٧) أبو زيد سعيد بن أوس الأدهاري كان عالماً باللغة والنحو أخذ عن
 أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، والسجستاني . وكان ثقة
 من أهل البصرة وكان صديقه اذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيد ، توفي في الهجرة
 سنة ٢١٤ أو سنة ٢١٥ ، انظر نزهة الألباء : ٨٥ - ٨٨ .

(٨) المفردات في غريب القرآن : ٥٠٥ .

وقد وردت بهذا المعنى في أربع وحسين آية (١) ، ولكننا نجد ان اللفظ العام الذي ورد فيه تعبير الناد أو المادي على بالرفع والمزعج لا مجرد مخاطبة الناس بعضهم بعضا والناس في خوفهم يسرعون نحو الداعي وقد دلت قوسهم وحشمت . وإنما تكون مخاطبة الناس كما تصوره سورة الأعراف بعد الحساب حين يـقـ انعمون ان جهنم ، وينعم المؤمنون بالخلة . أما ساعة الحشر حين يجتمع الناس على صوت المادي فلا مجال للمحاوراة وإحدى بينهم .

٢ - وفسر العصر الآخر ممن قرأ (الناد) التحقيف ان المقصود به ليس مجرد مخاطبة بين الناس ، وإنما هو أعظم من ذلك وأرهـ حيث يتصايح الناس خوفاً ورهبة مما ينتظرهم من العذاب . وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التأويل حيث قال «مُدِيرِينَ يَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ النَّادِ» (٢) وسيجد ان هذا التفسير يعصد التماسير الأخرى في رسم صورة المادي .

٣ - ويمكن ان يفسر الناد بأنه اليوم الذي ينادى فيه الناس فيجتمعون لصوت المادي الذي يبههم وينفرهم من قسورهم وهو التفسير الذي فسر به قوله تعالى (وَاسْتَمِيعْ يَوْمَ تَنَادَى الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ) (٣) فقد وصفوا هذا المادي بأنه (ملك قائم على صخرة بيت المقدس وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة) (٤) . ويقوي هذا التفسير الصور السابقة التي مرت بنا

(١) راجع المعجم الفهرس : ٦٦١ .

(٢) جامع البيان ٢٤ : ٦١ .

(٣) سورة ق ٥٠ : ٤١ .

(٤) جامع البيان ٢٦ : ١٨٣ ، التبان ٩ : ٣٧٦ ، وانظر أيضاً محال السـ لعـ

٣٨٦٠٢

وَأَتَى تَصَوُّر قِيَامِ النَّاسِ بَعْدَ النَّصْرِ الَّذِي يُوْجِهُ إِلَيْهِمْ بِوَاسِطَةِ الصُّوْرِ ، أَوْ الْبَاقُورِ أَوْ الدَّاعِي . وَقَدْ اعْتَمِدَ فِي هَذَا التَّصْطِيفِ عَلَى أَحَدِ مَعْنَى الْكَلِمَةِ ، وَهِيَ دَلَالَتُهَا عَلَى الْاجْتِمَاعِ . قَالَ أَبُو زَيْدٍ : « نَدَّ أَقْوَمُ » وَانْتَدَوْا : احْتَمَعُوا ، وَالْمَادِي وَالدِّي الْمَجْلِسُ مُحْتَمِعِينَ فِيهِ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا فَلَيْسَ بِدِي ، (١) قَالَ بَشَرٌ مِنْ أَبِي حَازِمٍ :

- وَمَا يَنْتَدُوهُمْ الدَّادِي وَلَكِنْ بِكُلِّ مَحَنَةٍ مِنْهُمْ فَيَنَامُ (٢)
- الْفَيَّامُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ . يَرِيدُ أَنْ يَقَوْمَهُ كَثِيرُونَ لِاجْتِمَاعِهِمْ بِدِي وَاعْمَا تَجِدُ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَمَعْنَى الْجَمْعِ تَوَكُّدُهُ آيَاتٍ أُخْرَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَوَسَّحَ فِي الصُّوْرِ فَجَعَلْتُمْ عَنْهُمْ جَمْعًا » (٣) وَكَذَلِكَ تَسْمِيَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْحَشْرِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَجْمَعُونَ ، وَيَسَاقُونَ فِيهِ إِلَى الْحِسَابِ (٤) .
- أَمَّا قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ (النَّادِي) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ فَإِنَّهُ قَدْ اعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى صُورَةٍ وَثِيقَةٍ الصَّلَةِ بِالْبَيْئَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، تِلْكَ هِيَ صُورَةُ الدَّالِ حِينَ تَهْرَمُ مِنْ صَاحِبِهَا وَتَهْرَبُ بِعِيدِهَا عَنْهُ ، وَيُقَالُ عَنْهَا حَبِيدُكَ (نَدَّتْ) . هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ مِنَ الدَّادِي (وَدَلَّكَ إِذَا هَرَبُوا مِنْهُدُوا فِي الْأَرْضِ كَمَا تَنْدُ الدَّالُ إِذَا شَرَّدَتْ عَلَى أَرْهَابِهَا) (٥) وَقَالَ أَبُو هَاشِمٍ . (هُوَ مَنْ
- (١) الْمُحْصَصُ ٣ : ١٤٥ ، وَانْظُرْ أَيْضاً مُقَابِيصَ اللُّغَةِ ٥ : ٤١١ ، الْفَرْدَاتِ ٥٠٥ ، أَسَاسُ السَّلَاحَةِ : ٩٤٦ ، وَقَدْ وَرَدَتْ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ ٢٩
- ٢٩٠ ، وَسُورَةِ الْعَلَقِ ٩٦ : ١٧ ، وَانْظُرِ الشَّعْرَ فِي دِيْوَانِ طَرْفَةِ : ٨٠ .
- (٢) دِيْوَانِ بَشَرٍ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ٢٠٩ ، الْمُفْضَلِيَّاتُ : ٣٣٦ .
- (٣) سُورَةُ الْكَهْفِ ١٨ : ١٠٠ .
- (٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ ١ : ٢٠٤ ، ٢ : ٢٠ ، وَانْظُرْ أَيْضاً الصَّحَاحَ ٢ : ٦٣٠ .
- مُقَابِيصَ اللُّغَةِ ٢ : ٦٧ .
- (٥) جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٤ : ٦١

بدَّ البعيرُ فداداً أي شَرَدَ (١) وهذا التعبير أقرب التفسير الى الحياة البدوية ، لأن الصورة التي يوحىها أسرع الى الذهن من الصورة الأخرى لأنها صورة عالقة في ذهن العربي ، مرتسمة أمام ناظره ، لأن الابل عماد حياته في الصحراء قد شهدا في هدايتها ، ونفاها ، وخبر حركاتها وسكناتها ، ومن هنا وفرت التعابير التي تخص الابل ورسحت في ذهن العربي توحى له بالصورة المادية حتى اذا استعارها للتعبير عن معنى جديد مشاه لها أثارت في الذهن الصورة الحسية الأولى الى جانب المعنى الجديد الذي استعملت فيه . قال ذو الاصبغ العدواني (٢) مفتحراً بكرامته ، وعرة نفسه حيث بشرد وينفر من البد الذي لأكرامة فيه متمثلاً في دهنه صورة الابل حين تنفر من صاحبها قال :

عَفَّ نَدُودٌ اذا ماخُضْتُ من بَلَدٍ

هَوَاناً فَلَسْتُ بِوَقَابٍ على اُحْوٍ (٣)

فصورة الابل حين تنفر من صاحبها واصحة في اتجاهات البيت السابق ولكن موحيات التعبير القرآني أعمق آثاراً ، لأنها ترسم حول التعبير صوراً أخرى تزيد ملامح صورة نمار الابل وضوحاً وبياناً ، فيوم الشاد هو اليوم (١) عن لسان العرب ٤ : ٤٢٩ ، وانظر أيضاً جهمرة اللغة ١ : ٧٧ ، ٣ : ١٩٠ ، الصحاح ١ : ٥٤٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١١ ، المحصص ٧ : ٨٥ باب ترك الابل واحمالها ،

(٢) ذو الاصبغ العدواني واسمه حراث بن حارثة بن محراث ، وقيل له ذو الاصبغ لأن أمي ضربت ايها رجله فقطعتها ، وهو أحد الحكماء الشعراء قيل انه عمر دهمراً . أنظر الشعر والشعراء ٢ : ٥٩٧ ، المعمرين : ٥٨ ، المؤتلف والمختلف : ١٧٠ .

(٣) التفصيلات : ١٦٣ .

الذي يفر الناس فيه بعضهم من بعض يشبهون في ذلك الابل حين تسد على وجهها بعيداً عن اصحابها ، وتنفّر هاربة منه ، ومن الطبيعي ان الابل لا تفر من اصحابها الا اذا فرغت واصطربت اضطراباً شديداً . وبذلك شبه حل الناس حين يسمعون صوت النفير المتزعزع يفر كل انسان بنفسه باسماً اهله وأولاده . لان هول الموقف لا يقي لهم تفكيراً ، ويكون الناس عند سماعهم صوت النفير كما تصوره الآيات الكريمة : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ، وَلَا يُسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً ، يُبْصَرُونَ ثُمَّ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِثَبْتِهِ ، وَصَاحَتِ وَاحِبَّةٌ ، وَفَصَلَّتْهُ السُّجُودُ ، وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ نَبْجِيهِ) (١) . ومع اننا نحسد ان المعاني الأخرى التي توحىها كلمة النفاذ ، والتناد ، تجتمع كلها لترسم صورة ساعة النفير الا ان صورة الابل اشارة اوضح ملامح ، واعمق ابعاداً من الصور المعنوية الأخرى وهذا التوجيه الآلة الكريمة يرسم صورة الناس المعرّين المدبرين الذين ينصابحون ، ويتصارخون بالويل والثبور ذلك لان الآية التي ورد فيها (التناد) قد أُنمت بقوله حل من قائل : (يَوْمَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مَا يَكُفُّ عَنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ) (٢) . واذا عدنا الى التفسير السابقة عهد الالمفسرين اعتمدوا على أربع استعمالات للكلمة - كما مرّت سا - وهي السداء بمعنى رفع الصوت والمحاطة ، ثم التنادي بمعنى التصايح من الخوف والثور ، وثالثها السداء حيث يجتمع الناس على صوت يناديهم ، وهو الاستعجال الذي قد يبدو متعارضاً مع الاستعمال الرابع الذي هو النفور . وتبدو هذه التفسير بعيدة بعضها عن البعض الآخر ولكن تشع

(١) سورة الماعز ٧٠ : ٨ - ١٤

(٢) سورة غافر ٤٠ : ٣٣

استعمال الكلمة يعبتا على إيجاد تفسير واحد يجمع كل التفسير السابقة ، وذلك اذا اعتبرنا الفعل الثلاثي المصغف (نَدَّ) هو اصل الكلمة وهو بدلٌ على التجميع ، ثم نُفَتْ ادغام الحرف الاخير فـقيل (نَدَى) . قال ابن فارس . (الدون والادال والحرف والمفتل بدل على تجمع) (١) . و منه النندي الذي هو البَنَلُ والرطوبة (٢) ، ثم استعير في وصف الصوت النندي من حيث انه من نكثر رطوبة فمه حسن كلامه ، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق (٣) ، وهو معنى بلمحه ايضاً في المنادي لان صوته يكون غالباً يُسْمَعُ كل من في القوم . ثم تطورت الكلمة الى نَدَّ بمعنى تفرق كما مر بنا (٤) . ثم قيل بادي بمعنى صاح وحاطب ولا يوجد فرق او تضاد بين معنى نَدَّ الذي هو التفرق وبين نَدَّ الملازمة للمادي بمعنى التجمع ، ذلك لان كل تَجْمَعٍ يكون نتيجة لتفرق وكل تفرق مناتٍ عن تجمع ، فكلاهما حركة متصلة تفصل الاولى الثانية وتكون نتيجة لها (٥)

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١١

(٢) اعتبر ابن فارس هذا المعنى اصلاً اخر للكلمة بعد ان وضع لها الاصل الاول الذي هو التجمع ، ولكننا نجد انه استعمال آخر للكلمة بعد ان نُفَتْ ادغام حرفها الاخير وبطهر فيه معنى التجمع ايضاً ، لان الرطوبة او البلال تنتشر على الثيب اذا وجدت .

(٣) المفردات : ٥٠٥

(٤) بالاحظ في هذا لياب قول الخليل في الشائي المضاعف كالصبيصة

مثلاً انظر العين : ٧

(٥) وقريب من هذا بحث ابن جني حول مادة (قور) ، فيها كما يقول (ابن وجدت ، وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه انما هو للحموف والحركة ، انظر الخصائص ١ : ٥

والتفسير الذي نراه جامعاً لكل المعاني السابقة يوضحه لنا استعمال كلمة المنادي في الشعر الجاهلي ، وحدث لأنها أطلقت مرادفة لمعنى الداعي الذي مرّ بنا سابقاً ، فالمنادي هو الذي يستصرح القوم عند الحروب والفتارات المماثلة ، ويدعوهم إلى الأمر الحام الذي ينتظرهم . قال بشر بن أبي خازم :
 شيب لا تحيم عن المادي ومُرْدٍ لا يُروِّحُها اللقاء (١)
 وصريح المادي يرهب من يسمعه في الحروب ، ومن هنا فهو مدعاة للمفجرة بين الشعراء فيمحور شاعرهم بنجدته لصريح المادي ، ودعوته إلى الحرب والدفاع قال دريد بن الصمة :

إني إذا نادى المُنَادِي كَلِمَةً إِحْدَى لِيَالِي الْحَقِّ لَمْ أَتَغَفَّلْ (٢)
 فالمنادي اقترت صورته بصورة الفرع والرعب الذي يثيره الصريح المُهاجِئ فما إن يسمع القوم صوته حتى يعرفوا حقيقة أمرهم وهي أن عارة مفاجئة قد داهمتهم قال الكلحة العربي (٣)
 ودَدَى مَادِي أَحْيَى أَنْ قَدْ أُتِيبُمْ
 وقد شَرَّيْتُ ماءَ الْمَرَادَةِ أَحْمَعَا (٤)

وحين ينادي المادي مؤدوا للحرب والمعاراة يجتمع حوله الناس ملين نداء الدفاع عن القبيلة وشرقةها ، ومن الناحية الأخرى قد بسب صريح المنادي هرب الحبياء من الناس ومن هنا جاء معنى التفرق والتجمع الذي

(١) ديوان بشر بن أبي خازم ٦٠

(٢) الوحشيات : ٢٥٥

(٣) ١٥٥ هـ هجرة بن عبد مناف بن ثعلبة بن يربوع ، أحد رسل بني تميم وصاداتها ، شاعر محسن والكلحة لفته ومعداد في اللغة صوت النار . المؤتلف والمختلف : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، حراة الادب ١ : ١٨٩ .

(٤) المفضليات : ٣١ :

يفهم من كلمة المادي في الآية الكريمة .

ثم ان القوم ينادي بعضهم بعضاً في الحروب والهجمات المفاجئة ليحملوا الجميع على الحرب والاغاثة قال طميل الغوي .

فَبَاتُوا يَسْتُونُ الزَّجَاجَ كَأَنَّهُمْ

اِذَا مَا تَنَادَوْا خَشَرَهُمْ مُتَحَدِّبُ (١)

ويعود الى الآية الكريمة حيث يجد ان كلمة التناد استعملت مطلقاً دون الاششارة الى تناد الابل ، او تنادي القوم وصيحبهم ، واستعمالها مطلقاً هو الذي يريد من هول الوصف والفرع ليوم القيامة ، وتجتمع كل المعاني التي تتداعى عند ذكر كلمة التناد ، وتعاون كلها على رسم صورة الناس المدبرين من المزعج ، وقد اشار الزمخشري الى هذا في تفسير قوله تعالى : (رسا اننا سمعنا مادياً ينادي الإيمان (٢)) قال : (فان قلت بأي فائدة في الجمع بين المادي وينادي ؟ قلت : ذكر البدء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيماً لشأن المادي ، لانه لامادي اعظم من متادي ينادي الإيمان ! وذلك ان المتادي اذا اطلقت ذهب الهم الى مادي للحرب او لاطعام باثرة ، او لاغاثة المكروب ، او لكفاية بعض النوارل او لبعض المنافع) (٣) .

ومن هنا جاءت الروعة في التعبير القرآني ، وتجلي الاعجاز في كلمة واحدة مطلقاً عن التحديد بإيجاء خاص ، فاوحت بكل ما توجيه كلمة المتادي بمعانيها المختلفة فهي ترسم في الذهن شتى الصور الزاخرة بالحركة (١) ديوان طفيل : ٢١ ، واطر تنادي الخيل في الحرب ديوان بشر بن

ابي خازم : ١٠ المخصص ٦ : ١٤١

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٩٣

(٣) الكشف ١ : ٣٦٩

والانفعال ، ذلك لان الناس يهتّون من قورهم اثر منبه مفزع هو المادي الذي يدعّوهم الى يوم الحساب فيجتمعون تلبية لندائه ، ولكنهم في نفس الوقت يتنادون بينهم ويتصاحون خوفاً ، وهلمّا ، ويفر بعضهم من بعض هارباً على وجهه كما تندُّ الابلُ بكل ما يحمله هذا المعنى الاحير من اجماعات وثيقة الصلة بالبيئة العربية .

وعلى هذا فكل تعابير المفسرين السابقة يمكن ان نفهم مجتمعة في التعبير القرآني ، وهي نفس الاجماعات المارة الملائمة بالحركة السريعة التي مرت بها في الداعي ومن تعبري الداعي والمادي تتشكل الصورة اثنائية من صور التميز العام الذي يكون قوامه صوتاً مفرعاً ينادي الناس ، ويجمعهم من قبورهم الى ساعة الحساب .

ج - الصبيحة والزجرة :

واخبراً فهناك اللوحة الثالثة التي يشكلها تعبيران ايضاً هما الصبيحة والزجرة ، قال سبحانه وتعالى (ويقولون متى هذا الوعدُ ان كنتم صادقين ؟ ما يظنون الا صبيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، ويصيخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعدنا من قدينا ؟ هذا ما وعدّ الرحمن وصدق المرسلون وان كانت الا صبيحة واحدة فاذا هم جميعٌ ندّينا مُحضّرون) (١) .

وقد اسرت الصبيحة باللفظة (٢) ، ونصبرها هذا متأثراً من طبيعة استعمالها وكونها مهمة عامصة ، فهي توحي مع السياق العام بكل معاني

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٣

(٢) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥

العرع والعرع وما ان النسخ في الصور او الناقور يتبعه صوت شديد يلائم شدة يوم القيامة فهذا الصوت هو الذي فهم منه معنى الصيحة فقالوا انها الصيحة ، وفي قوله تعالى : (وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) (١) روي عن ابن عباس انه فسر المنادي بالصيحة (٢) . وتفهم هذا التفسير اذا تذكرنا ان نداء المنادي ، وصريجه عند الملمات انما يكون بصوت مرعى عال - كما مر بها - وان صوت المنادي يوم القيامة يكون مرعياً مزعجاً عالياً ليسه الناس من قبورهم ويدهوهم ليوم الحساب .

والصياح في الاصل هو الصوت الشديد الخالي كما يقول صاحب العين (٣) وقال الجستاني الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع وقبل هو الصوت الشديد ما كان (٤) ، وهو الاصل الذي وضعه ابن فارس للكلمة حين قال (الصاد والياء والخاء اصل صرخ وهو الصوت العالي) (٥) وكما لارم المنادي والداعي البينة العربية في حروبها ، وصريجها عند الملمات فكذلك الصيحة اذ انها اطلقت على انفارة اذا فوجيء الخي بها (٦) وتصايح القوم بمعنى تداعوا (٧) ولما كان الصياح مقابلاً للصرخ الذي هو صوت غير اعتيادي فان سماعه يؤذن بشيء ، وأدى بالحق القوم

(١) سورة في ٥٠ : ٤١

(٢) جامع البيان ٢٦ : ١٨٣

(٣) عن الخصاص ٢ : ١٣٣

(٤) ن ٢٠ م ٢ : ١٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٣٢٤

(٦) لسان العرب ٣ : ٣٥٣

(٧) اساس البلاغة : ٥٥٠

والسذر لحم من حادث متفجىء مرعب . فإذا سمع الصياح تبادر الى
 الدهن الرعب ، والفرع ، قال المايعة الذبياني :
 كَأَنَّ عَلَى الخُلُوحِ يِعَاجُ رَمَلٍ زَهَاها الرعبُ أو سَمِعَتْ صِيَاحا (١)
 وقال أيضاً مادحا نبي حذمة بأنهم إذا سمعوا الصياح بادروا الى
 الاجابة :

قَوْمٌ إِذَا كَثُرَ الصَّيَاحُ رَأَيْتَهُمْ وَقَرَأَ غَدَاةَ الرَّوْعِ وَالْأَنْفَارِ (٢)
 وفي هذا دلالة على ماثوحيه كلمة الصبيحة من انها وسيلة للتفجير مقترنة
 بالرعب والصوت المفزع في البيئة العربية ، ولما كانت الصبيحة مقترنة بالفزع
 وان الهلاك متوقع بعدها لأن فيها انداراً لما بعدها . ومن هنا فسر أبو عبيدة
 الصبيحة بالهلاك قال : (فَأَحَدَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ مُصْبِحِينَ أَيِ الْمَلَائِكَةِ ، وَيُقَالُ
 صَبَحَ بِهِمْ أَيِ أَهْلَكُوا) (٣) وذلك لأن الهلاك يقع الصبيحة القوية الصادرة
 عن الرعب ، وهول الحادث .

أما الزجرة فقد قال تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ ، تَتَنَفَّسُهَا
 الرَادِفَةُ ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَصْأَرُهَا خَاشِعَةٌ ، يَقُولُونَ أِنَّا لَمَرْدُودُونَ
 فِي الْحَاوِرِ ، إِذَا كُنَّا عِظَامًا تَحِيرَةٌ ؟ قَالُوا تِلْكَ إِذْ أَوَّلَ كَرَّةٍ خَاسِرَةٌ ،
 فَأَمَّا هِيَ رَجَرَةٌ وَاحِدَةٌ فَأَدَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (٤) .

- (١) ديوان المايعة الذبياني . ٢٧ ، وانظر شواهد أخرى من الشعر في
 المضيات : ١٢٤ ، الوحشيات : ٩٦ ، الحيوان : ٥ : ٦٠٢ .
- (٢) ديوان النابغة الذبياني : ٦ .
- (٣) مجاز القرآن ١ : ٣٥٤ .
- (٤) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ ، والساهرة وجه الأرض المستوية أنظر
 الكشف ٣ : ٣٠٩ ، المخصص ١٠ : ٦٨ ، ١٤٦ .

فقد فسرت لرجرة هنا بالصيحة (١) ومرت بالصُّور قال السجستاني :
 (زحرة واحدة يعني صيحة الصُّور) (٢) ثم فسّر نوع الزحرة ودلالاتها
 فقال : (الرَّحْرَرةُ : الصيحة بشدة وانتهاز) (٣) أما الزمخشري فقد فسرها
 بالصيحة ثم حدد الصيحة بأنها الصيحة الأولى قال : (فان قلت رِمَ تعلق
 قوله فاما هي زحرة واحدة ؟ قلت محذوف معناه ، لانستصعبوها فاما
 هي رجرة واحدة ، يعني لاتحبسوا تلك الكرة صعدة على الله عز وجل
 فاما سهولة هينة ، ماهي إلا صيحة واحدة يريد النفخة الأولى) (٤) وحددها
 الطوسي بالنفخة الثانية (٥)

وكما استطعنا ان نتعرف على سبب جمع لمفسرين بين الصيحة والتعابير
 الأخرى للنمير ، فكذلك هنا ، لأنه لما كانت الآيات الكريمة التي تخص نمير
 يوم القيامة مرتبطة كلها بصوت مرعب مرعب ، فان هذا الجو نفسه يلازم
 إحياء كلمة الزحرة مما يوجه المفسرين الى تفسيرها بالنفخة والصيحة ، ولم
 تقتصر لرجرة بالصريح المفزع عند المبت كما هو الحال بالصيحة فحسب
 انما الملاحظ اقترانها بالشدة والهمول أكثر مما هو في الصيحة ، كما في الأولى
 من إحياء القوة والعنف . هذا المعنى الشديد المرعب استمد إحياءه من الهيئة
 العربية نفسها حيث اطلقت الكلمة على معنى حمي يشهده العرب في كل
 وقت وهو معنى الصيحة والانتهاز التي يرجز بها الحيوان ويساق على أرضها
 بشدة ، وعنف ، قال الخليل : (تَعَقَّى الراعي بالعنَمَ بعية : صاح بها

(١) تنوير المقياس : ٣٨٠ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٥ .

(٢) غريب القرآن : ١٢٢ .

(٣) ن . م

(٤) الكشف ٣ : ٣٠٩ .

(٥) التبيان ١٠ : ٢٥٤ .

زجراً (١) ، وقال ابن سيدة في باب الزجر بالخيل ، والبغال ، والحمير :
 (رَجَرَ) الدابة والرجل والسبع ونحو ذلك ازجره رَجْراً ، وزدجرته
 وزَجَرَه وَاَزْدَجَرَ (٢) ، وقال الراغب : (الزجرة طرد بصوت . .
 ثم يستعمل في الطرد تارة ، وفي الصوت أخرى ، واستعمال الزجر لصباحهم
 بالمطرد نحو ان يقال اعزب وتنع وراءك) (٣) .

وقد اختلف في هذا الصوت الذي يُرَجَرُ به الحيوان تبعاً لنوع
 الحيوان ، وما اعتاده من الصوت الذي يؤثر فيه وزجره (٤) ، ومن هنا
 قيل زَجَرَ المعبر أي ماقه (٥) ، لأن السوق نتيجة للصيحة أو نتيجة لرحل
 الراعي لها بشدة تدفعها نحو المسير ، ومن هنا جاء تفسيرهم لقوله تعالى :
 (والصافات صفاً ، فالزاجرات زجراً) (٦) حيث فسر الزاجرات
 بالملائكة لأنها ترَجِرُ السحاب أي تسوقه (٧) .

وسوق الابل بالزجر يتم عن قوة وشدة اعتاد العربي ان يسوق اليه
 بها اذا اراد امراعها أو اذا أحجمت عن المسير ، ومن هنا عابوا على امرئ
 القيس قوله في مفاخرته مع عاقمة الفحل واصماً فرسه :

(١) العين : ٨٩ .

(٢) المحصص ٦ : ١٨٢ .

(٣) المفردات : ٢١١ .

(٤) التهذيب : الورقة ١١٧ ، ١٣٣ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف الورقة

٣٩٠ ، المحصص ٧ : ٨٠ .

(٥) الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، لسان العرب ٥ : ٤٠٧ .

(٦) سورة الصافات ٣٧ : ١ - ٢ .

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٢٣ ، أساس البلاغة : ٣٩٤ .

فللساقِ الطوبى وللسوطِ ديرة

وللزجرِ منه وقعٌ هوجٌ منعتُ (١)

ذلك لأن المرس الحيدة لا تحتاج الى القوة والزرح في سيرها ، فاعتبر
هذا مأخذاً عابوه عليه (٢) .

وإذا زجرت الاس فاما لاسرع فحب بل تصبها الخفة والطيش
لا في الزحرة من تهنئ شديد يبر رعمها وحومها ، ومن هنا فخرها والباقة
التي لازعب اذا زجرت (٣) .

وإذا كانت العرات اماماجئة تستدعي السرعة في الهجوم والكر واهم
فقد اقترون لزرح باحتلاط أصواتهم في الحروب ، فالت الخرق بنت
هفان (٤) .

قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا سَمِعَتْ لَمْ تَغْطَأَ مِنْ لَأْيِبِهِ وَالزَّجَرِ (٥)
وأشد أبو عثمان المازني (٦) :

(١) ديوان امرئ القيس : ٥١ .

(٢) الصناعتين : ٧٤ .

(٣) أراجيز العرب : ١٧ ، أنظر أيضاً المخصص ١٢٣٠٧ .

(٤) هي الخرق بنت بشر بن هفان وبهصهم يسميها الخرق بنت هفان من
بني ضبيعة ، وهي اخت طرفة بن العبد لأمه . شاعرة من اشهرات في اهلالية
تروحها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بني أسد وقتله بنو أسد فكان أكثر شعرها في
رثائه ورثاء أخيها طرفة أنظر حزاية الأدب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٥) الحماسة النصرية : الورقة ١٢٤ (أ) .

(٦) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقره ، أبو عثمان المازني من مارن شيدان
أحد الأئمة في النحو . من أهل البصرة ووفاته فيها . أنظر معجم الأدباء ٢ : ٢٨٠
فأبعدها .

لما سَمِعْتُ زَجَرَهمْ هِجْطُ عَلِمْتُ أَنَّ فارِماً مُنْحَطُّ (١)
ومن هذا المعنى الحمي جاء الاستعمال المعوي للزجر وهو دلالة على
النهر ، والرَدع مصفأ . قال الزجاج الزجر النهر (٢) . وقد وردت هذا المعنى
في الشعر جاهلي (٣) . ومنها قالوا الرواحر : المواقط لأما زجر الانسان
وتمنعه عن السيأت (٤) .

ومن هذا يتضح اما ان استعمال الزجرة في القرآن الكريم مطلقة يزيد
من ايحاء العنف والقوة اندي لارم ساعة الفشور لأبها صوت مهم ، ولكنه
مفرغ برعب كل من يسمعه ، وقد قرن الزعشري الزجر بمعناه الحتمي حين
فسر الآية قال هو (من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه) (٥) وقد مر
بنا ان زجر البعير ليس صياحا عليه فحسب بل هو نهر ، وسوق مشددة
وقوة لما جعل الزجرة في القرآن الكريم وسبابة للغير تشر في النهر صورة
للجنة العربية مقترنة بالرعب والمرعة والسوق الشديد ، فكأن الناس لا يوقفون
على الصوت المزعج فحسب انما يساقون ويدفعون بكل ما تحمله كلمة السوق

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢٣٧ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٤٠٧ . وانظر أيضاً الصحاح ٢ : ٦٦٨ .

(٣) انظر ديوان النابغة الذبياني : ٦٨ ، ديوان الخنيسرة : ١٧٥ ، ديوان
عروة الورد : ٧٢ ، شرح ديوان كعب بن زهير : ٢١٣ ، الكامل للمبرد ١ : ١١٦ .

(٤) أساس البلاغة : ٣٩٤ . وهو المعنى الذي صرح به قوله تعالى في سورة
القمر ٥٦ : ٤ (ولقد جاءهم من الأنباء ما قب له زجر) ، فقصص الأنبياء ،
والاقوام السالفة زجر للعشركين ، لأن فيها ما يردعهم ، ويرجرهم عما هم عليه ، فيجسون
من التكذيب آيات الله جامع البيان ٢٧ : ٨٩ .

(٥) الكشف ٣ : ٣٠٩ .

من معاني الذلة والعنف تماماً كما يساق ويؤثر العير الذي تعود القوة والعنف من صاحبه .

محشر الناس من قلوبهم مصحوب في كل صور الفير لربع والفرع ، وقد أصاف تمير الرحرة معي آخر هو الذل والعنف ، كما ان تركيدها بكلمة (واحدة) يدل على القوة والسرعة لأنها تيسر سهولة قيام لاعة عند الله ، وسرعة قيامها إثر صيحة وزجرة واحدة لا أكثر .
ويهدس التعبير الصيحة والزجرة تتشكل في الدهن لوحة ثالثة للفير وحشر الناس إثر منه عظيم برعبهم .

هذه اللوحات الثلاث عرضت في القرآن الكريم لبيان عرص واحد هو الفير الذي يحشر بواسطته الناس يوم القيامة ، وإذا كانت هذه التعابير قد احتلقت وتنوعت فإن الروح مشتركة فيها جميعاً ، فالصور والدور فيرم اللوحة الأولى هما وصلتا الفير بعنق فيها فيسداك صوتاً مرعاً يجمع على إثره الناس . أما الداعي والمادي فانها بصيحات بصوت مرعب وفرع فيهرع الناس نحوها نلبية للنداء ، وقد ذهلت عقولهم ، وفرعت قلوبهم . أما الصيحة والزجرة فقد صورتنا الفير بصوت مرعب واحد يهيج الناس فيحشرهم ليوم القيامة فصور الفير المرعب مشترك في اللوحات الثلاث ، كما ان الاتجاهات التي رسمها الآيات السكريمة في الدهن هي نصها في كل التعابير الا وهي الفرع وامراع الناس نحو النفس ، وقد دلت نفوسهم واحاطهم الرعب والفرع ، وشغل كل منهم عن غيره ، لا يفكر إلا في ادول الذي ينتظره ، والذي رأى بواره في الفير المرعب الذي دعوا بواسطته

٢ - مدة للفير :

حين كثرت التعابير التي تصور الفير احتلظ على المفسرين أمر تحديد

المرات التي يدعى فيها الناس الى التعبير لذلك نراهم مثلاً قد احتفوا في تحديد الصيغة ، وقد فسرهم بعضهم مطلقة من تحديد بالنقطة الأولى ، أو الثانية أو الثالثة عند بعض المفسرين (١) وعند الطوسي والرمحسري الصيغة الثنية (٢) وفسرها لطبري بالصيغة الثالثة (٣) ، وكذلك الحال مع الزجوة (٤) .

واختلاف المفسرين في تحديد المرات التي يدعى فيها الناس بمسكن أن محله تعديل ، فهم لم يجهوا أن التعارض السمة التي مرت بنا إنما هي وسائل متعددة الوجوه لبيان صورة واحدة هي صورة التعبير الذي يدعى بواسطة الناس وأن هذه التعبير تشترك كلها في بيان هذه الصورة ، ثم إذا نجد في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الصور اشارات الى تكرار الجمع فيه ، مما يدفع البعض الى الاعتقاد بتكرار التعبير أكثر من مرة قل الله سبحانه وتعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَتَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخُ بِهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (٥) وقال أيضاً (يَوْمَ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَّعِبُهُ الرَّادِفَةُ) (٦) .

ويبدو انه لا معارض بين توكيده صراحةً وحل الآيات التي تخص التعبير بكلمة (واحدة) (وما يَسْطَرُّ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مِمَّا مِنْ هُبْرَاقٍ) (٧)

(١) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، الكشف ٣ : ٥٥ .

(٢) التبيان ٩ : ٣٧٦ ، الكشف ٣ : ١٦٥ .

(٣) جامع البيان ٢٣ : ١٧ .

(٤) التبيان ١٠ : ٢٥٤ ، الكشف ٣ : ٢٠٩ .

(٥) سورة الزمر ٣٦ : ٦٨ .

(٦) سورة الدارعات ٧٩ : ٦ - ٧ .

(٧) سورة ص ٣٨ : ١٥ .

لا تعارض بين هذا التوكيد وبين فهم المفسرين لتفجعات وتجليدها بالأولى والثانية والثالثة ؛ لأن النفي الذي يدعى اليه الناس إنما يكون مرة واحدة سواء كان ذلك الصور أو بدعوة الداعي ، وإنما يُنقَضُ في الصور أول مرة فتصير الخلائق وهي التي يصنع لها من في السماوات والأرض ، وتختتم فيها الحياة ، وتتلو هذه نعمة أخرى وهي نعمة النفي التي تعث الناس من قورهم إعلالاً لساعة الحساب ، ومن هنا يجد أن النفي ليوم القيامة إنما يكون نعمة واحدة لاعلاقة لها بالنعمة التي تسبق موت الخلائق ، وهذا العلم ، وهي بهذا لا تدخل ضمن مجشأ للنفي وحشر الناس من قورهم وتجد لهذا التوكيد دلالة أخرى وهي تصويرها لسرعة مدة النفي ، وأنه يكون بطواعية ودون تأخير ، وما يؤكد كون التعابير الستة السابقة وسائل عديدة لتصوير النفي وما لا يراد بها تحديد عدد المرات أن كلمة (واحدة) لازمت اندفحة ، والصيحة ، والرحمة ، فالو كان المقصد اظهار العدد للآزمت تعبيرا واحداً دون التعابير الأخرى .

وعند التغير المرعب الذي يبه انسان بواسطة مجنون أنفسهم وجهاً
لوجه أمام الهول والمزع ، وتنقسم الأواصر الدسوية التي يتقرب بها
الناس بعضهم الى بعض ، ولا اسباب تمنعهم ولا ساطن يشتد هم من
العذاب الذي ينتظرهم فيتمنون العودة الى الحياة الدنيا ، وان هم ذلك ؟
اذ لا مفر لهم بعد ان قامت الساعة وتؤدي للحساب . هذه الفكرة صورت
تعبيراً رائع في آية قرآنية كررة تعكس لنا صورة زاهرة بالحياة الانسانية
وفيها الامكان للبيئة العربية : قال سبحانه وتعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
عَادُ وَامْرُؤُوهُمُ الْاَوْتَادُ ، وَنُوحٌ وَقَوْمُ لُوطُ) واصحابُ الْاَيْكَةِ اُولَئِكَ
الْاَحْرَابُ ، اِنْ كُلُّ الْاَكْذَابِ الرِّسَالُ فَحَقَّ عِقَابُ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ

الا صبيحةً واحدةً ماها من فُواق (١) :

وقد اختلف المقصود في قراءة الفواق بالفتح أو الضم ، واحتلهوا في تفسيرها تعاماً لذلك قول القراء : (ماها من فُواق يقرأ بالضم والفتح أي ماها من راحة ، ولا افاقة ، ولا افاقة ، ولا نظرة ، وأصلها من الافاقة في الرضاع اذا ارتضعت النحلة امها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن فذلك الافاقة الفواق (٢) . وقال أبو عبيدة ماها من فُواق من فتحها قل : ماها من راحة ، ومن ضمها فُواق وجعلها من فُواق ناقة وهو ما بين الحشيش (٣) أما الطبري فاحتلاف القراءة لانعني عنده احتلافاً في المعنى لأنها قراءتان لكلمة واحدة تعيان معنى واحداً (٤) وقد جمع الزمخشري المعنيين في تفسيره حين قال : (ماها من فُواق وقرئ بالضم ماها من توقف مقدار فُواق الدقة وهو ما بين حشيتي الخالب ، ورضعتي الراضع ، يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كفسوله تعالى : (فاذا جاء أجلُهُم لا يستأخرون ساعة) (٥) .

أما عند اللغويين فيجد ان ابن فارس قد وضع معنى الاوبة والرجوع أصلاً للكلمة ، وحاول ان يربط المعاني الأخرى به كقُواق الدقة مثلاً ، ولكن الطاهر ان معنى الاوبة والرجوع متأخر عن معنى فُواق انفاقة ،

(١) سورة ص ٣٨ : ١٢ - ١٥ .

(٢) لسان العرب ١٢ : ١٩٤ .

(٣) عجاز القرآن ٢ : ١٧٩ ، عرب القرآن : ١٨٥ ، تأويل مشكل القرآن

١١٣ ، مجالس ثعلب ١ : ١٦١ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ ، الخفصص ٧ : ٣٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٣ .

(٥) الكشف ٣ : ٤٦١ .

وذلك لأن الثاني معنى حمي سبق في الوجود في البثة الغربية التي اهتمت
اول ما اهتمت بالمعاني المتعلقة في بيتها ، ثم اشتقت منها المعاني الأخرى
ومنها الجارية مثلاً .

وموافق الناقه رجوع اللس في صرعها بعد الحلب (١) ، أو هو ما بين
الحلبتين من الوقت ، لأنها تحلب فترة ثم تترك برضعها ، الفصل لئلا تدر ثم
تُحلب (٢) وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى الحمي كما
وردت في شواهد أخرى دالة على المعاني الجارية قول الأعشى :

حتى اذا فَيَقَّة في ضَرْعِهَا اجتمعت

جاءت لفرص شق النفس لو رصعا (٣)

وقال أبصاً متعزلاً بصاحته مشها إياها بالطبقة ثم يستمر واصفاً الظبية :

مانعادي عنه النهار ولا نعه جُورُهُ الا عفاة أو فواق

أي انها لا تتعد عن رصيعها طول النهار ، ولا تؤثر رضاعته الا ربثاً
يجمع في ضرعها بعض اللبن (٤) وقال الطرماح وهو الشاعر الحارثي الذي
يبحو في شعره نحو الاعراب وأهل البادية قال يصف سرعة قداح اجبلت
فيشبهها بغرلان تذكرت فيقة ارامها :

تَحْبُورُ بِالْأَبْدِي اِذَا اسْتَمْعِلَتْ عَدُوّاً عَلَى خِيْمَةِ اجسامها

حوارَ غرلانَ ليوى هَيْتَمُ تذكرت فيقة ارامها (٥)

ووردت كذلك في الحديث السوي الشريف في قوله (ص) من قاتل

(١) العين : الورقة (٥٦) ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ١١٣ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، ضرب القرآن : ١٨٥

(٣) ديوان الأعشى : ١٣ ، وانظر أبصاً شرح القصائد السبع . ١٣ .

(٤) ديوان الأعشى : ٣٢ .

(٥) ديوان الطرماح : ١٦٣ .

في سبيل الله فواق ذاقة وحت له الجنة (١) . وروى عنه (ص) انه قال .
 عيادة المريض قدر فواق ذاقة (٢) . ومن هذا المعنى الحسي اشتقت باقي
 المعاني الأخرى المعنوية منها والخيارية فالأفوابق ما اجتمع من السحاب من
 ماء فهو يعطر ساعة بعد ساعة (٣) . وصورة فواق الذاقة واضحة هنا في
 اجتماع الماء في السحاب بين الصبة والأخرى .

ومن الخمار تهوَّفتُ الماءَ شربته شيئاً بعسده شيء (٤) . وكذلك
 الفواق وهو الذي يأخذ الانسان عند السَّرَّع ، وكذلك الريح التي تشخص
 في صدره (٥) والفواق زديد الشهقة (٦) فكأن روع المارت سمي فواقاً لأن
 الروح عند النزاع تقبض ثم تعود ، كما يرجع النبس عند فواق الناقة .

وقولهم مايقق وما يستنق من الشرب (٧) . واستنق من مرصه
 وأفاق (٨) . وهذا المعنى مستمد أبصاً من المعنى الحسي المستعمل في الآية
 وهو فواق الذاقة ، وقد صرَّح المصنِّف بسلامة بهذا الأصل وعلاقته
 بإعاقه الشرب ، (مايتيقق وما يستنق من الشرب معناه انه لا يدعه ، وأصل
 هذا من قولهم استنفقتُ الذاقة وهو ان تحلبها ثم تدعها حتى يثوب لها

(١) سنن الدارمي ٢ : ٢٠١ ، وأطر أبصاً مسند الامام أحمد ٢ : ٢٠٦ .

(٢) لسان العرب ١٢ : ١٩٤ .

(٣) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧ : ٣٨ .

(٤) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧ : ٣٨ ، ٩ : ١٠٨ .

(٥) الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، المخصص ٣ : ١١٧ ، ٥ : ٧٨ .

(٦) لسان العرب ١٢ : ١٩١ ، التوادر ١ : ١٠٣ ، المخصص ٦ : ٢٣ .

(٧) الفاخر : ٢٨١ .

(٨) الصحاح ٤ : ١٥٤٧ ، المخصص ٥ : ٨٧ .

ثم نحاولها . فقولهم ما يبرق وما يستفيقُ أي ليس له وقت معلوم . (١) .
ومن همارى ان قوله سبحانه وتعالى : (وما ينظُرُ هؤلاء إلا صبيحةً
واحدةً ما لها من فواق) (٢) اتما يرسم للسامع صورة واضحة الملامح للبيئة
العربية اذ انها توحى أول ماتوحي بالأصل الحمي وهو هواق الناقة الى
جانب المعنى المجازي المراد من الآية وهو معنى العودة والرجوع . ونحن
نعرف أهمية الناقة في الحياة العربية وصلة العربي بها ، وكيف ان لغته قد
وفرت بالألفاظ التي تخص الابل (٣) . فننقل الآية الكريمة الى هذه الفترة
القليلة التي يستلزمها فواق الناقة ، وبمعكس لما هذا المعنى أهمية الناقة ،
وكيف انها ربطت حياة العرب بها حتى صار يحدد بعض أوقاته ، بصاهرة
تحدث أمام باطريه ، وهي الفترة القصيرة التي تستدعي نزول الدين من الضرع
ومن هنا جاء الاعجاز انقرا في رسم صور أشنى في ذهن القارئ في كلمة
واحدة لها دلالتها على البيئة العربية كالفواق بدل ان يقرر بتعبير معنوي
خالص بأن انتعير الذي يدعى اليه الناس لأمهر منه ولا مهرب من عدايه .
وقد أكد هذا المعنى في آيات أخرى للدلالة على سرعة قيام الساعة (وما
أمرُ الساعةِ إلا كمنامحٍ النَّصْتَرِ أو هو أقمر) (٤) . (وما أمرنا إلا
واحدة كلمح بالَنْصَرِ) (٥) .

هذه هي صور التعبير بتعابيرها المحتشمة التي تصور سرعة قيام الناس

(١) الفاخر : ٢٨١ ،

(٢) سورة ص ٣٨ . ١٥ .

(٣) أنظر المحصص كتاب الابل ٧ : ١ - ١٧٤ .

(٤) سورة الزحل ١٦ : ٧٧ .

(٥) سورة القمر ٥٤ : ٥٠ .

من قبورهم والخلع الذي يعتورهم عند سماعهم صوت النعير المفرع ، وفي كل هذه الصور وجدنا ملامح متهددة الخواب لأبيئة العربية تصرع الى الدهن لترسم صورة حية الى جانب المعنى المعنوي المراد ايضاحه في الآيات الكريمة .





الفصل الثاني

اضطراب السماوات والأرض

١ - اضطراب الأرض .

أ - رجتها وزلزلتها

ب - تكسر الجبال وتفتتها

١ - سير الجبال وتشدها بالسراب

٢ - نسفها

٣ - بسها

٤ - تشيدها ، العن

٥ - مركة انهيارها

٢ - اضطراب السماوات

أ - تحولها الى سائل

ب دورانها

ج - تشققها وانفطارها

د - تناثر النجوم

١ - اضطراب الأرض

بعد مشهد الفير المعر الذي مرت بنا صوره سابقاً نحدث في الكون عدة طواهر تشترك كلها في اظهار حو رهيب مفزع يقف الناس أمام هواه وفي كل تعبير محد تصويراً اسابياً رائعاً وتجيداً واضحاً للبيئة العربية .

أ - رجتها وزلازتها

ان الظاهرة التي تعرض للأرض عمر عنها بعدة تعابير تشترك كلها في إيجاد صورة واحدة تتمثل فيها حاة الأرض بعد الفير . قال الله سبحانه وتعالى : (واستمع يوم ينادي المادي من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة ، الحق ذلك يوم الخروج ، إنا نحن نُدّعي وميت ، والينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشرٌ علينا يسر) (١) .

فالأرض بعد صيحة المادي تنصدع وتنفطر كما يقول المعسرون (٢) . وفي سورة الواقعة محد تصويراً لحال الأرض فيه حركة ملازمة للتشقق ، والتصدع . قال سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبةٌ خافضةٌ رافعةٌ ، اذا رُجَّتِ الأرض رجاً ، وبُسَّتِ الجبال بساً) (٣) . فرجة الأرض هنا معناها اضطرابها ، وحركتها السريعة أثر صدمة النير (٤)

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٦ : ١٨٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٥ ،
الكشاف ٣ : ١٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ١ - ٥ .

(٤) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٧ : ١٦٧ ، التبيان ٩ : ٤٨٨ .

والرج في اللغة (أصل يدل على الاضطراب . . . والرج تحريك الشيء
تقول رحجت الحائط رجاً ، وارتج البحر) (١) وقال ابن دريد (وسمعت
رحمة القوم ، أي أصواتهم . وكذلك رحمة الرعد أي صوته) (٢) .
فكأن القوم لا يسمع صوته إلا إذا اضطربوا ، وارتجوا لأمر مروع ،
وكذلك الرعد يسمع صوته حين تصطدم صخباتان بعضها ببعض ، فكان
صوتها يأتي نتيجة الاضطراب والرج .

وهناك دلالة حسية أخرى غير معنى الاضطراب ، وهي تلك التي
أشار إليها أبو عبيدة بقوله مفسراً رجة الأرض : (اضطربت والسهم يرتج
في الغرض) (٣) . وقال الطبري : (إذا رجت الأرض رجاً ، يقول تعالى
إذا زلزلت الأرض فحركت نحرين كما من قولهم انهم يرتج في الأرض بمعنى
يهتز ويضطرب) (٤) .

وهذا التفسير ينقل إلى الذهن صورة الريح حين يرتج ويضطرب .
بالإضافة إلى دلالة على لصوق صورة الريح في البيئة العربية المضطربة ،
حيث الغزوات المفاجئة والموت المحتم إذا اهتز الريح ، واضطرب في بلد
حمله . ولعلنا ذكر الشعراء الرماح وآلات الحرب في أشعارهم ، ووصفوها
بدقة ، لأنها ركن أساسي في حياتهم المضطربة (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٤ ، ونظر أيضاً المعردات : ١٨٦ ، أساس
البلاغة : ٣٢٣ ، أساس العرب ٣ : ١٠٦ .

(٢) جمهرة النعمان ١ : ٥١ ، وانظر شاهد الشعر في ديوان امرئ القيس : ٢١٦

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧ : ١٦٧ ، وانظر أيضاً التبيان ٩ : ٤٨٨ الكشف ٣ : ١٩٩

(٥) أطر في هذا الموضوع بحث وصف الرماح في البيئة الجاهلية في كتاب

الوصف في شعر العراق : ٥٨ :

ومع اقتران هذا التوجيه بصورة واضحة من البيئة العربية وهي اهتزاز
الرياح ، فان هناك تصويراً أشمل لراحة الأرض المربعة ، وذلك ان ربح
الأرض فيضطرب على أثرها كل ماوجد عليها من بناء ، وجمال ، وفتداعي
أركان الكون الواحدة تلو الأخرى وقد ذكره الطوسي الى جانب
اهتزازة الرمح بقوله : (وقيل ربح الأرض بمعنى انه ينهدم كل بناء على
الأرض) (١) . وقال الريحشري : (ربح الأرض ، حركت تحريكاً
شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها) (٢) ،

والأرض عند اضطرابها ترتجج رجاً شديداً مرعاً مثل ارتجاج الرمح
عند اشتداد الحروب ، ونتيجة لهذه الاضطرابات السريعة يسود الاضطراب
الكون كله ، فينهدم كل ما عليها من بناء وجمال .

والزلازة تعبر آخر يصور الظاهرة التي تعرض للأرض ، وقد فسرت
بالاضطراب ، والحركة الشديدة ، قال ابن عباس (زلزلت الأرض زلزلة
واضطربت الأرض اضطراباً ، فانكسر ما عليها من الشجر ، والجبال ،
والبنيان) (٣) . ولعل أقرب المعاني الحسية التي وصلنا لاستعمال الكلمة هي
زلزلة الأرض على اعتبارها إحدى الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض
قال ابن دريد : (الزلزلة الاضطراب . أخذ من زلزلت الأرض زلزالاً) (٤)
ومن هذا المعنى زلزال القدم ، وذلك ان يقال : (زلزلت بافلاق

(١) التبيان ٩ : ٤٨٨ .

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣ .

(٣) تنوير المقاييس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٦٥ ، وانظر أيضاً جمهرة

اللغة ١ . ١٤٩ مقاييس اللغة ٣ : ٤ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ .

(٤) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، معجم مقاييس اللغة ٣ : ٤ .

بالفتح ، تزلزل زلزالاً ، إذا زلزل في طين (١) و (وخلوقة زلزل أي
زأنت ، قال الراجز :

لمن رحمة زلزل
من العبد زلزل (٢)

وهذا الاستعمل مرتبط بالاستعمال المادي ، وهو الاضطراب ، وكان
الأرض تضطرب تحت قدمي الرجل ، فيقال عنه زلزل قدمه (٣) .

لقد اقترنت الزلزلة بالاضطراب ، والحركة الممرعة في الدهن العربي
لما تركه من أحطار ، وآثار حبيمة في أرواح الناس ، وممتلكاتهم ، وهذا
الاقتراح هو الذي جعلهم يطلقون الكلمة على المصيبة والذاتية (٤) . قلت
الخنساء ترني أختها بأن الجبال الشوامخ رجعت لمصيبة فقدته ، وإن الأرض
هي الأخرى اضطربت وزلزلت :

إنك مرة أودت به فقد كان يكثرت ثقته لها

فحتر الشوامخ من فقدته وزلزلت الأرض زلزلاً (٥)

(١) لسان العرب ١٣ : ٣٢٥ .

(٢) الصحاح ٥ : ١٧١٧ ، ونظر أيضاً لسان العرب ٣ : ٣٢٥ ، والبيت

غير منسوب .

(٣) أنظر في هذا ديوان الخطيئة : ٥٥ ، المفضليات ٩٥ ، ٢٣٩ ، شرح

ديوان الخيامية ٢ : ٨٩٧ ، ١ : ٤٥٣ .

(٤) التهذيب ١ : الورقة (١٢٣) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، الصحاح ٥ :

٧١٧ ، أساس البلاغة : ٤٠٥ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ ، وهذا المعنى مسرقوله تعالى

(وزلزلوا زلزالاً شديداً) سورة الأحزاب ١٣ : ١١ ، أطر بحاز القرآن ٢ : ٢٣٤

تفسير المستدري ١٦ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازي : الورقة ٣ (ب) لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ .

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ١٢١٦ ، والبيت الثاني غير موجود في شرح ديوان

الخنساء : ٢١٨ ، وانظر أيضاً أمالي يزيد : ٣٢ ، وانظر أيضاً ديوان المزدحم

صرار : ٣٥ .

ومن هنا يتضح معنى الزلزلة وما توجيه من الاضطراب ، والحركة السريعة الشديدة وحين يفهم هذه المعنى يستطيع ان يتحسس أي معنى مخرج ، وحركة مرعة توجيها الآيات الكريمة : (اِذَا رُزِّزَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا ، وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ نَفْقَاتًا ، وَقَالَ الْإِنْسَانُ : مَا هَٰذَا ؟ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ الْحَارَاتُ) (١) فمحدد فيما تصورا حيا لحال الأرض بعد التغير بحيث ترح رجا شديدا ورارل عما فيها من حباب واناس ، وتلفظ ما في حورها من الدفائن وهي ترسم في الدهن زلزلة الأرض ، واضطرابها الشامل كما ترسم لنا ذلك لاضطراب ادي بعثري الانسان ، فبشعر كائن الأرض تهتز فحمته ، وتضطرب .

ب — تكسر الجبال وتفتتها :

اما الجبال فانها هي الاخرى بصيها من الاضطراب ما يصيب الأرض من هول موقف القيامة ولتصوير حال الحال . واضطرابها عنة تعابير قرآنية تجمع كلها لاجماد صورة واحدة لاضطراب الجبال يوم القيامة . وفي كل تعبير منها يجد دلالة واصحة ببيئة العربية واول هذه التعابير هو ١ — سير الجبال وتشبيها بالسراب :

نسير الجبال من أول الصور التي تصور حال الحال يوم القيامة : قال الله تعالى : (يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ، وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ، وَحَشَرْنَاهُمْ هُمْ نَعَادَرُ مِنْهُمْ أَحَدًا) (٢) .

وفي سورة لعل شبه سير الجبال بمرور السحاب : (وَتَرَى الْجِبَالَ

- الزبيدي : ٣٢ ديوان المررد بن ضرار : ٣٥

(١) سورة الزلزلة ٩٩ : ١ - ٤

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٤٦

تحسبها حامدة وهي تمر مرت السحاب . (١) . قال ابن عباس : (ساكنة مستقرة ، وهي تمر مرت السحاب في الهواء) (٢) . وفي لطيفي رواية أخرى عن ابن عباس ايضاً تعمل ككون لجال حامدة (لانها تجمع ، ثم تسير . فبحسب رائبها لكثرتها انها واقفة . وهي تسير سيرا حثيثا كما قال الجعدي :

أرأيت مثلاً الطود تحسب انهم

وقوف حاج : والركاب تهتمتع (٣)

واضاف الطوسي : (اي من اجل كثرتهم ، وانفائهم تحسب اهم وقوف ، فكذلك الجبال) (٤) .

وذكر القاضي عبد الجبار بن احمد (٥) تعليلاً آخر لهذا التعبير : وهو قوله . (وقد قيل انها تبلغ في سرعة الحركة ، ما لا يكاد يطرأ لها

(١) سورة المل ٢٦٧ : ٨٨

(٢) تنوير المقياس : ٢٣٩ . وانظر ايضاً جامع البيان ١٥ ، ٢٥٧ ، ٢١

الكشاف ٢ ، ٢٦١

(٣) حرمع البيان ٢٠ ، ٢١ ، والبيت في ديوان المايعة الجعدي ١٨٧ ، الارض يراد به الجيش العظيم شبهه بالحل الصخم ذي الرعد وهي الفصول ، وقيل الارض اكثرته ، وتهملح تمشي المملحة وهي السير الحسن في سرعة والبيت شاهد على ان الشيء الصخم تراه وهو يتحرك محسوساً جامداً ساكناً مع انه يسرع في سيره . . وذلك هو شأن الجبال يوم القيامة .

(٤) البيان ٨ : ١٢٤ ، وانظر ايضاً ٢ : ٤٦٣

(٥) هو عبد الجبار بن احمد الحمداي . قاضي اصولي كان شيخ : المعتزلة

في عصره ولقب بقاضي القضاة توفي سنة ٤١٥ هـ انظر تاريخ بغداد ١١ : ١١٣ لساب الميزان ٣ : ٣٨٦

متحركة خصوصاً اذا كان المرء يتحرك مع حركتها : فيكون اسرع
كراكب السفينة ، فانه يطن مع سائر الركاب انهم ساكنون ، وان كانوا
يتحركون اسرع حركة (١) .

ومشهد سير احوال شبه في سورة السأ ، السراب ، وسنجد ما لهذا
التعبير ، من دلالة على الهيئة العربية . قال الله تعالى . (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي
الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ، وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) (٢) .

قال الطبري مفسراً هذا التشبيه : ونسفت الجبال ، فاجتثت من
اصولها : وصيرت هباء منسأ لعين الناظر كالسراب الذي يطل من وراء
بعد ماء ، وهو في الحقيقة هباء (٣) وقد قال اللغويون عن السراب بانه
الذي تراه في نصف النهار كأنه ماء (٤) .

ونشبه احوال بالسراب له دلالة جميلة على ابيثة العربية : فطالما
عانى العربي في صحرائه الواسعة من خداع السراب حين يراه امام ناظره
ويتصوره ماء ، ولكنه في حقيقته من خداع الصحراء ومن حيال العربي
المنقطعش الى الماء . قال الاعشى في حديثه عن سد مأرب : وكيف انه
بتدميره اضاع المياه على بني حمر .

فطَارَ الْقَيْسُولُ وَقَبْلَانُهَا بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِيمٌ (٥)

(١) تنزيه القرآن : ٢٦٤

(٢) سورة البأ ٧٩ : ١٨ - ٢٠

(٣) جامع البيان ٣٠ : ٨ ، وكذا فسر قوله تعالى في سورة التكاوير ٨١ : ١

انظر جامع البيان ٣٠ : ٦٥ ، الكشف ٣ : ٣١٥

(٤) انصراح ١ ، ١٤٧ ، لسان العرب ١ : ٤٤٨

(٥) ديوان الاعشى : ٤٣

يريد بذلك ان هؤلاء القبول قد ابدلوا بالماء الوفير الذي كان متوفراً قبل عمار سد مأرب بالحرمات من الماء : والصلال في الصحراء الواسعة حين لا يجدون الا السراب الخداع المؤلم . وقال لبيد معنحراً بماقته التي تحمل المسير في البلاء حيث يرتفع فيها السراب ، وبشته الحر .
 وثلك ذرقص الآوامع الصحي واحتاب اودية السراب إكاهها (١)
 وقال آخر راسماً صورة قوم يخدعهم السراب فيسيرون على غير هدى بقوله :

وَمَنَّهُمْ فِيهِ السَّرَابُ يُسْحُ بِدَبٍّ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطَّحُوا
 ثُمَّ يَبْنُونَ كَأَنَّ لَمْ يَسْرَحُوا كَأَمَّا أَمْسَوْا نَحْبَ أَصْحَارِ (٢)
 لها صورة خالدة في الدهن العربي : صورة السراب الذي تتأمله العين فتخدع : وتصوره ماء ، ولكن سرعان ماتنين حينها حين يجد الإنسان في السبر ، فلا يجد غير الخيبة ، والمثل ، وهذا استعير السراب لكل من يتأمل شيئاً لا وجود له ، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في تشبيه أعمال الكافرين التي تذهب هباء يوم القيامة :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءً حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٣) .

ومن هنا نستطيع ان نتصور حال الجبال يوم القيامة ، ودلالة التعبير الدقيق على البيئة العربية اذ تفتت الجبال ، وتتكسر فتبدو كأنها سراب خادع كالذي يشهده العربي في صحرائه الواسعة . وهذا تحمل الآية الى

(١) شرح ديوان لبيد : ٣١٢ : ٣٠١ المصليات : ١٧١

(٢) الصناعتين : ٢٨٤ والبيت غير منسوب

(٣) سورة النور : ٢٤ : ٣٩

جاءت التصوير المادي لحال الجبال كل معاني الخيبة ، وضياح الامل يوم
القيامة حين يواحه لكافر هذا الاصطراب المفزع ، وهو صهر اليدبين من
الاعمال الحسنة .

٢ نسفها :

والتعبير الثاني الذي يصور تمتت الجبال ، وأهدمها الهائل هو نسفها
في قوله تعالى حين سأل المشركون الرسول عن الجبل اذا قمت القيامة :
(ويسألونك عن الجبال ، قل ينسفها ربي نسفاً ، فيبدلها قاعاً
صفصفاً ، لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً) (١) . وقد فسر سنف الجبل
هما بمعنى قلعها ، واجتثاثها ، قل ان عباس : (يلعنها ربي قلعاً) (يديرها)
فيترك الارض (قاعاً) مستوية (صفصفاً) امس لانبات فيها (لا ترى
فيها عرجاً) واديا ، ولا شقوقاً (ولا أمتاً) ولا شيئاً شاخصاً من
الارض (٢) واضاف الطبري الى معنى لقع معى الندرية ، والتفتت
قال : (يديرها ربي ندرية) ويطيرها بقلعها ، واستئصالها من اصولها :
ودك حصنها على بعض وتصيره اياها هباء منثوراً (٣) وقد اعتمد في هذا
التفسير على المعنى اللغوي المعروف وهو قولهم : (لسقتُ السماءَ نسفاً :
قلعُنتُها) (٤) . و (المينة آلة يرفع بها الباء) (٥) .

وإذا قلنا ان ترتيب التاريخي للكلمة يجد ان معنى لقع معنى متطور

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) تنوير المقياس : ١٩٨

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١١ ، وانظر ايضاً التبيان ١٠ : ٢٢٥

(٤) الصحاح ٤ : ١٤٣١ ، وانظر ايضاً اساس البلاغة : ٩٥٣ ، لسان

العرب ١١ : ٢٤٢

(٥) ن . م

عن معنى حسني آخر ، ذلك هو معنى نسف الريح التراب اذا كانت شديدة فتدروه في الجو (انتفت الريح الشيء مثل التراب : والعصف ، كأنها كشفت عن وجه الارض . و سلته) (١) .

وقد تكرر ذكر نسف الرياح التراب في اشعارهم ، ومقدمائهم الطلية حين وصفوا ديار الحبية بعد ان هجرتها ، وكيف لغبت بها الرياح ونسفت ثراها قال الياقوت :

أهـاجت من سعداك معنى الماهدين بروضة نعمتي فلدات الأسود
تعاوـرها الارواحُ ينسـمن تردّها وكلّ ملّت ذي اهاضيب راعد (٢)
ومن هذا المعنى الحمي استعار العرب معنى حسني آخر يتكرر ايضاً في حياتهم اليومية حين تنسف الابريل التراب بقوائمها ، فتدروه على جاسي مسيرها ، فقيس : (باقة سوف اذا نسفت التراب ينحفي يديها في سيرها) (٣) . وهو معنى يطهر فيه معنى القلم المصحوب بتطهير وتلوية . ثم احتاج العربي في بيئته الى ما يلزم به طعامه ، وبسفه ليستحسن الحيد من الردىء ، وهو الذي أطلق عليه السامة (٤) : ومنه المسف ، وهو العريال (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١٩ ، وانظر ايضاً المحمص ٩ : ٨٩ لسان

العرب ١١ / ٢٤١

(٢) ديوان النافق الديباني : ٤٢ ، وانظر ايضاً المنزل والديار : ٢٠٦

(٣) ابو زيد عن لسان العرب ١١ : ٢٤١ ، وانظر ايضاً الوادر ١ : ٤١٩ ،

الصحيح ٤ : ١٤٣٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١٣ ، المخصص ٦ : ١٧٢ ، ٧ : ٩١

وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ١٩١ ، ديوان سحيم : ٤٨

(٤) الغريب المصنف الورقة : (٢٨٤)

(٥) الصحيح ١ : ١٤٣١ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

وحركة التراب تذروه الرياح واضحة كل الوضوح في كل المعاني
 الأخيرة حيث يتطاير التراب تحت قدمي الدفة بعد أن تقتطعه ، وكذلك
 حين تقتلع النبات بمقدم فيها - وأخيراً في حركة المسف الذي تسف فيه
 الحبوب ، فيظهر المسف ، وحركة تطايره في تطاير الحبوب ، واستحلاص
 الجيد من الردىء منها . ويتبين لنا فيها أن الاستعمال المادي الأول ، وال
 محافظاً على معناه في كل معاني الكلمة ، وبقيت صورته الأولى هي الصورة
 الغالبة على الدهر العربي حيث تقتلع الرياح التراب : ونسفه في الجو
 وتذروه فقواه تعالى : (وبسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً
 فيدثرها فاعاء صمصمفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً) (١) بعد فيه صدى
 البيئة العربية التي طالما اجتاحتها الرياح القوية ، فاجتمعت الرمال من
 الصحراء الراسعة ، وقد ورد في القرآن الكريم تصوير رائع لهذا المشهد ،
 حين شبهت به أعمال الكافرين التي تذهب هباء (مثل الذين كرموا ربهم
 أعماهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرُونَ مما كسبُوا
 عبي شيء ذلك هو الصلال البعيد) (٢) .

٣ - بسها .

قل الله سبحانه وتعالى (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها
 كاذبة ، حاصصة رافعة إذا رجئت الارض رجاً وبُست الجبال بُساً
 فكانت هباء منثاً) (٣) .

عبس الجبال - وهو ثمنها - (٤) استعمل مجازاً ، وهذا المعجاز ينقل

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) سورة ابراهيم ١٤ . ١٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ١ - ٥

(٤) اللغات في القرآن : ٤٨

الى الحيوان صورتي من صور البيضة العربية : الأولى ان تفتت الحبال حتى
تكون كالعجين : والسويق قال ابن السكيت ، (تَسَمَّتُ السُّوَيْقَ ،
والدقيقُ ابْنَهُ تَسّاً : اذا ملأته بشيء من الماء ، وهو أشد من
الآبِ) (١) والبسيسةُ هي (التي تُلْتُ بِسَمَرٍ أَوْ رَيْتٍ وَلَا تُسَلُّ) (٢)
ومن هذا المعنى الحسي فهم بعضهم الآية الكريمة الساقطة ففسا
أبو عبيدة مفسراً بس الحبال : (مجارها كمجازٍ سويق الميوس أي
الميدول والعجين ، قال لص من غطمان واراد ان يحجز ، فحاف ان يعجن
الدقيق ، فأكله عجيناً وقال :

لأنخزاً خبزاً وُبساً تَسّاً (٣)

وصورة بس السويق التي ينقلها ابو عبيدة تفسر لنا الآية الكريمة ،
وتصور حال الجبال يوم القيامة ، وكيف انها اذا رارت الأرض واضطربت
يصيبها الاضطراب فتتعت وتخطم حتى تكون كالعجين الميوس الذي طائا
استعمله العرب في حياتهم ومعيشتهم فعرفوا مسدى ما يصوره تعبير ابس
للجبال من الدقة في التخطيط . ولتحول الى قبيت ناعم .

اما الصورة الثانية للبس فانها مستمدة ايضاً من البيضة العربية : وهي
صورة سوق الابل . وتفسيرها . قال الزجاج شارحاً الآية . (يجوز ان

(١) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٧

(٢) الغريب المصنف : الورقة (٩٣) الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، بسا

العرب ٧ : ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) محار القران ٢ : ٢٤٧ وانظر ايضاً جمع البيان ٢٧ : ١٦٧

التيبان ٩ : ٤٨٨ الكشف ٣ : ١٩٣ ، والبيت المذكور مع ابيات في الحيوان

٤ : ٤٩٠ جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، وروي في

المخصص عن صاحب العين (وَتَسّاً تَسّاً) ٧ : ١٠٤

يكون معنى يست : سيقت واشتد : وانيس حبات الكثيب الأهل (١)
 وقال الرمخشري مصيهاً الى التعبير الأول قوله : (او سيقت من بس
 العلم اذا ساقها كقوله : وصيرت الجبال : (٢) فهذا التعبير بطلا
 صورة للتعبير الذي استعملت فيه الكلمة لادلالة على السوق قيل (ليس :
 السوق الذين وقد يستُ الالَ أيسها بحجم تآ) (٣) . قال ابو
 زيد (٤) مسياً الراعي بالميس :

فحسب الله طال الصالح ما ما اطاف الميسس بالدمع (٥)
 وقال عبده بن الطبيب (٦) يصف قرصه ، وكيف انه يستجيب له
 اذا ايسه ، وساقه بين الخيل :

(١) عن الديان ٩ . ٤٨٨ : وانظر الرحر في الديوان ٤ : ٢٥٦
 (٢) الكشف ٣ : ١٩٣
 (٣) الغريب المصنف : الورقة د ٣٩٩ ، وانظر ايضاً جمهرة اللغة
 ١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٦ ، أساس البلاغة ٤٦ ، المحمص
 ٨ : ٩ وانظر ايضاً ديوان الناعة الحمداني : ٣ ، ديوان الشماخ ٣٣
 (٤) هو المدرس حرمة من بني حية : وقال حرمة بن المدر بن
 معد يكرب ، وكان بصراً وعلى دينه ، مات : وهو ممن أدرك الجاهلية .
 ذكره انسجستاني في المعمرين توفي نحو ٦٢ هـ : انظر المعمرين : ١٠٨
 الاغانى ١١ : ٢٣

(٥) جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، ديوان الحماسة : ٣٥
 (٦) هو عبدة بن الطبيب شاعر محضرم ادرك الاسلام فأسلم : شهد
 مع المنفى بن حارثة قتال هرم سنة ١٣ هـ وكان مع الذين حاربوا الفرس
 بالمداثر توفي نحو سنة ٢٥ هـ . انظر الاغانى ١٨ - ١٦٣ تاريخ الامم
 والملوك ٤ : ٤٣ ، ٢١٥

إذا اتس به في الألف سَرَرَهُ عوج مركبة فيها راطيل (١)

وسواء كان يس الابل سوقها بالدين ، او سوقها رجرا ، فانه معنى يدل على دفع واستجابة لهذا الدفع الا ان دلالتها على القوة والرجز ترسم في الدهن انحساء الهول والفرع المقرون بكل مطهر من مظاهر التميز وما يقع ذلك من قوة في اضطراب السموات والأرض ، وهذا المعنى يتسجم مع السياق العام الذي مرت بها صورة في تميز الزجرة : وما فيها من دلالة السوق والزجر .

وهناك استعمال آخر للبس ، وهو ان تبس الابل ، ولغتم ، وتهدأ بصوت حاص حتى قدّر لبها يقال : (اُتَسَّتْ بالمعز إذا أشتيتها الى الماء) (٢) و (ابس الابل عند الحلب اذا دعا المصيل الى امه واهس بامه له (٣) . ومن هنا قيل في الثاقفة أي لا تدر الا عند الرق بها والابساس لها : بانما تبس (٤) . وانشد الأزهري (٥) قول الراعي واصفا حال الساقة يهدأها صاحبها تارة بالابساس ، وأخرى بالنقر :

(١) المفضليات : ١٤٣

(٢) الصحاح ٢ : ٩٠٦

(٣) لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٤) انظر الغريب المصنف : الورقة ٣٦٩ ، وانظر ايضاً الصحاح

٢ : ٩٠٥

(٥) هو محمد بن احمد بن الأزهري : ابو منصور ولد سنة ٢٨٢ هـ احد عن الربيع بن سليمان ، ونمطويه ، وابن السراج ، وأدرك ابن دريد ولم يرو عنه ، صنف كتاباً مشهوراً في اللغة وهو « تهذيب اللغة » توفي سنة ٣٧٠ هـ انظر نزهة الألباء : ٢٢١ - ٢٢٢ بغية الوعاة : ٨

لعاشرة وهو قد خافها فظل "يَبْسُيسُ" أو يَنْقُرُ (١)
وقال آخر يصف ناقته اذا جالت ، واصطربت : وكيف يهدأها
بالبس :

"عَسَسُ اُدا حَلَّتْ" به اُدا "وَبَسَّتْ" منه التراقي نفساً (٢)
فمعنى البس هنا واضح ، وهو دعوة القسم ، او الابل نحو الماء ، او عند
الحلب ويلاحظ في هذه الدعوة انها تترك الحوان ليداس سلس القباد ،
يستجيب لدعوة الراعي . وفي كلا المعنيين نجد استجابة وطاعة . فالابل
اذا سقت ، وزجرت استجابت للقوق وصلت اراعها ، فسارت امامه
طائعة ، وكذلك الابل ، وانعم اذا ست نحو الماء ، او للحلب ، استجابت
الى صوت راعيها فدرت حلبها ، او سارت معه نحو الماء : وفي هذا
المعنى نجد روعة التصوير القرآني لحال الجبل ، ذلك لأن الاضطراب الذي
يسود السموات والارض ، يصب الجبال ، فترلزل ، وتكون ارتجافها
اطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى حين يأمر بقيام الساعة .

وفي معنى الس صورة واضحة لاذية العريسة التي اعتادها العربي
ورأى فيها من الحيوان ، ودعوته ، فسرعان ما يتحين من الجبال ،
واستجابتها لدعوة الله جل وعلا ، فبرداد ابعاء الآية الكريمة وترتم
في الدفن سرعة الاحداث ، والاضطرابات يوم القيامة ، لأن الطوعية ،
والاستجابة السريعة لارادة الله سبحانه وتعالى تنتج منها سرعة مذهبة في
الاضطراب الكوني .

وفي سورة الحاقة تعبير آخر يصور حال الجبال . (فادا نفخ في

(١) الأزهري عن لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٢) ديوان الخطبة : ٢٨٦ ، والشطر الأول في شرح ديوان رهبر :

٣٥٥ وهو غير منسوب الى قائله .

الصُّورُ نَفْحَةً وَاحِدَةً ، وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ، فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ،
 فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) . ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصويراً
 حامفاً لاضطراب الأرض وتفتت الجبال معاً بتجسد في تعبير الدك بما
 يحمله من معاني القوة والرعب ، ما تعجر عنه صحفحات ، والدك في اللغة
 يحمل معنى الهدم الذي يصاحبه دق ، وتفتت (٢) .

٤ - تشبيهها بالعن :

ان اهدام الجبال ، ونفثتها بسبب نائر احزائها وتطايها تبعاً
 للانكسارات السريعة التي تصيب الجبال . هذا النائرُ صُور في القرآن
 الكريم بصورة مادية طالما لصقت في ذهن العربي لطول ما اعتادها ، وشاهدها
 في بيئته ، وذلك تشبيهها بالصوف قال الله تعالى : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
 كَالْمُهْلِ ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيماً) (٣) .
 وقال سبحانه وتعالى : « الْقَارِعَةُ » ، الْقَارِعَةُ ؟ وما ادراكك الْقَارِعَةَ ؟
 يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ،
 المنفوش (٤) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦

(٢) الصحاح ٤ : ١٥٨٣ ، مقاييس اللغة ٢ : ٢٥٨ ، اساس البلاغة

٧٨ : وقد اعتبر الاب مارعا طيوس ذلك كلمة سريرية قل : تدكدك
 دق مراراً : صغر شيئاً تراباً وربما تدكدكت الجبال ، تهدمت . انظر

الالفاظ السريرية بحجة المجمع العلمي العربي دمشق م ٢٣ ج : ٤٩٧

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩

(٤) سورة القارعة ١٠١ : ١ - ٥

وقد مرر المفسرون المعنى بالصوف (١) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٢) وهذا التشبيه له دلالة على البيئة العربية . ذلك لأن الصوف من منتجات حيوانها الذي هو غماد حياها . وقد تكرر ذكر الصوف ، أو آلات عمله في الشعر الجاهلي ، (٣) ثم اسما محمدا للصوف لمحات في إحدى صور البيئة العربية التي اعتادها العربي ، وهي تلك التي نجدتها في وصف الاطلال وما تبقى فيها من ادمن ، والآثار ، ومن بينها الصوف المتناثر قال زهير بن ابي سلمى ،

كأن فتات العهن في كل منزل
ترلن به حب الصالم يحطّم (٤)

قال ثعلب شارحا البيت بأنه « شبه مائمت من العهن الذي علق بالوادج اذا ترلن بمنزل بحب الفسا » (٥) وقول ثعلب هذا يعطينا توضيحا آخر لاهمية الصوف في الحياة العربية ، ولصوقه في الذهن العربي وذلك استمجالهم الصوف لتزيين الواوارج ، وهي الصورة التي طالما ذكرها الشعراء في اشعارهم ، وشهوها - باختلاف ألوان الصوف - بالبسر الاحمر

(١) نوير المقياس : ٣٦٧ ، عريب القرآن : ١٧٧ ، جامع البيان ٢٩ : ٧٣ . الكشاف : ٣ : ٢٦٨ ، وفي قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش بدل كالعهن ، وقد علق ابن قتيبة على هذه القراءة بانها في الكلمة « مما يعبر صورتها في الكتاب » ولا يغير معناها « انظر تأويل مشكل القرآن : ٢٨ - ٢٩

(٢) العين : ٤٣ ، الصحاح ٦ : ٢١٦٩ مقاييس اللغة ٤ : ١٧٧

المسلسل : ١٨١ المحكم ١ : ٦٦ لسان العرب ١٧ : ١٧٠

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٥ ، امثال العرب : ١٧

(٤) شرح ديوان زهير : ١٣

(٥) ن . م : ١٣

والأصغر مع خفزة النخل (١) .

٥ - سرعة انهيارها

اما سرعة انهيار الخبز فقد صورت بتعبير الكثيب المتداعي المنهال في قوله تعالى : (وَكَرَّفِي الْمَكْدِينِ أُرْلِي الْعِمَاقَ ، وَنَهْتَهُمْ قَلِيلًا ، انْزَلَيْنَا سَكَلًا ، وَجَجِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا عُسَّةٍ ، وَعَذَابًا أَلِيمًا يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَحِمَالُهَا ، وَكَانَتِ الْخَبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا) (٢) . قل ان عماس مصرأ الآية انكريمة (تراباً مهيلًا) وهو الشيء الذي اذا رفعت اسمك سقط عليك اعلاه مثل الرمل (٣) وقال الطبري . (يقول : وكانت الخبال رملاً سائلاً متدائراً : والمهيل مفعول من قول القائل : هلت الرمل فاما أهيلُهُ ، وذلك اذا حُرِّكَ اسفلُهُ ، وانهالَ اعلاه) (٤) .

وكثيب عذارة عن قطعة تنقاد محدودة كما يقول الاصمعي (٥) . فاذا تحرك من إحدى جوانبه انهال بسرعة ، ومن هذه الصورة الخيبة المحسنة في الدهن العربي جاء التصوير الرائع لحول الخبال في اصطراطها وسرعة انهيارها ، وهو تصوير يستطيع العربي ان يتمثله امام ناظره نظراً لتكرر صور الكشاك في الحررة العربية ، وما يطرأ عليها من صور انهيار رملها ، وتساقطها . وقد لصقت صورة الكثيب في أذهانهم ، فراحوا يكررونها في تشبيهاتهم وتعاريفهم (٦) .

(١) انظر ديوان امرئ القيس ٤٣ ، ٥٧ ، ١١٥

(٢) سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤

(٣) تنوير المقاييس . ٣٧١ ، وانظر ايضاً غريب الحديث ١ : ٢٥٢

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٦ . وانظر ايضاً التبيين ١ : ١٦٧

(٥) عن الغريب المصنف : الورقة (٢١٥)

(٦) المعصليات : ٩٢ ، وانظر ايضاً الحماسة المصرية : الورقة -

هذه التعابير تشترك كلها في رسم صورة الحال حين تضطرب وتتهار فتتأثر أجزاؤها وتنتلش عظمته . وتصيح هاء مثورا ، وحالها في هذا حال الأرض بصورة عامة حين تزلزل وتضطرب بعد صعقة المير . ومن التعابير التي مرت بها محتمة تشكّل لـا صورة رهبة لاضطراب الأرض ، وما عليها يوم القيامة . إضافة الى دلالة كل تعبير على مظهر من مظاهر البيئة العربية كما مرّ بنا .

٢ - اضطراب السماوات :

أ - نحولها الى سائل :

وبشمل الاضطراب السماء أيضاً فبصيحها ما يصيب الارض من اختلال التوارث ، وانهايار النظام الكوني فاذا بها تشق ، وتتحول الى سائل عبر عنه بالوردة ، وشهت في حالها بالدهان قال الله تعالى . (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . . .) (١) .

لقد ذهب المفسرون في تفسير الآية الكريمة الى توجيهين . الأول هو انها تكون ملونة كالوان الدهن ، أو الورد ، وهذا التفسير لا يحدد لونها وانما هو تعميم للالوان المختلفة قال ابن عباس : (فصارت ملونة كالدهان ، كالوان الدهن ، ويقال : وردة كالوان الورد) (٢) .

وقال ابو عبيدة : (فكانت وردة كالدهان في لونها : جمع دهن

— ١٩١ (ب) الطرائف الأدبية : ٦٢

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧

(٢) توير المقياس ٣٣٧

تمور كالدخان صافية وردة لونها يكون الورد . وهو الحُلّ (١) .

أما التوجيه الذي فهو ان السماء يكون لونها يوم القيامة الحمرة مع السواد . وقد ذكره ابن عباس ايضاً الى جانب التوجيه الأول قال .
(ويقال كالادبم العربي أي حمرة مع سواد) (٢) . وقد راغب :
(وقيل في صفة السماء اذا احمرت احمراراً كالورد امارة للقيامة . قال
(فكانت وردة كالدخان) (٣)

وبسبب ان الذي فهموا الآية الكريمة على ان السماء تكون ملونة كالوان الورد ، لم يذهبوا بكلمة الورد الا الى الورد الحقيقية التي تكون مطبعتها متعددة الألوان ، والاشكال . ومن الداحية الثابتة فان السماء شبهت في الآية الكريمة بالدخان ، والدخان ايضاً لا يحدد لونه .

١٠ الذين قالوا بأن لون السماء يكون أحمر يوم القيامة انهم ذهبوا الى لون معروف ولكنة هذا اللون في الورد اقترنت بكلمة الورد به ، ثم أطلق الورد بصورة عامة على اللون الأحمر فاطلق على الحيوانات التي على هذه الصفة في اللون ، واقرن ، أكثر ما اقرن ، بالخيل قال الأصمعي معدياً انوان الخيل : الوردة : فرس ورد ، ووردة وخيل وراة (٤) .
ومن هنا نقل لنا توجيه آخر ، اقرن أول ما اقرن بالخيل الورد التي تعني الشعراء بذكرها ، ونتمتع بالنظر اليها الفرسان ، هذا التوجيه هو
(١) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٥ ، وانظر ايضاً الصاعتي : ٢٤١ التبيان ،

٩ : ٤٧٦ ، المخصص ٦ : ١٥١

(٢) تنوير انقياس : ٣٣٧ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب : ١٤٣

(٣) المعجمات : ٥٤١ ، وانظر ايضاً انكشاف ٣ : ١٩٠

(٤) عن المخصص ٦ : ١٥٠ ، وانظر ايضاً الخيل ١٠٦ ، ديوان

الشماخ : ٣٠

الذي نقله الفارسي فيما روى (١) عن أبي عبيدة : (أما قوله - فادا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان - فتقيل انه أراد - والله أعلم - فرسا وردة وتكون في الرشح الى الصفرة ، فادا اشتد البرد كانت وردة حمراء ، فادا كانت بعد ذلك كانت وردة الى العرة ، وشبه تلون الوردة من الخبل ، وشبه الوردة في اختلاف الوانها بالدهن ، واختلاف انواته) (٢) ، ويدل ان ابا عبيدة لم يقصد ان السماء تكون كالفرس . لأن مثل هذا لتفسير لم يذكره في مجارده ، كما لم يذهب اليه أحد غيره وانما أراد به ان السماء تكون متعددة الألوان يوم القيامة كتنغير لون الفرس الورد ، وهو بهذا يعطينا تعليلا لتسمية هذا الصرب من الخبل ، ذلك لأنها تتلون باختلاف فصول السنة فتصرب الوانها الى الصفرة في الربيع ، وإلى الحمرة في البرد ثم الى الغبرة بعد ذلك .

وبهذا نستطيع ان نجمع بين هذا التوجيه ، والتوجيه الأول الذي حدد فيه لون السماء بالحمرة ، وتشبهها بالورد ، وفي كلا التوجيهين نجد صدى البيئة العربية واضحا في الصور التي تشير الى الآيات الكريمة . فكون السماء متعددة الألوان يوم القيامة يرسم في الدهن صورة الورود المنتشرة في الصحراء العربية حيث تفتش الأرض أيام الربيع بشقي الصور والألوان الزاهية ، وهي التي شبه بها لون السماء ، ولكن مثل هذا التفسير - وإن امدنا بوجه الشبه وهو تعدد الألوان - لا ينسجم مع السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة (فادا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وبأي آلاء ربكم تكذبان ؟)

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المحوي ، من أكابر أئمة المحويين أخذ عن أبي بكر بن السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، فصاح بعضهم على المبرد توفي سنة ٣٧٧ هـ . أنظر زهرة الألباء : ٢١٧ .

(٢) العين : الورقة (٢٨٩) .

فيومئذ لا يُسْئَلُ عن ذنبيه انسٌ ولا جانٌ وأيُّ آلاءِ ربكما تكذبان ؟
يُعرفُ المجرمونَ سيئاتهم قَبِيحًا خُذُ بالتواصي والأقدام ، وأيُّ آلاءِ ربكما
تكذبان ؟ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (١) . كما ان هذا التفسير
لا يتسجم مع الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر السماء ، ووصف حالها
يوم القيامة ، ذلك لأن ماتوجيه الورد بل الزرع بصورة عامة إنما هو
بجاء الفرحة والشوة (٢) . وهو إيحاء بعيد كل البعد عن الموقف الرهيب
يوم القيامة ، ذلك الموقف الذي تضطرب له السماوات والأرض ، وتتساقط
أرجاؤها ويتبدل حالها . أما التوجيه الثاني فإنه يتسجم تماماً مع السياق العام
للآيات الكريمة فالسماء تكون كلون الأديم الأحمر أو العرس الورد ، وتجد
فيه وجه الشبه وهو تعدد الألوان وتلونها ، نظراً لانكساء السماء واضطرابها
وبهذا التوجيه تبعد عن الذهن صورة الورد الممتعة التي لا تتسجم مع سياق
القول والفزع الأكبر يوم القيامة .

وتحول السماء الى سائل مثلون شبه في تعبير آخر بالمُهْل قد الله تعالى .
(انهم يرونه مهيداً ، وراه قريباً ، يوم تكون السماء كالمُهْل ، وتكون
الجدال كالعِهْن ، ولا يسألُ حميمٌ حمياً) (٣) . وقد فسر المُهْل بتصغير
الأول ما ذكره ابن عباس وهو قوله : (كالمُهْل : كدردي الزيت) (٤)
أما التفسير الثاني فهو الفضة المذنة أو المعادن المدابة بصورة عامة ، وقد

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ - ٤٣ .

(٢) أنظر الفصل السادس (الثواب بالجنة) ١ - وصف طيعتها .

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٢٩ : ٧٣ ، التبيان

١٠ : ١١٦ ، الكشف ٣ : ٢٦٧ ، ودردي الزيت وغيره ما يبقى في أسفله .

الصالح ١ : ٤٦٧ .

ذكره ابن عباس أيضاً الى جانب التفسير الأول قال : (ويقال كالتفضة
البدائية) (١) .

أما أبو عبيدة فقد ذهب الى ان كل معدن اذا اذيب اطلق عليه المهمل
قال معسراً قوله تعالى . (يعاثوا ماء كالمهل . .) (٢) قال : (كل شيء
أذيته من نحاس أو رصاص ، وبحو ذلك فهو مهمل) (٣) ، ومثل هذا
الاضطراب في تفسير المهمل نجده في أقوال اللغويين فهو دودي الزيت تارة (٤)
والنحاس الدائب تارة أخرى (٥) ، وهو الصديد عند آخرين (٦) .

ويبدو ان مرد هذا الاضطراب يرجع الى التعميم الذي أطلق فيه اللفظ
في البداية اد هو - كما يبدو - اطلق على كل فلز ذائب كما ذهب أبو عبيدة
من قبل ، وقد سئل ابن مسعود في قوله تعالى : (كالمهمل يشوي الوجوه) (٧)
عن المهمل (فدلّما بقصة فأذابها فجعلت تميع ، وتلون ، فقال : هذا من

(١) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً الكشف ٣ : ٢٦٨ ، نقلاً عن

ابن مسعود .

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٤٠٠ .

(٤) هو قول أبي عمرو بن العلاء ، كما في الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، لسان العرب

١٤ : ١٥٥ ونقل مثل هذا عن أبي زيد في المحصص ٥ : ٩٠ ، وانظر أيضاً مقاييس

اللمعة ٥ : ٢٨٢ .

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٦

(٦) جوهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، الصحاح ٦ : ٨٢٢ ، أساس البلاغة : ٩٢٢ ،

لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

أشبه ما أنتم راؤون (١) ، وقال ابن دريس (المهل مادد من صهر أو حديد) (٢) .

أما إطلاق لفظ المَهْل على الزيت ، أو على الدهن ، فمستطاب مشامة الزيوت والدهون للمعادن المعدنية على اعتبارها سوائل أولا وانها متنوعة الألوان بتسوع لأشكال ثابتاً . ومن هنا فلا تصاد في معاني المهل ، لأنه منات من تعميم اللفظ ، ثم إطلاقه على أجراء متعددة .

أما ملامح البيئة العربية فمجدها واضحة في تشبيه حال السماء بالمهل ، ذلك لأن الزيوت ، والدهان نوعيها النباتية أو المستخلصة من المعادن المعدنية مما اعتادها العربي في بيئته واحتاج إليها في شؤون حياته البسيطة ، فكثيراً ما يطلق التعبير بالمَهْل ، فترسم صورة المَهْل المذائب في الدهن العربي سواء في كونه مذاباً أو لونه الخاص . وذكر أن الأول تطلق بوع من القطران في الشتاء ، يدل على معرفتهم المَهْل ، واعتيادهم عليه باعتباره مادة مهمة ، يحتاجون إليها كل شتاء لابلهم - اعز حيوانهم - روى ابن منظور : (المهل والمهدة ضرب من القطران ماهي رقيق يشبه الزيت ، وهو يضرب إلى الصفرة من مهوته وهو دسم تدهن به الأول في الشتاء) (٣) .

ومن الطبيعي أن يكون المهل الذي عرفه العربي ، واستعمله في طلي ابنه متعدد الصروب ، والألوان ومن هنا جاء اختلافهم في تسمية المهل لأنه أطلق في البداية على أنواع من السوائل المذابة (٤) .

ومن هنا نجد أن قوله : (أنهم يرويه بعيداً وزراه قريباً ، يوم

(١) عن لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، وانظر لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٣) لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٤) انظر ص ٨٣ .

تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميماً (١) يعطينا نفس
الايحاءات والنصور التي أوحيتها من قبل الآية التي ورد فيها ذكر (وردة)
والتي شُبِّهَ فيها سيلان السماء بالدهان . قال الأزهري معقباً على تفسير
المهل : (ومثله قوله فكانت وردة كالدهان ، قال أبو اسحاق كالدهان :
أي تالون كما تالون الدهان المختلفة) (٢) .

أما قتادة فقد قسّر تحول السماء الى مهل بتحولها الى لون الحمرة (٣) .
وقد اعتمد في هذا التفسير أيضاً على قوله تعالى : (فكانت وردة كالدهان) (٤)
وفي كل هذه التفسير التي مر ذكرها وجدنا صورة البيئة العربية
واضحة الملامح ، تنداعى في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة ، فتجسد
حول القيامة ومشاهد الاضطراب المفزع .

ب - دورانها

قال الله سبحانه وتعالى واصفاً اضطراب السماء يوم القيامة : (يوم
تَمُورُ السماءُ مَوْرًا وتسيرُ الجبالُ سَيْرًا ، فويلٌ يومئذٍ للمكذبين) (٥)
فَهَـرَّجَ عَنْ اضطراب السماء بتغيير المور ، وقد فسره بعضهم بالدوران قال
ابن عباس : (تدور السماء مورا بأهلها دورانا كدوران الرمح وتموج
الخلائق بعضها في بعض من الهول) (٦) ، وقال أيضاً في مور السماء بأنه

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

(٢) لسان العرب ١٤ : ١٥٦ ، وانظر أساس البلاغة ٣ : ١١١ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ٧٣ .

(٤) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ .

(٥) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

(٦) تنوير المقياس : ٣٢٩ .

شقها وانفطارها (١) . وقال بعضهم معنى مور السماء انكفأؤها . قال أبو عبيدة : (يوم تمور السماء مورا أي تكما قال الأعشى :

كأن مِشجتها في بيت جارتها مور السحابة لارث ولاعجل (٢))
وفي معاني الكلمة العوبة ما يجمع بين التفسيرين السابقين ، ذلك لأن الريح إذا كانت قوية فانها تنفي التراب فيقال مارت (٣) والمور الغدار (٤) وهي صورة اعتادها العربي في بيئته الصحراوية الرملية . وقد تكررت بصورة خاصة في شعر شعرائهم حين ذكروا ديار الحبيبة ، ووصفوها بعد ان هجرت ، وتركت خواء تسبقها الرياح ، وتمور عليها رمال الصحراء . فن ذلك قول الخطيب :

لمن الديار كأنهس مطور يلوى ررودى عليها المور (٥)
وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً الديار المهجورة :

لعب الرياح بها وغتيرها بعدى سواحي المور والقطر (٦)
أما الناقة المواترة فهي السريعة (٧) . وهو استعمال مادي أيضاً وله

(١) اللغات في القرآن : ٤٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٣١ ، ورواه الجوهري عن أبي عبيدة والأحفش أنظر الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، ورواية ديوان الأعشى : (مر السحابة) : ٥٠ ، ومن الحائر انها في الديوان من تحريف انساخ ، أو انها رواية أخرى للبيت غير رواية أبي عبيدة والأحفش .

(٣) جوهرة اللغة ٢ : ٤١٧ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٤) الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٤

(٥) ديوان الخطيب : ٣٧٦ .

(٦) شرح ديوان زهير : ٨٦ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٧) الصحاح ٢ : ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٥ ، المحمص ٧ : ١٢٩ .

علاقته الوثيقة بالاستعمال السابق ، لأن الناقة اذا أسرعت تركت التراب يَمُور
على جانبي طريقها وتُدومه يدها في سيرها السريع قال طرفة :

صهايبة العشون موجدة القرى بعيدة وخد الرجل مواراة اليد (١)

ومن هنا نفهم قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (٢) أي
تدور دوراً سريعاً . وفي حركة دوران أي جسم تقلت أعاليه على اسافله
فالتراب حين تسفيه الرياح ، ويمور موراً سريعاً يقلت ، والناقة المواراة
تقلت التراب على جانبي طريقها ، وتجعله يدور بسرعة سيرها ومن هنا
يتضح لنا سبب تفسيرهم مور السماء بالكمائها ، ودورائها .

وهذا استعمال آخر لتعبير المور وهو قولهم مار الدم على وجه الأرض
أي سال ، وانصب (٣) ، وقد وردت في الشعر الجاهلي أيضاً في وصفهم
للحروب ، وذكرهم لها ويستطيع ان نقرن هذا المعنى بمور التراب ، ذلك لأن
سيلان الدماء على الأرض فيه اضطراب ، ودوران ، وحركة وهي صورة
كثيراً ما تتكرر في بيئة العرب الحربية حيث الغارات والحروب الدامية التي
ترك السماء بين عشية وضحاها تمور على الأرض ، ونسيل . ومن الناحية
الأخرى فان هذا المعنى يهبط على تصور اضطراب السماء ودورائها يوم
القبضة ، وذلك ان حركتها نشه حركة التراب السريعة حين تسفيه الرياح
وتمور حوائبها كما يمور الدم على الأرض .

ويبدو ان هذه الصورة كانت أقرب الى ذهن الزمخشري حين فسر الآية
الكرمية فقال : (تمور السماء . تضطرب وتجيء وتذهب ، وقيل المور

(١) ديوان طرفة : ٣٩٠ ، وانظر أيضاً الطرائف الأدبية : ٦٤ .

(٢) سورة الطور ٥٢ : ٩ .

(٣) أنظر قول ثعلب في شرح ديوان رهيير : ٧٨ ، وانظر أيضاً شرح

ديوان الخيامة ٤ : ١٦٣٧ .

تحرك في تموج) (١) .

ج - تشققها وانمطارها

من الطبيعي ان دوران السماء وانكفاءها الذي صورته الآيات السابقة لا يترك السماء الا متهازة الحواب ، متصدعة الأرجاء . وقد صور هذا التصدع بتعبير آخر هو قوله تعالى : (اذا السماء انقطرت ، واذا الكواكب انتثرت ، وإذا البحار فجرت ، واذا القصور بعثرت عمت نفس مدقمت وأخرت) (٢) :

وقال تعالى أيضاً : (فكيف نتقون ان كفرتم يوماً يجعل لولدان شيئا ، السماء منقطر به ، كاد وعده معمولاً) (٣) . فقد فسر الانمطار بالانشقاق (٤) وهو معنى تؤكد آيات أخرى كقوله تعالى : (واشقت السماء فهي يومئذ واهية) (٥) . وقد وردت كلمة الانمطار في مواضع أخرى من القرآن الكريم في غير هذا المعنى كقوله تعالى . (اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين) (٦) .

(١) الكشف ٣ : ١٧٢ .

(٢) سورة الانفطار ٨٢ : ١ - ٥ .

(٣) سورة المزل ٧٣ : ١٧ - ١٨ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٢ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٧٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٨٥

درة التنزيل ٣٨٨٠ ، التبيان ١٠ : ٢٩٠ ، الكشف ٣ : ٢٨٣ ، ٣١٩ ، وقد وردت بنفس المعنى في غير مواضع القيامة وذلك في سورة مريم ١٩ : ٩٠ ، الشعراء ٤٢ : ٥ ، الملك ٦٧ : ٣ .

(٥) سورة الحاقة ٦٩ - ١٦ .

(٦) سورة الأنعام ٦ . ٧٩ ، وانظر أيضاً المعجم المفهرس : ٥٢٣ .

وقد فسر الاغطار في الآية السابقة بالخلق والابداع (١). ومن ظاهر اللفظ تبدو العلاقة بين الاستعمالين بعيدة ، ولكن معرفة التطور التاريخي للكلمة يدل على انها يرجعان الى أصل واحد ، ومعرفة هذا الأصل يعكس لنا صورة من البيئة العربية وأثرها في ابتداع الألفاظ وتطورها :

من المعاني الحسية التي استعملت فيها الكلمة هو قولهم نططر البث (وذلك عند أول طلوعه) (٢) ، ومنه قيل فطر ناب البعير أي طبع وانشق وبعير فاطر (٣) .

ومن هنا جاء الاستعمال المسموي للكلمة ، وهو اطلاق اللفظ على الشئ بصورة عامة (٤) ، وذلك ان البث حين يطلع يكون طلوعه بعد تشقق الأرض ، ونموه وكذا الحال مع نمو الأسنان ، وطلوعها . أما معنى الخلق والابداع الذي جعله ابن فارس الأصل الأولي للكلمة (٥) ، فانه معنى متطور عن المعنى الحسي الأول ، وبعبارة قول ابن عباس : (كنت لا أدري (١) توير المقياس : ٩٠ ، مجاز القرآن ١ : ١٨٧ ، ٣٨٢ ، المفردات : ٢٣٩ ، الكشاف ١ : ٤٩٧ .

(٢) أطر قول أبي حنيفة في باب (بدء البث وانتهائه) المخصص ١٠ : ٨٦ ، ٢١٣ ، وانظر أيضاً مجالس نعل ١ . ٢٩١ ، ٢٩٢ ، المفردات : ٣٩٠ ، وانظر اشعر في ديوان امرئ القيس : ١٥٧ .

(٣) العين : ٢٦١ ، مجاز القرآن ١ : ١٨٧ ، ٢ : ١٢ ، الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) ، الصحاح ٢ : ٧٨١ ، أمالي القاضي ١ : ٢١ ، الكشاف ٣ : ٢٥٣ ، وانظر باب أسنان الأولاد وتسميتها في المخصص ١ : ٣٣ .

(٤) الصحاح ٢ : ٧٨١ ، مقاييس اللغة ٤ : ٥١ ، المفردات : ٢٨٩ ، وانظر اشعر في الحيوان ٤ : ٣٩١ .

(٥) انظر مقاييس اللغة ١ : ١٤٣ .

مامضى فاطر السماوات والأرض حتى احتشم الى اعرابيان في بئر فقال أحدهما
انا فطرناها ، أي ابتدأناها (١) . ذلك لأن شق البئر ابتداء في حد ذاته .
ومن هنا يفهم العلاقة الوثيقة بين قوله تعالى واصفاً نشق السماء
وانفطارها وبين الآيات التي ورد فيها معنى الانفطار بالخلق والانداع ،
وانهما من أصل حسي واحد هو تفطر الثبت أو الاسمان .

وبعد هذا العرض السريع لمعنى كلمة الانفطار تبيين لنا الدلالة العظيمة
والصور الرهبة التي توحىها الآيات الكريمة في تصوير انفطار السماء ، وذلك
انها حين تمور ، وتصطرب تتصدع جوانبها ، وتنشق ، ولا تنكس الآية
الكريمة معنى الفطر الذي هو الشق فحسب ، وإنما تنقل لنا تلك الثقلانية
التي تظهر في استجابة الكون كونه لأمر الله تعالى ، وهي التي نجدتها في
فطر النبات ، وفطر ناب العبر ، وانشقاقه ، لأن هاتين الظاهرتين إنما تحدث
للثبت أو للغير بصورة طبيعية ، وفق نظام الخلاق الذي وضعه الله سبحانه
وتعالى . ويؤكد هذا المعنى الاسلوب البياني الذي سارت عليه الآيات الكريمة
حيث اسد الفطر والشق الى السماء مباشرة ، وصرف عن الاسناد الى محدث
الفطر والشق وهو الله سبحانه وتعالى ، لأجل توجيه الذهن الى ان الظواهر
التي تحدث يوم القيامة مسخرة لهذه الأحداث ، مهياة لها . وهي ظاهرة
تطرد فيها كل التعابير القرآنية التي تخص اضطراب السماوات والأرض .
وأول من التفت الى هذه الناحية - بما قرأت - الدكتور بشت الشاطيء
بقولها (ولا أعرف أحداً من المفسرين ، أو البلاغيين ، التفت الى اضطراب
هذه الظاهرة الاساوية في القرآن ، مع وضوحها الى درجة الغمد ، والاصرار
وسرها البياني دقيق جليل . فاطراد اساد الحدث الى غير محدثه بالبناء
للمجهول ، والاسناد التجازي أو المطاوعة ، يدل على الغمد المقصود به ما نسبه

(١) الزينة . الورقة ١٩٦ (ب) الكشف ١ : ٤٩٧ .

التلقائية ، والاتقان النفسي بان الكون كله مهياً يومئذ للحدث الخطير ، وان الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث ، فما تحتاج فيه الى امر ، ولا الى فاعل فالأرض تزلزل تلقائياً ، وتلك بانبعاث قاهر ، والجبال ترج وتنسف ، والحرار تسجر ، والنجوم تطمس ، وتنفث ، في طواعية تلقائية (١)

د - تناثر النجوم

ومن الطبيعي ان يصيب تحلل والاضطراب النجوم ايضاً ، بعد أن يخل النظام الكوني العام ، فتتفكك السماء ، وتثور مورا عظيماً ينتج عنه تغير حال النجوم ، وانهارها ايضاً . قال الله تعالى : (والمرسلات عرفا فواله اصفات عصفاء ، والاشرات نشراً فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل اقتت ، لاي يوم اجلت ؟ ليوم المصير) (٢) وبعد القسم القرآني تناهت الآيات الكريمة تعرض الظواهر التي تصيب الكون ، ومن بينها النجوم قال ابن عباس مفسراً طمس النجوم بأنه اذا (ذهب نورها) (٣) .
اما في اللغة فان حقيقة الطموس هي : (الدروس والامحاء وانطمس الشيء ، وطمس أي اتمحى ودرس) (٤) : وقال ابن فارس هو : اصل يدل على محو الشيء ومسحه : (٥) .

(١) التفسير البياني : ٧٠

(٢) سورة المرسلات ٧٧ : ١ - ٣ ، ٨ - ١٢

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧

(٤) الصحاح ٢ : ٤١ ، لسان العرب ٧ : ٤٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٤٢٤ ، لسان العرب ٧ : ٤٣٢

فتفسير طمس النجوم في الآية الكريمة بذهاب نورها من باب الابهام
والحق ، لان النجوم اذا تغيرت ، وانحت معالمها ذهب نورها . وهو معنى
اكدته آيات كريمة أخرى كقوله تعالى : « اذا الشمس كورت ، و اذا
النجوم انكدرت ، و اذا الجبال سيرت ، و اذا العرش عطلت . . . علمت
بمس ما احضرت » (١) فقد فسر الانكدار بالتساقط والاسراع نارة
والتغير نارة أخرى قال ابن عباس : « اذا النجوم انكدرت ، تساقطت
على وجه الأرض » (٢) وقال ابو عبيدة : « انكدرت يقال انكدر
فلان انصب » (٣) . واما تفسير الانكدار بالتغير فقد نقله الطبري عن
ابن عباس وآخرين (٤) .

وتفسير الانكدار بعيد لما تعبير الطمس في قوله تعالى : « فاذا النجوم
طمست » (٥) لان تساقط النجوم يؤدي الى تغير لونها والى اضمائها أيضاً
ولكن الانكدار يعطينا انحاء آخر أكثر من معنى التغير والسقوط ، انحاء
مرتبطاً بالبيئة العربية ، وصورها المألوفة ، وذلك اطلاقهم الكدرة على
حلاب الصوف في الماء (٦) . وللماء أهميته العظيمة في البيئة العربية الصحراوية

(١) سورة التكاوير ٨١ : ١ - ٤ ، ١٤

(٢) تيسر المقياس : ٣٨٢

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٨٧ : وانظر أيضاً جامع البيان ٣٠ : ٦٥ ،

الكشاف ٣ : ٣١٥

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٦٥

(٥) سورة المرسلات ٧٧ : ٨

(٦) انظر جمهرة النسخة ٢ : ٢٥٢ ، الصحاح ٢ : ٨٠٣ مقاييس اللغة

ومسبحته ، التفصيل فيما بعد (١) . تلك الأهمية التي جعلت منه الركن الأساسي في حياتهم فإذا بتعابير الماء تصيغ كلامهم ، وصوره تملأ مخيلتهم فإذا أراد شاعرهم الفخر قائماً بفتح شربه الماء الصافي العذب قل غيره من الناس لعزته ومنعته ، بينما يشرب أعداؤه الماء الكدر بعد أن يرده هو وقييته قال عمرو بن كلثوم :

وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفَوَا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا (٢)
وأقصى ما يمدح به المرء أن يشبه بالماء العذب في حوده وكرمه وإذا مدح شخص بهذا فسرعان ما يبعد عنه أن يكون ماء كدراً ، وإنما يمدح بأنه كالماء العذب البارد .
أشد ابن الأعرابي :

لو كنت ماءً كنتَ غيرَ كدِرٍ (٣)
الماء الصافي هو الصورة المحيية للعربي في بدائه الشحيحة ، يطيّب عيشه إذا توفر الماء ، وطاب ، فإن ساءت معيشته ، أو أصابته مصيبة استعاروا كدورته للتعبير عن العيش الصلّك ، والحياة الدميعة ، فقالوا « كدر عيش فلان وتكدرت معيشته » (٤) .

ومن هنا ندرك مدى التصوير البالغ المعجز ، الذي يصوره تعبير (١) انظر الفصل الخامس ، ٥ - شراب أهل النار ، والفصل السادس أ - أنهار الماء .

(٢) شرح القصائد السبع : ٤١٩ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً ديوان حاتم الطائي : ٣٦

(٣) الصحاح ٢ : ٨٠٣ ، والشعر غير منسوب إلى قائله
(٤) ن . م : ٨٠٤ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤ وانظر شواهد الشعر في ديوان الاعشى : ٣٤ ، ديوان النابغة الجعدي : ٦٩ ، ٧٣ ، ديوان عدي

الانكدار في تصوير حال المجوم حين تغير ، وتفقد بهاها ، فتكون صورة بعينة تنقل الى ذهن العربي صورة الماء الكدر ، والعيش الكبر وكل ما ينقص الصفو والجمال . وتغير المجوم بهذه الصورة المحزنة ينتج من اضطراب الكون كله ، ومور السماء ، وإنكائها . وكدره النجوم وتغيرها يدل على تغير واضطراب سريع في نظام سيرها ، ذلك الاضطراب الذي يؤدي بها الى الانهيار السريع . ومن هذه الوجهة جاء تفسير من قال ان معنى انكدرت « اسرعت » (٢) . ومما أثر بنا يبدو أن الاسراع ليس اصلاً اياً للكلمة كما ذهب ابن فارس (٣) ، وإنما هو متطور عن المعنى الاول ، لأن اسراع المجوم ناتج عن اضطراب النظام الدقيق الذي يسير الكون عليه فسرعان ما تهوى ، وتساقط بسرعة رهبة . وقد صور هذا المعنى بشعر آخر هو قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت » ، واذا الكواكب انتشرت » ، واذا البحارُ سُجِّرَتْ » (٤) . ويزيد من دقة الوصف ما توجيه كلمة الثر من سقوط النجوم ونهايتها ، حتى تعود صغيرة ، متسارة ، لأن الثر مقرون بالاجسام الصغيرة كما توجيه الكلمة .

- ابن زيد العبادي : ٦٠ ، شرح ديوان عترة : ٨١ ، جمهرة اشعار العرب : ١٢٦

شرح ديوان الحماسة ١ : ١١٩

(١) مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤

(٢) ن . م .

(٣) سورة الانطار ٨٢ : ١ - ٣

(٤) قال الله تعالى « اذا البحارُ سُجِّرَتْ » سورة التكوين ٨١ : ٦٠ وقد فسر سجر البحار باحتلاطها انظر مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ١٠ و ١١ وروي انها تجعل يوم القيامة ناراً انظر حرة التنزيل : ٣٨٨ ، الكشف ٣ : ١٧٢ ، وانظر ايضاً جمهرة اشعار العرب : ٩

وبعد ان مرت بنا التعابير المختلفة التي صورت الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون يوم القيامة تشكل في الذهن صورة متعددة الجوانب ، مليئة بالحركات لاضطراب الأرض والسماء ، وما فيها من جبال وكواكب ، فلأرض ترح رجا شديدا . وتزلزل رلزالا عظيما شاملا وتحدث انكسارات للجبال فصمت اجراؤها ، وتتناثر جوانبها متلاشية في الكون المضطرب والحرار تحتلظ في هذا الحضم الكوني المحتل الطام (١) اما السماء فتدهار متحولة الى سائل متعدد الألوان وقد تغير لون شمسها (٢) ونجومها ، وتهاوت كلها أثر الاختلاف الكوني العام .

لقد مرت بنا الإيعاءات المختلفة الى اوحتها التعابير القرآنية في وصف هذه المشاهد . وما نعهكه من صور البيئة العربية ، فلنا ان نساءل : هل استطاع الذهن العربي ان يتصور هذه الظواهر الرهبة كما صورها القرآن الكريم ؟

واذا بحثنا في جوانب البيئة العربية وحدنا بعض ملامح هذه الصور المزعجة التي يصفها القرآن الكريم ، وهي وان كانت ملامح بسيطة لا تقاس بشيء مما يحدث يوم القيامة ، فان لها دلالتها على البيئة العربية والذهن العربي .

انها ملامح الزلازل والبراكين التي تحدث في الحياة الدنيا . فهل تصور الذهن العربي الزلازل والبراكين ؟ ومن ثم الاضطراب الكوني يوم القيامة ؟ . اما المصادر العربية فانها لم تذكر حدوث زلازل في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، انما الذي يجده وصفا لبقايا البراكين وقد ذكرها

(١) قال الله تعالى « اذا الشمس كُورَت » سورة التكويد ٨١ : ٦ ، وفسر تكوير الشمس باعنائها وذهاب نورها . انظر تنوير المقياس : ٣٨٢ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٨٧ ، جامع البيان ٣٠ : ٦٣ وانظر ايضا المخصص ٩ : ٢٤

الذين كتبوا في جغرافية بلاد العرب من المحدثين فوصفوا آثار ايراكين . قال الشرقاوي بصف هضبة الجزيرة بقوله : (تتعطي هذه الحافة في اليمن بطنقة من اللاما ، وهي نوع من الصخور البركاني) (١) . وقال بيري واصفاً جبال الحجار حتى خليج عدن (ووراءه ترتفع جبال سوداء جرداء ، انما حنان الحجار التي تخترقها محرات قليلة تربط بين الساحل والداحل ، واذا نوحها جنوباً نحو خليج عدن ، وجدنا الصخر البركاني) (٢) . اما هضبة نجد فوصفت راما : (معطاة بحمم السائل البركاني) (٣) . اما الحرات فهي من بقايا ايراكين في الجزيرة العربية وهي كما وصفها المراجع القديمة : (ارض ذات حجارة سود نخرة كأنها احترت بالنار) (٤) ويقول شليفر أن هذه الحرات من مظاهر البراكين التي شملت الصحراء بقطر وجهها بالحجارة السود ، وربط بينها وبين زلزال وصعد السهودي في حوادث سنة ٦٥٢ هـ قال : (واصل هذه الحرات ايراكين الناطية التي غطت باستمرار وجه الصحراء المشوكة بطنقة من الحمم ، وهي توجد بهضبة خاصة في شرق حوران وتمتد من

(١) هذا العالم : ٣٣٣

(٢) جزيرة العرب لبيري : ٢٠٠

(٣) جزيرة العرب لوحة : ١٤

(٤) صاحب العين ، والاصمعي عن معجم البلدان ٢ : ٢٤٧ ، وانظر

الغريب المصنف : الورقة (٢٠٥) جمهرة الامة ١ : ٥٩ ، الصحاح ٢ : ٦٢٦ ،

مقاييس الامة ٢ : ٧ شرح القصائد السبع ٤٧٤ ، المخصص ٥ : ٢٥٢ ، ١٠ : ٨٦

وانظر عن وجود الحرات في ديوان الالبقة الديباني ٥٦ ، مختصر البلدان ٣١ معجم

البلدان ٢ : ٢٠٥ ، جغرافية العالم ١ : ٣١

هناك الى المدينة (١) .

وربط الزلازل بالمراكيب ظاهرة طبيعية أيضاً ، ذلك لأنها تحدثان نتيجة لعوامل جغرافية يسببها تحايل في طبقات الأرض ، وحركة ، واضطراب شامل (٢) . وهناك نوع من الزلازل سميت بالزلازل المركابية (وهي التي ترتبط هزاتها بالهزات الناجمة عن اشتاق البلاءات في فوهات المراكيب) (٣) . وقد حدثت منطقة الزلازل في الجزيرة العربية بأنها تلك التي توازي السواحل الشرقية الآسيوية (٤) .

هذه الدراسات اخبرانية تثبت كلها وجود المراكيب والزلازل في الجزيرة العربية ، لأنها أرض عرفت الانكسارات ، والتخلخل الطبقي الذي يصيب قشرة الأرض . أما المصادر العربية القديمة (٥) فنجد فيها رواية يظهر عليها الطابع الاسطوري وذكرها هنا يطلعنا على معسرة العرب للمراكيب والزلازل ، وعلى مقدار تصورهم لخرافة الجزيرة العربية . يذكر الجاحظ في حديثه عن نار (حرة بني سليم) ان الناس يزعمون بأنها نار خالد بن سنان أحد بني غزوم في بلاد عيس . وإذا كان الليل فهي نار تسطع في السماء ، وانها كانت تأتي على كل شيء فتحرقه ، وإذا جاء النهار فاعا هي دحان يقور ويروى بأن خالداً هذا اختفى ها بشراً . . . ويروى

(١) دائرة المعارف الاسلامية - مادة حرة ٧ . ٣٦٣ .

(٢) الزلازل عبارة عن (حركات تموجية تصيب قشرة الأرض في مناطق

واسعة) انظر قشرة الأرض : ٣٤٨ .

(٣) ن . م : ٣٥١ .

(٤) ن . م .

(٥) لقد قدمت المصادر الحديثة على المراجع القديمة (لأنني اتبعت تسلسل

الأقوال من الناحية العلمية لا التاريخية) .

أيضاً ان النبي (ص) قال حين رأى انته: هذه بنت نبي ضيعه قومه (١).
وتدلنا هذه الاسطورة على ان العرب عرفوا البراكين ، وعانوا من
اصجارها في العصر الجاهلي ما عانوا ، حتى صاروا يطلقون عليها اسم العذاب
الموجع (٢) ، ثم ان هذه البراكين والزلازل ظهرت في الجزيرة العربية في
المصور الاسلامية المتأخرة ، ووصف السهمودي أحدها وهو - وان كان
متأخراً - يعيدنا في رسم صورة واضحة لمودج من الظواهر الطبيعية التي
تحتاج الجزيرة العربية . ففي مستهل حادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسبعمائة
حدث في المدينة زلزال له دوي عظيم فكانت الأرض تموج ، والجدران
تتحرك ، وذكر ان امير المدينة أرسل عدة فرسان الى هذه النار ، فذكروا
انها رى بشر كالفصر ، ولم يظفروا بجلبية أمرها وان الأمير حين
ذهب بنفسه اليها لم يستطع مجاوزة موقفه من النار لأذ احجار كالسامير
تحتها نار صارية (ورأى قاراً كالجبال الراسيات ، والتلال المهتمة تقذف
زبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الامواج ، وعقد لهبها الافق قتناً حتى
ظن الظان ان الشمس والقمر كسفا ، اذ سلبا بهجة الاشرار في الآفاق .
وقال المؤرخون ، واستمرت هذه النار مدة ظهورها تاكل الأحجار ، والجبال
وتسيل سيلاً دريها في واد يكون طوله أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال ،

(١) الحيوان : ٤ : ٤٧٧ ، نمار القلوب : ٤٥٥ ، والجاحظ يتكرر هذه الرواية
ويقول (المتكلمون لا يؤمنون بهذا يزعمون ان خالداً هذا كان اعرابياً ، وربياً من
من أهل شرج وناطرة ولم يبعث الله نبياً قط من الاعراب) ومن المحتمل ان يكون
قول النبي (ص) - ان صحت الرواية - مجازاً ، وأراد به انها أسة مصلح عظيم ، لم
يعرف قومه قدره . ثم حاك الخيال العربي هذه الاسطورة مستنداً على ظاهرة الحرات
الموجودة في الجزيرة العربية وما تحدث من الطواهر الطبيعية .

(٢) وقاء الوفاء : ١ : ١٤٢ ، ١٥٠ .

وعمقه فامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يلذوب حتى يبقى مثل الآك ولم يزل يجمع من هذه المداية في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط الوادي الشطاة الى جهة جبل ، وعبره فسد الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسوك نالار (١) .

والوصف الأخير لقباً بالأحجار المدادة يشبه وصف القدماء للحرة بأنها حجارة سود نخرة ، كما نجد في الوصف العام للزلازل بعض ملامح الاضطراب الكوني الذي يحدث يوم القيامة - والذي مرت بنا صورته - فالجبال تتكسر وتتناثر أجراؤها ، وشهت في القرآن الكريم بالسراب لتلاشيها ، وكثرة فتيتها المتناثر . كما شهت بالصوف المنتثر لما يحدث لها من اضطراب هائل إضافة الى الانكسارات الرهبة التي تزلزل الأرض . . . وإذا كان زلازل المدينة قد اقتصر على منطقة محدودة فلأ النفوس بالرعب ، والعزع ، فكيف بالإنسان ، وهو يواجه هذه الاضطرابات الرهبة في كل ركن من أرجاء الأرض . فلا تسلم منه الحمال ، ولا الوديان ، بل حتى السماوات ، والكواكب والكون بأجمعه . . . انه رعب هائل يشبه القرآن الكريم في النفوس البشرية وهو رعب يشعريه العربي الذي شهد الزلازل في بيئته أو وجد آثارها في الحرات المنيقة مرسخت في دمه أحاديث هولاء ، وأذاها ، هذا العربي يستطيع ان يتصور الرعب الذي يفرغ الإنسان حين يواجه الاضطراب الكوني وحده يوم القيامة (٢) . وتضاف الى هذا طواهر طبيعية أخرى لم يشهدها الإنسان في حياته الدنيا ، لأنها تنبع عن اختلال عام يشعه تحول السماء الى سائل مذاب ثم انهيارها ، وتناثر نجومها وأجرامها كما مر بنا .

(١) وفاة الوفاء ١ : ١٤٢ - ١٥٠ .

(٢) ومن هنا اعتبر الجاحظ الزلازل من الطواهر التي يبعثها الله سبحانه وتعالى لترهيب البشر أنظر الدلائل والاعتبار : ١٣ .

الفصل الثالث

صفة الناس يوم القيامة

١ - سيرهم نحو النير :

أ - سرعتهم : نالهم ، تشبه سيرهم بالطواف حول النصب

ب - تفرقهم وانتشارهم : تشبههم بالجراد ، وبالفراش

٢ - صفاتهم النفسية :

أ - بأسهم .

ب - توقعهم العذاب .

ج - ذلتهم =

٣ - صفاتهم الجسدية :

أ - سواد وجوه المجرمين وياض المؤمنين

ب - حشر المجرمين زرقا

ح - اشراق وجوه المؤمنين =

١ - سيرهم نحو النفي :

أ - سرعتهم :

يخرج الناس من قبورهم اثر سماع النفي المفزع يوم القيامة : فيقفون وجها لوجه امام الاضطراب الهائل الذي يختل فيه نظام السموات والأرض ومن هنا نجد في القرآن الكريم صورا رائعة تصور مشاهد الناس عند خروجهم من القبور ، واول هذه المشاهد صورة سرعتهم في سيرهم نحو الداعي ، وقد عبر عنها بعدة تعابير لكل منها دلالة على البيئة العربية : نسلمهم : قال الله تعالى : (ويقولون : متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟ ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يتحدثون فـلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، وتفزع في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مردنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) وقال ايضا : (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ، حق اذا فتحت يا جوج وما جوج) (٢) وهم من كل حدب ينسلون وأقرب الوعد الحق فاذا هي شاخت ابصار الذين كفروا ، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) (٣) فعند نفح الصور يخرج الناس من قبورهم فيتساءلون عن حقيقة الموقف الذي دعوا اليه وقد قال ابن عباس ان معنى ينسلون يخرجون (٤) .

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٢

(٢) يا جوج وما جوج : قال المفسرون انهما امتان من الانس وقيل اسمان

لرجلين انظر جامع البيان ١٧ : ٨٨ ، التبيان ٧ : ٢٧٧ ، الكشف ٢ : ٣٣٧

(٣) سورة الانبياء ٢١ : ٩٥ - ٩٧

(٤) تنوير المقياس - ٢٧٥

اما ابو عذبة فانه سر السيل ناسير المربع وقربه بهدو الذئب قال :
(ينلون . يسرعون ، والذئب يعسل وينسل) (١) . وقال ايضاً في
تفسير سورة الانبياء : (يسيلون : يعجانون في مشيهم كما ينسل الذئب
ويعسل قال الجعدي :

عسلانُ الذئبِ امسى فارباً بَرْدَ الليلِ عليه فَهَسَلُ (٢)
اما في اللغة فنجد ان معاني الكلمة متقاربة بعضها من بعض ، فالنسل
مصورة عامة هو ضرب من السير السريع (٣) . واكتنا بجداه اقترن
بضرب من مشي الذئب قال ابن دريد : وَعَسَلَ الذئبُ يَعْسِلُ عَسَلاً
وَعَسَلَاناً . وكذلك نَسَلَ نَسَلَاناً وهو ضرب من المشي يضطرب
فيه (٤) . وقال الزمخشري : (وَنَسَلَ الذئبُ اذا امرع باعناق) (٥)
وقد ذكر ابن منظور ان هذا الاستعمال هو اصل للكلمة ثم اطلق على
السير السريع قال : (وقبل اصل النسلان للذئب ثم استعمل في غير ذلك
وانسلت القوم اذا تقدمتهم) (٦) .

ويبدو اننا لا نستطيع الجزم بان اصل السلان هو سرعة سير الذئب
ذلك لان الكلمة وردت في الشعر الجاهلي مقترنة بضروب عديدة من سير

(١) مجاز القرآن ٢ : ٤٢

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٤٢ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٧ : ١٩١ ، ٢٣ : ١٥

التيان ٢٧٩٠٧ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي : ٣

(٣) الصحاح ٥ : ١٨٣ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤

ونظر ايضاً اعجب العجب : ٣٨ ، امثال العرب ١٩٠ ، الطرائف الأدبية : ٧٥

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ٣٢ ، ٥١

(٥) اساس البلاغة : ٩٥٤

(٦) لسان العرب ١٤ : ١٨٤

الحيوانات المتوفرة في البيئة العربية .

فيقال عن الكلاب اذا اسرعت في سيرها قلت (١) . وكذا الحيات في سرعة انسلالها وصيرها (٢) . وبهذا لا نستطيع الجرم باصل استعمال النسل هل هو صير الدثب او الدابة او الكلب ، لان هذه الحيوانات كلها بما اعتاده العربي في بيئته وشهد عدوها وصرعة سيرها الا ان صورة نسل الدثب يقرب لنا الآية الكريمة لانه صير سريع فيه اضطراب ، وكذلك يكون حصال الناس في سرعة سيرهم واضطرابهم نحو الداعي . وسباق الآيات العام يعيدنا على فهم الاضطراب من تعبير النسل . (وما يبطرون الا صيحة واحدة نأخذهم وهم يخضعون ، فلا يستطيعون توصية ولا الى اهليهم يرجعون . ويصبح في الصور فاداهم من الاجداث الى رجهم ينسلون ، قالوا يا ويسا : من بعثنا من مرقدا ؟ هذا ما وعدت الرحمن وصدق المرسلون) (٣) . لانه مفترق بالمرع والرعب من مفاجئته الموقف وهوله . وهناك معنى آخر لكلمة النسل ، وذلك قولهم : السالة شعر الذانة اذا سقط عن جسدها قطعاً (٤) . وواضح ان تساقط الشعر او الور لا يكون بالقوة ، اما يكون نتيجة لطبيعة الجسد حين تحدث له ظاهرة تستدعي سقوط الشعر تلقائياً . ونجد هذه الصورة نفسها في قولهم (النسل بالتحريك الذي يخرج بنفسه من الاحليل) (٥) .

(١) انظر الحماسة البصرية . الورقة ٣٠٦ و ١

(٢) المفصليات : ٢٤٠ ، شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٦

(٣) سورة يس ٣٦ : ٤٩ - ٥٢

(٤) مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٩ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤ ، وانظر الشعر في

الطرائف الأدبية : ٦٦

ومن هذا المعنى الجديد لكلمة النسل تتشكل في الذهن صورة أخرى
 سير الناس يوم القيامة ، ذلك لاننا نجد فيه معنى الطوعية والاستجابة
 السرعة التي تنصفي على الآلة ايجاء جديداً يتجلى في خروج الناس واسراعهم
 من قبورهم نحو الداعي بصورة طبيعية وهذا المعنى ينسجم مع مشاهد
 القيامة الاخرى ، اذ ان كل مظهر من مظاهر الطبيعة يتجلى فيه تسخير
 محدد لاستجابة امر الله سبحانه وتعالى كما مرّ بنا سابقاً (١) . وكأن الكون
 كله قد هيا لاستقبال حادث عظيم وهو قيام الساعة والحساب . وتعاون
 هذه الصورة مع المعنى الاول لكلمة النسل وهي تشبيه سير الناس بعدو
 اللذئب المصطرب ، ذلك لاننا نجد في الآيات الكريمة معنى الطوعية
 والاستجابة لأمر داعي الله ، كما يتجلى فيها اضطراب وقتل يشبه اضطراب
 اللذئب في عدوه ، وكلا المعنيين منسجم مع المشاهد الكونية التي مرّ
 وصفها : (٢)

تشبيه سيرهم بالطواف : اما سرعة سير الناس نحو الداعي فانها
 رسمت في آية أخرى بصورة تنقل لنا مشهداً من مشاهد البيئة العريضة
 الجاهلية ، فقد شهت مرعنتهم نحو الداعي بصورة الطواف حول النصب
 التي كان العرب بعدونها قال الله تعالى : (يومَ يخرجون من الاجداث
 سراعا كأنهم الى نصبٍ يوفّضون ، حاشة أبصارهم ترهقهم دلة
 ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٣) .

قال معظم المفسرين ان النصب واحدة الانصاب وهي حجارة كان

(١) انظر الفصل الثاني أ - اضطراب الأرض - ٣ - سها

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٩٥

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣

ينصبها مشركو العرب ويعلمونها ، ويذبحون لها (١) . وقال اخرون : ان النصب هو ما نصب لهم من علامة او عاية يستبقون اليها (٢) . فهم في سرعتهن نحو الداعي كأنهم يستبقون إلى عاية نصبت لهم . وقد ذهب اللغويون مذهب المفسرين في النصب (٣) .

والملاحظ ان صورة الانصاب التي كانوا يذبحون عليها ، ويطوفون حولها أقرب الى الذهن عند قراءة الآية الكريمة من العلم او العاية التي يستبق اليها . فقد اعتاد العرب صورة الانصاب على اعتبارها جزءاً من حياتهم الدينية روى الطبري ان في مكة وحدها ثلاثمائة وستين حجراً يذبحون عليها القرابين (٤) ، وذكر ايضاً ان النصب وجدت في عكاظ (٥) والطائف وفي الحجار (٦) . الا انهم احتلفوا في تحديد مداها ، فهم من قصرها على الحجارة يدبح عليها للآلة (٧) . ومنهم من علما من

(١) تفسير الخمسمائة آية : الورقة ٤٧ (ب) جامع البيان ٢٩ : ٨٩ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) ، التبيان ١٠ : ١٢٩

(٢) اللغات في القرآن : ٥١ ، جامع البيان ٢٩ . ٨٨ ، الزينة ، الورقة ٢٣٩ (ب)

(٣) جمهرة اللغة ٢٩٩ ، اساس البلاغة . ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، لسان العرب ٢ : ٢٥٥ - ٢٥٦

(٤) جامع البيان ٩ . ٥٠٨

(٥) اسماء جبال تهامة ٧٩

(٦) وقد وصف Doughty أحد هذه الانصاب واعتقد انها كانت موهوبة لثلاث ووصفها بانها صخرة غير منتظمة ورمادية اللون انظر :

Travels in Arabia Desert Vol. II p 550

(٧) جامع البيان ٩ . ٥٠٨ ، الاصنام : ٤٢ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) وانظر ايضاً تاريخ العرب لحواد علي ٧ : ٧٩

معبودات العرب يطوفون حولها ، ويحجرون لها (١) .

والظاهر ان اختلافهم في النصب منأنت من طبيعة وجود هذه الانصاب في البيئة العربية ، واختلاف نظرة الناس اليها من مكان الى آخر فهي في مكة حجارة يذبح عليها كما ذكر الطبري (٢) حتى اذا حج العربي وأراد العودة الى أهله عرف عليه مرافق الكعبة بأحد من حجارة الحرم ماينحته على صورة أصنام البيت ، ويعمله قيلة له في بيته بطوفون حوله ، ويتمسحون به ويصلون له تشبيهاً له بأصنام الكعبة . قال ابن الكلبي (واشتهرت العرب في عادة الأصنام منهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ، ومن لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم أو أمام غيره مما استحسنت ثم طاف به كطوافه بالبيت وسماها الأنصاب) (٣) . وقال ياقوت : (وأقصى بهم الأمر بعد طول المدة ادهم كانوا يأخذون الحجر من الحرم فيعبدونه فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في ما رلم شعفاً منهم بأصنام الحرم (٤) والذي يهمنا في هذا الأمر هو صورة طوافهم حول الأنصاب التي تنقل بنا سرعة السير في التعبير القرآني حين وصف سير الناس بهـد حشرهم من قبورهم وشبهه بالطواف حول النصب . وفي الشعر الجاهلي نجد ذكراً للأنصاب على انها حجارة يذبح عليها (٥) . أما الصورة التي تعيننا على فهم الآية الكريمة فهي صورة طوافهم حول النصب وسرعتم في السير

(١) تفسير المحمـد آية : الورقة ٤٧ (ب) ، جامع البيان ٢٩ : ٩٠ ، الزينة :

(الورقة) ٢٤١ (أ) ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٢) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ .

(٣) الأصنام : ٣٣ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٦٢٢ .

(٥) ديوان النابغة الذبياني : ١٢١ ، ديوان سلامة بن جندل . ٨ .

نحوه . قال المثقب العبدى (١) ذاكرًا الطواف .
 بطف سصبهم حُجْنٌ صغارٌ فقد كادت حواجبهـم تشبُّ (٢)
 وقال الطرماح واصفًا سرعة جري الثور وراء النعام مشبها إياها
 بطواف قاصي البذر حول النصب :
 طوفَ مُثْلِي سر على نُصْبٍ حول دَوارٍ مُحْتَمَةٍ حَدْدَةٍ (٣)
 ونشبه الطرماح يفيدنا في هذا الباب لأنه صادر عن الصورة
 الفنية التي علفت في الدهن العربي وهي صورة الطواف السريع حول النصب
 والتي بقيت في الاستعمال الأدبي مع روال النصب والأصنام بانتشار الاسلام .
 ومن هنا نجد الاعجاز العظيم في التعبير القرآني الذي وصف سرعة
 سير الناس نحو الداعي وشبهه بالطواف حول النصب : (يوم يخرجون من
 الأجداث سرعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، حاشمة أبصارهم ترهقهم ذلة
 ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٤) . ذلك التعبير الذي تحدى الاعتقاد
 الدنيوي ولم يأخذ منه الا الصورة الفنية وهي صورة الطواف مع انها امارت
 قربة العهد الى الدهن العربي (٥) .

واستطيع ان يلمح في الآية معنى آخر الى جانب سرعتهـم في السير
 (١) هو العائذ بن محسن بن ثعلبة . من بني عبد القيس ، من ربيعة . شاعر
 جاهلي من أهل البحرين اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعمان
 ابن المنذر أيضاً . أنظر الشعر والشعراء ١ : ٣١١ - ٣١٣ جمهرة أساب العرب ٢٩٨ -
 ٢٩٩ ، حرازة الأدب ٤ : ٤٣٦ .

(٢) الأصنام : ٤٢ ، وليت غير موجود في شعر المثقب العبدى .

(٣) ديوان الطرماح : ٥٣ :

(٤) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ - ٤٤ :

(٥) وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى أنظر سورة المائدة ٥ . ٩٠

ذلك المعنى هو الضلال المتحيز في طواف المشركين حول النصب ، فكأن الناس حين يخرجون من قبورهم يسرعون نحو الداعي . وهم في اسراعهم هذا يكنهم الصلاة ، والحجرة ، كما هو الحال مع المشركين حين يطوفون حول النصب ولا يستجاب دعاؤهم ولا يجدي طوافهم . أما معنى السرعة فيؤكد أنه وصف الكافرين بأنهم : (كأنهم الى نصب يوفضون) ، (١) لأن الابداس هو السرعة كما قالوا (٢) وكلا المعنيين يتعاوان على رسم صورة الناس عند اسراعهم نحو الداعي .

ب - تفرقهم وانتشارهم

يفزع الناس عند سماعهم صوت النمر فيخرجون من قبورهم مصطربين هلعين ، وقد توضحت لهم حقيقة الموقف فينفرقون وينثرون ، وقد ملأ الرعب قلوبهم . وصورة انتشارهم المفرع صورت في القرآن الكريم بصورة واضحة المعالم ، إذ شهوا مرة بالجراد المنتشر ، وأخرى بالفراش المبعوث قال الله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكُر خضعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) مهطعين الى الداعي بقول الكافرون هذا يوم عسر (٣) .

وتشبه حال الناس في تفرقهم بالجراد بنفسا الى البيئة العربية التي ألف العرب فيها انتشار الجراد في صحرائهم الواسعة وقد ذكر الجراد في سورة

(١) سورة المعارج ٧٠ - ٤٣ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٦٨ ، تأويل مشكل القرآن : ٣١٧ ، جامع البيان ٢٩ :

٨٨ ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

الأعراف على أنه مما أرسل مع القمل والطفوفان على آل فرعون (١) ؛ ولرسوخ صورة الجراد في الذهن العربي شبهوا بها الناس الجبناء حين يفرون من الحرب فزعين خائفين .

كما أنها تنقل لنا صورة رحف الجراد حين يملأ الأرض زحفة ويسير بقوة دافعة لا يمكن أن تصده أي قوة أخرى (٢) .

وهم في مثل هذا التشبيه يقصدون إلى رسم العرع الذي يجعل الجناء يفرون على غير هدى هرباً من الموت والقتل وهي صورة واضحة المعالم في وصف الناس يوم القيامة حين يهاجمهم المفرع الأكبر ، فيتفرقون على غير هدى ، ويفرون على وجوههم تنههم الدلة والطلع ، وهم في سيرهم هذا مدفوعين بقوة مجهولة متساقين نحو الداعي بمجموعهم المحتشدة ، متذكرون صورة الجراد المنفرد الذي يتبرى لأدنى حركة ، على حين تذكرهم صورة الجراد المجتمع الذي يرحف بقوة ودأب عظيمين لانقفاً أمام جبهته ورحفه قوة من القوى

وفي آية أخرى شبه الناس في تفرقهم وانتشارهم بالفراش : (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ؟ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنعوش) (٣) . ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصويراً آخر لحال الناس في تفرقهم وانتشارهم عند اضطراب السماوات والأرض ، وقد حاول المفسرون تحديد الفراش فقال ابن عباس (الفراش المبثوث المبسوط يحول بعصه في بعض الفراش هو شيء يطير بين السماء

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٣٣ .

(٢) ديوان التابغة الجعدي : ٤٥ ، المؤلف والمختلف : ٥٦ ، الأشباه والنظائر

١٤٩ ، ٢٦٦ ، الطرائف الأدبية : ١٦ .

(٣) القارعة ١٠٢ : ١ - ٥ .

والأرض مثل الجراد (١) . أما أبو عبيدة فلم يشبهه بالجراد وإنما كتفى قوله (كالعراش المثلوث طير لا يعوض ولا ذباب هو العراش) (٢) . أما الزجاج فقد شبه العراش بصغار النق قال (والعراش ما رآه كصغار النق يتهاوت في سائر ، شبه الله عز وجل الناس يوم العث بالجراد المنتشر ، وبالعراش المثلوث ، لأنهم إذا نعتوا بموج بعضهم في بعض كالجراد الذي بموج بعضهم في بعض) (٣) .

وبلاحظ في هذا التشبيه انه مستمد من البيئة العربية بوضاً ، من صورة اعتادها العربي مضرب بها المثل ، وذكرها في أشعاره ، ذلك لأن البيئة العربية صحراء مترامية الأطراف في معظم أجزائها تشرح فيها الحيوانات نهارة ، فإذا جاء الليل فإن أي نار تنراه من مكان ما تنهافت حولها الحشرات ، وتروح بعضها في بعض . ومن الطبيعي أن تكون هذه الحشرات متنوعة ، ومن هنا لم يستطع المصريون واللغويون تحديد العراش فشبهوه بالجراد نارة ، واكتفوا بالقول انه لا ذباب ولا يعوض كما مر بنا . هذه الصورة التي اعتادها العرب انعكست في أشعارهم فإذا أرادوا مدح قوم شهروهم بالعراش لأنهم لا حلوم لهم . كما أن العراش طائش بموج بعضه فوق بعض حتى يهروا جميعاً في النار فتحرقهم أشد أديث : أودى بحملهم القياش فحلمهم حلم العراش عشي ناري المصطلبي (٤)

(١) نوير المقياس : ٣٩٥ ، وانظر أيضاً رأى الهراء في لسان العرب ٨ : ٢٢١

جامع البيان ٣٠ : ٢٨١

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٣٩ وانظر أيضاً جامع البيان ٣٠ : ٢٨١

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة ٤ : ٤٨٧

(٤) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١

والعراش المتاحرة (١) . أي ان المتاحرة قد شغلت تفكيرهم فأودت
 بمقومات قناتهم كما ينهأوى العراش على تيراب المصطفي .
 وإذا أرادوا ان يدعوا صديق قوم في هجاءهم شهوهم بالعراش ،
 وأهم في الحروب لا يصحسون . واء ينساقصون بمصهم فوق بعض كالعراش
 الذي يهوي في النار متحرقة . قال الأسلع بن سالم المصي (٢) بصف قومه
 وحربهم مع بني ذهل بن مالك :
 كأن سراقاً الحلي ذهل بن مالك

عراش تنهأوى في لظى النار من عل (٣)

وقالوا في المن : (أطيش من مَرَاثَة) (٤) .
 ومن هه نهم وجه الشبه في الآية الكريمة : (يوم يكون الناس
 كأنهم عراش اندثوث وتكون الجبال كالعين المنفوش) (٥) فالناس
 حين يهرعون ويضطربون يموج بمصهم فوق بعض وهذا الاضطراب لا يمثل
 الحركة محسب ، إنما يصور الاضطراب والتدافع اندي يودي الى التهلكة
 كما يؤدي تدافع العراش الى النار واهلاك . ثم ان العراش من الناحية الأخرى
 حشرات حقيرة تهلك مصها تنهأفتها على النار ، فشبه بها حال الناس في
 تهراقهم ودلتهم الى حاب اضطرابهم ، وتدافعهم . قال الرمضري موصفاً
 هذا التشبيه : (شهوهم بالعراش في الكثرة ، والانتشار ، والدلة ، والتظير
 (١) مقاييس اللغة ٤ : ٤٦٤ .

(٢) هو الأسلع بن سالم المصي أخو بني حمران بن ثعلبة بن دؤيب شاعر
 فارس ، لم أعثر على ترجمة كاملة له أنظر المؤلفات والمخالف : ٥٤ .

(٣) ن . م .

(٤) الصناعتين : ٢٤٣ ، المستقصى ١ : ٢٣٠ .

(٥) سورة القارعة ١٠١ : ٤-٥ .

الى الداعي من كل جانب . كما يتطابق الفراش على سرير قد حرير :

ان المرردق ، علمت وقومه مثل الفراش عشب من المصطلي (١)

هذه هي صورة الناس في تفرقهم وانشطارهم يوم القيامة ، وسياق الآيات لعامر يعبأ على فهم التفرق والدلة المراد نديها في هذا التشبيه ، فما دامت قبور الناس متفرقة في أرجاء العلم المتاعدة ، فان الناس يفرحون من هذه القبور ويسرعون نحو الداعي وبهذا نكتمل صورة الانتشار والتفرق (٢) اما الدلة والمرع فيوضحها سياق الآيات العام : (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ؟ يوم يكون الناس كالمراش المنثوث ، وتكون الحبال كالعهن المنفوش) (٣) ، فالقارعة اسم من أسماء يوم القيامة (٤) ، وهي داهية مهلكة ويقال قرعت عظمه أي صدعته) كما يقول أبو عبيدة (٥) فكان هذه الداهية لها تصدع كل ما في الكون وتفتته ، وتكرار لفظ القارعة بهذا الابعاء الملهمة بقرع الاذن معاني المرع والرهمة . وتؤكد الآيات بعدها هذا المعنى ، بأن القارعة تكون يوم القيامة حيث يتصدع الناس ويتفرقون كأهم قروش منتشر ، فيصيب الصدع الحبال وتنتفت وتناثر أجزاؤها ،

(١) الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، ورواية البيت في الديوان (أزرى بحلمكم الفياش

مأتم . .) . انظر ديوان جرير : ٣٥٩ وهي تشبه رواية البيت اندي أشده البيت أنظر من ٨١ .

(٢) وانظر هذا المعنى في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون)

سورة الروم ٣٠ : ١٤ :

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ١-٥ .

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٢٨١ .

(٥) مجاز نقرآن ١ : ٣٣٢ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، التبيان

١٠ : ٣٩٩ .

وتكون كالمصوف المتعوش . وهكذا تداعى الآيات الكريمة لترسم الصورة الواضحة ليوم القيامة ، وكيف ان الكون كله يشعل النزع والزع ، ثم تأتي صورة تفرق لدس ، وانتشارهم كالحراد أو كالفراش لتكمل صورة الاضطراب الشامل .

٢ - صفاتهم النفسية

أ - يأثمهم :

قال الله سبحانه وتعالى مبيناً ان قيام الساعة وما فيها من هول والوعب ، يترك المخرمين في يأس مرير . (ويومَ تقومُ الساعةُ يبأسُ المخرمون ، ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ، وكانوا بشركائهم كافرين ، ويومَ تقومُ الساعةُ يومئذٍ يتفرقون) (١) .

فسر ابن عباس ابلاس المخرمين بأنه يأثمهم (٢) وقال الفراء : (المداس المنقطع رحاؤه ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب قد ابلس . وقد قال الراجز :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرماً قال : نعم اعرفه وأبلسا (٣)

(١) سورة الروم ٣٠ : ١٢ - ١٤ .

(٢) تنوير المقياس ٢٥١٠ ، اللغات في القرآن : ٣٨ ، التنبيه والرد : ٧٤ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٣٣٥ ، والبيت لم ينسب الفراء الى قائله وهو للعجاج

كما في مجاز القرآن ٢ : ١٢٠ ، جامع البيان ٢١ ، ٢٦ ، مكرس فيه الكرس أي أبوال الابن ، وايعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار ، وكذلك فسر ابلاس في سورة الأعام ٦ : ٤٤ ، والمؤمنون ٢٣ ، ٧٧ ، والزحرف ٤٣ ، ٤٩ ، أنظر تنوير المقياس :

٨٧ : ٢١٥ ، ٣٠٧ ، جامع البيان ٧ : ١٩٤ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٢٥ : ٩٨ ، ٢١ ، ٥٤ ، =

وأضاف الزمخشري الى معنى اليأس السكوت والخيرة قال : (الابلأس أي يئى يائساً متحيراً . نقل ناطقته فابلأس اذا لم ينس . وينس من اس يحتج . ومنه النافقة المبلأس التي لارعو وقرته ينس . ويحتج اللام من أركسه اذا أسكنه) (١)

وبلاحظ في هذه التفسير انها أعطت معنى مشتركاً للكلمة وهو اليأس وخيرة والوحوم . وهكذا ورد معنى الكلمة في كتب النافوس قبل الخوهرى : (المن من رحمة الله . أي ينس ومنه سمي ابليس وكان اسمه عزرائيل) (٢) وهو معنى جعله ابن فارس الأصل للمعاني الكلمة قال : هو (أصل واحد وما بعده . فلا معول عليه ، فالأصل اليأس يقال : ناس اذا يأس قال الله تعالى (ذا هم ملسون) قالوا ومن ذلك اشتق اسم ابليس كأنه أيس من رحمة الله) (٣) .

وهذا معنى آخر للكلمة وهو ان يقال اليأس الرجل اذا سكوت (٤) فكان الكافرين حين يرون العذاب الذي ينظرهم يوم القيامة يسكتون ، ويتحذرون ، وقد انقطعت حجتهم ، لأنهم سبق ان اسروا في الحياة الدنيا ، ومن هنا نفهم تطور معنى ابليس اذا ينس ان معنى ينس اذا سكوت . قال أبو عبيدة : (والمُنْسُ : اليأس ، وذلك قبل الذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنه جواب قد أسس) (٥)

= الكشف : ٥٠٥ : ٢ ، ٣٦٧ : ٣ ، ١٠٣ .

(١) الكشف ٣ : ٥٠٤ .

(٢) الصحاح ١ : ٩٠٦ ، لسان العرب ٧ : ٣٢٨ .

(٣) مقاييس اللغة ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وانظر أيضاً الممردات ٥٩٠ .

(٤) الوارد ١ : ١٧٢ ، جمهرة اللغة ١ : ٢٨٨ ، أساس البلاغة ٦١

(٥) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٨ والنص غير موجود في مجاز القرآن

وإذا عدنا إلى البيئة العربية وجدنا صدى الاستعمال الحسي للكلمة مقرباً
 فاداة حيوان الصحراء المعتاد ، وذلك أن يعرض لها عارض فتألم ولا يستطيع
 أن يترفع (١) ، وهي في هذه الحالة في بأس وحيرة مما ألمّ بها ، وهو المعنى
 الذي تطورت إليه الكلمة للدلالة على اليأس المطبق ، ثم إنها لشدة ألمها
 لا تستطيع أن ترعو ، وهو المعنى الذي تطورت إليه الكلمة حين قالوا ليس
 المرء إذا سكت ، لأن رغاء الدابة يقابل كلام المرء ، فانقطاعه عنه يقال
 الانقطاع عن الكلام .

كل هذه المعاني يستطيع أن يلمسها في الآية الكريمة (ويوم تقوم
 الساعة يُبأسُ المجرمون) (٢) ، ذلك لأن المجرمين يوم القيامة حين يرون
 العذاب مثلاً بظهرة الاضطراب الكربي يبأسون من العجز والرحمة ، لأنهم
 ارتكبوا في ذنوبهم ذنباً عظيماً لم يرعوا فيها إلى رسالة الرسل ولأنباء
 وهم في هذه الحيرة لا يستطيعون الكلام والدواع عن أنفسهم فتغلوا صورتهم
 هذه إلى مشهد الدابة المألوفة الناس وهو مشهد عدلاً تكرر أمامنا طري
 العربي ، فاعتاده وعرف الأذى النفسي الذي تصاب به الدابة صرعاً ما ترسم
 هذه الصورة في ذهنه حين يقرأ الآية الكريمة حيث يبأس المجرمون ، وتجتمع
 كل هذه الدلالات لترسم لنا الصورة الكاملة لآلام المجرمين وبأسهم
 وهذا معنى آخر ورد في شعر العجاج واصفاً وحوشه لقوم غلب
 اشتداد الحرب ، إذ تغلوا صمرة وحيرة وبأس .

وحملت يوم الخميس الأحمانس وفي أحوه صمرة ولائس (٣)
 صورة الحيرة . والصفرة التي بمعنى الوحوش في الحروب ، تريد من

(١) انصحاح ٢ : ٩٠٦ ، مقابيس اللغة ٢ : ٣٠٠ .

(٢) سورة الروم ٣٠ : ١٢ .

(٣) جمهرة اللغة ١ : ٢٨٨ ، اصر أيضاً لسان العرب ٧ : ٣٢٨ .

إجماع الكلمة في الآية الكريمة ، ودلالاتها على الضعف ، واليأس ، والوجود وهي تعطيها صورة أخرى لدلالة الكلمة على البيئة العربية حين تصغر أوجه القوم عند العارات الشديدة ، واهروب المتطاحة . ومع ذلك تبقى صورة المابقة المستبينة متمثلة في الذهول على أنها الصورة الحسية الوثيقة الصلة بالبيئة العربية فتساعدنا على فهم التغير القرآني الى جانب المعاني الأخرى المتطورة عنها .

وهذاك تعبير آخر يصور حيرة الناس وبأسهم يوم القيامة : (لا أقسمُ يومَ القيامةِ ، ولا أقسمُ بالنفثِ الأمامِ ، أيعجبُ الإنسانُ أنْ تَجْمَعَ عظامه ؟ بلى قادرين على أن نُنَوِّي بانه بل يُريدُ الإنسانُ ليعجزَ أمامه ، يتنلُ آياتَ يومِ القيامةِ ؟ فإدِّ بترقِ البصرُ ، وحسبَ القمرُ ، وحُجِّعَ الشمسُ والقمرُ ، يقولُ الإنسانُ يومئذٍ أينَ المهرُ . . .) (١) معي هذه الآيات الكريمة نجد حيرة الإنسان يوم القيامة متجدية بما يطرأ على بصره من معالم الخيرة ، والمطلع وقد قالوا في معنى ررق البصر أي شخص وتجبَّر مرعا (٢) ، وذلك لأن أصل الرق هو الاعماد والتلا (٣) ، فكان الإنسان حين يشهد الظواهر المرعة التي تعود الكون ويرى المزع محيطاً به شخص عياه وتلا ، وتأخذ الخيرة فلا يطرف بصره . وهو معنى أكدته قوله تعالى : (إنما يؤخَّرُهم ليومٍ تشخصُ

(١) سورة القيامة ٧٥ : ١ - ١٠ .

(٢) تنوير المقباس ٣٧٤٠ ، جامع البيان ٢٩ : ١٧٨ ، درة التنزيل : ٣٨١ ،

التبيان ١٠ : ١٩٢ .

(٣) جوهرة اللفظة ١ : ٢٦٩ ، الصحاح ٤ : ٤٤٦ ، المحصص ١ : ١٠٧ ،

أساس البلاغة : ٤٣٠ ، لسان العرب ١ : ٢٩٧ .

فيه (لأنصار) (١) وقال أيضاً: (واقرب الوعد الحق فاذا هي شاحصة
أبصار' الذين كبروا) (٢) . لأن شخص الأَبصار ان تبقى العين مفتوحة
لانتظرف (٣) .

ب - توقعهم للعذاب

ومع بأس الناس من الرحمة والنفو تحذ وصفاً للعزيع الذي يملأ قلوبهم
واشعور القوي الذي يحتاج نفوسهم بأن مصيبة عظيمة متحل بهم ، ولكمهم
بجهنمها قل الله تعالى . (كلا بل تُحورن العاجلة ، وتَدْرُونَ الآخرة
وحورن يومئذ ماصرة" الى ربها باطرة" ، ووحورن يومئذ ماصرة" تظنن ان
يُفْعَلُ بها فاقيرة") (٤) .

فقد وصفت وجوه الكافرين بأنها ماصرة . وقال المفسرون في شرحها
بأن معاشها انها تكون لياسها وصفها كالحنة كرهية المنظار (٥) عينة
مقطعة (٦) ، ذلك لأنها تتوقع حصول داهية عظيمة لا تحتملها نفوسهم ،
ويأتي التعبير الذي صورت به الداهية ليزيد ملامح الكافرين وضوحاً ، لأن

(١) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٩٧ .

(٣) جامع البيان ١٣ : ١٢٣٦ ، النبيان ٦ : ٣٠٣ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٥) توير المقياس : ٣٧٥ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٧٥ ، غريب القرآن : ٥١ ،

جامع البيان ٢٩ : ١٩٣ ، واطر أيضاً جهرة اللعة ١ : ٢٥٥ ، الصالح ٢٩ : ٥٨٩
لسان العرب : ١٢٣ .

(٦) غريب القرآن : ٥٠٠ ، جامع البيان ٣ : ٢٩٤ .

عبوس الوحده وتقطبها لابد أن يكون لباس عظيم وحوف مربع من الداهية .

ومما قرأه التي يتوقها المحرمون هي (شدة ومكررة من العذب) كما يقول ابن عباس (١) وهي الداهية كما فسرها معظم المفسرين ، ولكنهم احتجوا في أصل استعمالها هل لها مشتقة من فطر الطهر كأن تكون المصيبة التي نحن بهم عظيمة تكسر طهورهم ؟ أم أنها من القفر الذي هو الحر يومئذ به أنف البعير ليل ذلك ؟ .

أما لفرق الأول فقد قالوا في تفسير الآية أن مائة هي الداهية من فطر الطهر كأنها تكسره (٢) . ويلاحظ في هذا التفسير أنه وثيق لصلته بالبيئة العربية ، ذلك لأنه من المعاني الحسبة التي اهتم بها العربي ، وأولاهها عناية . فقد اهتم العربي بالحيوانات الأليفة التي شاركته بيته ، تأملات صناعها الجسدية ، مسمياً كل عضو منها . وعند في الشعر الجاهلي صدى عميقاً لهذا الاهتمام إذ وصف الشاعر راقته ، وتطرق إلى ذكر فطر طهرها ، والتمتع بها قال زهير بن أبي سلمى

أردت العفارة لم تنجنيها . قيطاف في الركاب ولا خيلاء (٣)
الآرزة : الداهية بعضها من بعض ، والقطاف : قاربة الخطو ، والخلاء : أن تترك فلا تخرج ، يريد أنها بمنزلة القمار مشتقتها ، ولا يقص خلقها شيء من العيوب كقاربة الخطو أو البروك وعدم مارحة الأرض . وقال (١) تنوير المقياس : ٣٧٥ .

(٢) نصير غريب القرآن ٥٠٠ ، أدب الكتيب : ٥٦ ، جوهرة اللغة ٢ : ٣٩٩ غريب القرآن ١٨٦ ، الصحاح ٢ : ٧٨٢ ، التبيان ١٠ : ١٩٩ ، المعرّيات : ٣٩١ الكشف : ٣ : ٢٩٤ .

(٣) شرح ديوان زهير ٦٣ .

الأعشى واصفاً ناقته ، وكيف ان فقارها متلاحمة بالحم .

ودائماً تتلاحكت مثل أنموذ من لاجم منها السليل العيقارا (١)

ومن الطريف ما يروى في هذا الباب ان اعرابياً قدم على عتة بن

أبي سفيان (٢) مشتكباً طلاسته ، وان عتة قال له (اني أراك اعرابياً

جافياً ، فوالله ما أحسست تدري كم تصبي في كل يوم ودية ؟ فقال : أرايت

ان أباك ذلك ان تعمل لي عليك مسألة ؟ قل : نعم . فقاب الاعرابي :

ان الصلاة أربع أربع ثم ثلاث بعد من أربع

ثم صلاة الفجر لا تضيّع

فقال صدقت . وقال فقل : كم فقار طهرتك : فقل : لا أدري فقل

أفتحكم بين الناس ، وأنت تجهل هذا من نفسك ؟ فقال ردوا عليه غنيمة (٣)

وهذا الخبر دلالة على الأمور التي كان الاعرابي يولها اهتمامه . حتى انه يعجب

من جهل عتة عدد فقر طهره مع انه يحكم بين الناس وكان عدد فقار

الظهر من أولى مستلزمات الرجل الحكيم ! لأن من تجهل نفسه يكون أولى

بجهل أمور الناس وشؤونهم . وقال ابن الاعرابي في تحديد فقر الانسان

والعبر (أهل فقر البعير ثمان عشرة ، وأكثرها احدى وعشرون الى ثلاث

وعشرين ، وفقر الانسان سبع) (٤)

(١) ديوان الأعشى : ٤٧ .

(٢) هو عتة بن أبي سفيان صحابي من حرب بن أمية أمير مصر وبها من قبل

أخيه معاوية قدمها سنة ٤٣ هـ . حج بالناس سنة ٤١ ، ٤٢ هـ . أبتر نسب قريش .

١٢٥ . تاريخ البعقولي ٢ : ٢٦٤ ،

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) عن لسان العرب ٦ : ٣٦٨ . علماً بأنه أصبح من الثابت في الوقت الحاضر

ان عدد فقار الانسان ثلاث وثلاثون .

ومن هذا المعنى المادي قالوا عن الرجل فقراً إذا كسرت فقراته
وعبر بهذا التعبير عن الضعف . قال طرفة :

وإذا تَلَسَّطْنِي أَلَسُّهَا اني لستُ بموهون فقر* (١)

وقال ثعلب معاقاً على البيت : (فقير - مكسور الفِقار) (٢) فقد
استعملت كلمة الفقر للدلالة على الضعف والكل لأن من ضعفت فقرات
ظهره ، ضعفت قوته وطاقاته الجسدية .

ومن هنا جاء الاستعمال المجازي لمعنى الفقر وهو الحاجة والذلة أو ما يصاد
المعنى فكما ان المكسور الظهر ضعيف لا يقوى على السير والعمل وحده ،
ومحتاج الى المساعدة فكذلك سمي كل محتاج الى غيره بالفقر (٣) وقد وردت
بهذا المعنى في اثني عشر آية (٤) .

ف قوله سبحانه وتعالى في صفة حال المجرمين يوم القيامة (تَطِينُ اَنْ
يَفْعَلَ بِهَا فَاقرة) (٥) يرسم لنا صورة حسية من البؤسة العربية ، وذلك ان
هؤلاء المجرمين يياسون من الرحمة ، والعمو ، وبوقنون بداهية عظيمة مؤلة تحل
بهم فتتركهم دليلاً ضعفاء لامعين لهم . وهذه الداهية تقضم ظهورهم ،
وتكسر فقرهم ، ويكون شأنهم في ذلك شأن العبر الضعيف الذي كسرت
فقاره فبدل ولا يقوى ، وهي صورة طلياً شهدها العربي في بيئته وتحسس
الأذى ، والذل الذي يرسم على العبر المكسور . ويعيننا على تصور هذا
(١) ديوان طرفة : ٧٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١ : ٣٢٠ ، شجر الدر ١٦٤ ، الصحاح ٢ : ٧٨٣ ،
المفردات ٣٩١ ،

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣٤٦ .

(٤) المعجم المفهرس : ٤٢٤ ، ٥٢٥ .

(٥) سورة القيامة ٧٥ : ٢٥

المعنى إطلاقهم الفاقة ، والقاحلة على الداهية (١) كأنها أشدة هولها وأدائها
تقصم انظهور وتضعفها .

أما التفسير الثاني فقد ذهب بإعاقرة الى فقر الأنث ، ويؤهل هذا
المعنى قول أبي عبيدة ، الفاقة الداهية وهو الوسم الذي يقر على الأنث (٢)
وهذا التفسير هو الآخر يعكس لنا صورة واصحة للملامح للبيئة العربية حيث
يعتبر البعير فيها عنصراً أساسياً من عناصر المساواة في الصحراء ، تلك البيئة
التي أعطت العربي جبراً تبعه على الاستعانة من هذا الحيوان ، وجعله أكثر
فائدة وإقتراداً بنفس صاحبه . ومن هذه الخيرة فقر ألب العير ليسل ، وبتقاد
بسهولة . ويجد عبد القدماء أقوالاً عديدة ترسم صورة الفقر والفائدة منه :
في حديث عمر بن الخطاب (رضي) (ثلاث من المواقف أي الدواهي واحداها
فقرة كأنها تحطم قدر الطهر كما يقال قحمة لصهر ، والعقار ما وقع على
أنث البعير . . .) (٣) . وفي حديث الإمام علي عليه السلام قوله : (من أحسن
أهل البيت فليستعد للفقر حذراً أو تحمداً) (٤) والتجفاف ما يحلل به العرس
من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه لاسان أيضاً وقد مر هذا القول
بأنه من أحسن ما قيل لفقره يوم القيامة ما يخرجه من الثواب ، وقيل ان يعد نفسه
لفقر الدنيا والزهد فيها (٥) . أما الشريف المرتضى فانه مر الحديث تفسيراً

(١) أنظر شرح ديوان لبيد : ٢٢٠ . ديوان كعب بن زهير : ٢٥٩ ، شرح
القصائد السبع ١٦٤ ، أمثال العرب : ٣١ ، الوحشيات ١٧٥ ، أمالي البريدي : ٢٨ .
(٢) محار القراء ٢ : ٢٧٨ ، أدب النكات : ٢٥٦ ، مجالس نعلب ١ : ٢٦٨
جامع البيان ٢٩ : ١٩٤ .

(٣) لسان العرب ٦ : ٣٧١ .

(٤) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٥) ن . م .

آخر قريب الصلة بالنسبة العربية ، وبموضوع فقر أنف العير الذي ذكره
بصدده قال : (ويمكن أن يكون في آخر وجه ثالث تشهد بصحته اللفظ
وهو أن أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف العير حتى يحصل إلى
العظم أو قريباً منه ، ثم يابى عليه حل يبدل بذلك الصعب يقال .
فقَرَه يعقُرُه فقراً إذا فعل ذلك به ، وعير معقور وبه فقرة ، وكل شيء
حززته وأثرت به ، فقد فقِرَتْهُ تعقيراً ، ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف معقور
ويحمل القول على أنه عيه السلام أراد من أحبنا فيلزم نفسه ، وليحطمها
وليقلدها إلى الطاعات ، وليصرها عما تبذل إليه من الشهوات ويذلها
على الصبر عما كره منها . ومشفة ما أريد منها كما يعمل «ابيعير» (الصعب) (١) .
والشريف المرتضى حين رجع هذا المعنى الحسي إنما يستند على شواهد اللغة
وكلام العرب (٢) .

أما اللغويون فقد وصحوا لنا صورة فقر أنف العير ، ورسوموا معالمها
وعاياتها . روى أبو مسهل (٣) عن أبي عبد الرحمن بن مهدي (٤) قوله :
(ويقال قَرَمْتُ العيرَ أقرُمُه وهو أن تحبز جلدته أمه إذا كان نشيطاً
مرحاً لئلا يحد حتى يكون كهيئة العلم في أمه ، وهو القَرَمُ أي الحز في الأنف
(١) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٢) د . م .

(٣) هو عبد الوهاب بن حريش ، أبو مسهل الهمداني الشحوي ، كان من
أهل العلم بالقرآن ، ووجوه اعترابه ، عارفاً بالعربية ، روى عنه محمد بن يحيى
الكسائي كان اعرابياً قدم بغداد واهتم على الحسن بن سهل . عاش في أواخر القرن
الثاني الهجري ، وأوائل الثالث . أنظر أباه الرواة ٢ . ٢١٨ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢٤
(٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن سهل صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام
المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، أو سنة ٢٢٤ هـ .

والفقر مثله (١). وعن أبي عبيد قوله : (الصَّعْرُ ان يُحْزَرَ أَنْفُ البَعِيرِ حتى يَحْصَلَ لِي الْعَظْمُ أَوْ قَرِيبَ مِنْهُ ، ثُمَّ يَأْوِي عَلَيْهِ جَرِيرٌ يَدُلُّ بِذَلِكَ الصَّعْبَ وَمِنْهُ عَمَلَتِ الْهَاقِرَةُ) (٢). ورسم ان الاعرابي لنا صورة فقر أنف البعير ، وكيف ان الرجل يتحكم بحرج بعيره ونشاطه اذا أرادته متمهلاً ، ويدله اذا كان صعباً قال : (وقد يفقر الصَّعْبُ مِنَ الْإِبِلِ ثَلَاثَةَ أَفْقَرٍ فِي خُطْمِهِ إِذَا أُرِدَ صَاحِبُهُ أَنْ يَدْلَهُ . وَيَمْنَعُهُ مِنْ مَرْحِهِ جَعْلُ الْحَرِيرِ عَلَى فَقْرِهِ الَّذِي يَلِي مَشْفَرَهُ ، فَهَكَذَا كَيْفَ شَاءَ ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الصَّعْبِ وَالِدَلُولِ جَعْلُ الْحَرِيرِ عَلَى فَقْرِهِ الْأَوْسَطِ فَتَرِيدُ فِي مَشْيِهِ وَاتَّسَعَ ، إِذَا أُرَادَ أَنْ يَنْبَسِطَ وَيَذْهَبَ بِلا مُؤَنَّةٍ عَلَى صَاحِبِهِ جَعْلُ الْحَرِيرِ عَلَى فَقْرِهِ الْأَعْلَى فَذَلِكَ كَيْفَ شَاءَ) وقال : (اذا حُزِرَ أَنْفُ البَعِيرِ حَرًّا فَذَلِكَ الصَّعْرُ وَبَعِيرٌ مَقْفُورٌ) (٣) .

وبما مر بما تنصصح لنا صورة فقر أنف البعير وعلاقتها الحسية بالبيئة العربية ، وما توجه في نفس العربي من معاني الذلة والضعف فيكون معنى قوله تعالى : (وَجْهٌ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ، وَوَجْهٌ يُؤْمِنُ بِأَمْرِهِ تَطِينٌ أَنْ يُمْغَلَّ بِهَا هَاقِرَةٌ) (٤) ، ان المتبرهين يوقنون بالدهاية الهطيمة اني ستحل عليهم وتدلهم وتضعهم كما يدل البعير الصَّعْبُ بفقر أنفه . ويستند في هذا التفسير على دلالة الأنف في التعبير العموي على العزة ، والاباء ،

(١) النوادر : ٢ : ٤٥٤ .

(٢) المخصص ٧ . ١٥٨ ، وانظر أيضاً ١ : ٣٣ .

(٣) عن لسان العرب ٦ : ٣٧١ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف : الورقة

(٤١٠) جهرة اللغة ٢ : ٣٩٨ ، الصحاح : ٧٨٢ ، المعردات ٣٩١ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٢ - ٢٥ .

والعظمة . وقد قال الخاطب (الأنف هو انسحوة وموضع التجبر) (١) ومن هذا المعنى جاء قوله عز من قائل : (إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُ قَالَ أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، سَلْبِمَةً عَلَى الْخُرُطُومِ) (٢) أي سسم أنه سمع أهل النار (٣) . فمخصص الأنف بالذكر لأنه موصم التجبر ، والكبر . فالحرمون يوم القيامة تحمل سدهم داهية تدل بهوسهم وتخطم حبروتهم ، وقد وصفت هذه الداهية بأنها تنقر الأنف وتدله ، وينقلها هذا التعبير الى صورة العبر حين يفقر أنه وبذل ، كما ترسم لنا صورة الذلة المقترنة في ادهن العربي بالأنف الذي اذا دل أو فقر أصاب الدل صاحبه . وتتعاون هذه الصورة مع صورة فقار الظهر (٤) التي لها دلالتها الأخرى في ادهن العربي ، وهي القوة والصلابة ، فان كُسرت الفقار صار صاحبها ضعيفاً محتاحاً الى غيره ، ثم بها تجعلهم متفادين نحو الداعي ضعيفين لاسيطرة لهم على أنفسهم .

أما صورة رهبة الدل الناس يوم القيامة تتداعى فيها عدة ملامح من البيئة العربية نريد من رسم هول الموقف ، وتوصيح لنا بأس وحولهم مما يتوقعونه من العذاب والعقاب .

(١) الخبوان ٣ : ٣٠٥ ، وانظر الشعر في ديوان المزدني ضرار : ٦١ ، ديوان الحياصة : ٢٠ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٨ .

(٢) سورة الفلم ٦٨ : ١٤ - ١٦ .

(٣) انظر جامع البيان ٢٩ : ٢٨ ، التبيان ١٠ : ٧٨ .

(٤) ويبدو ان فقار الظهر هي الأصيل الحسي لمعاني الكدمة ، وذلك لأن شكل الحر الذي يحز به الأنف يشبه الى حد كبير فقرات الظهر ، فكأن فقر الأنف أطلق لتشابه الصورة بينه وبين فقار الظهر الأصلية .

ج ذلتهم :

امطاع رؤوسهم :

هذه عدة تعابير تُرسم لنا ذلة الكافرين عند حشرهم من القبور ، تلك الذلة التي تبدو على هيئة رؤوسهم ، وأبصارهم الدليلة . قال الله تعالى : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخيرهم ليوم تفتحس فيه الأبصارُ مهطعين مُقنعين رؤوسهم ، لا يرتد إليهم طرفهم ، وأهنتهم هواه) (١) . وقال أيضاً (فتولّ عنهم يوم يدعوا الداع إلى شيء نكر ، حسّاعاً أبصارهم يخرجون من الأحداث كما تهم جرادٌ منبثرة مهطعين إلى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسير) (٢) . قال ابن عباس مصراً امطاع الكافرين نحو الداعي بأنهم (مسرعين قاصدين ناظرين إلى الداعي) (٣) وقال أبو عبيدة : مهطعين مسرعين قال الشاعر :

بمَهْطِيعٍ سُرَّحٍ كَأَن زَمَامَهُ

في رأسٍ جِلْدٍ من أوالٍ مُشْدَبٍ (٤)

وقال :

(١) سورة اراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) سورة القمر ٥٤ - ٦٠ - ٨ .

(٣) تنوير المقياس : ١٦٣ : ٣٤٤ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٥١ .

(٤) لم ينسبه أبو عبيدة وأشدّه ابن بري لانيب بن جهلة مع اختلاف في

الرواية أنظر لسان العرب ١٣ : ٤٢ :

عسسته طبع - رسل كأن جديله بقيدوم رعن من صؤام تمسح (١)
وقل يربد بن مفرع الحميري (٢) .

سحله دارهم ولقد أراهم دحلة مهطمين إلى السماع (٣)
وقل الصري عن ابن عباس تفسيراً آخر وهو قوله (الاهطاع .
الطر من غير أن يطرف) (٤) ومن اللعين الذين ذهبوا هذا المذهب
الحليل بن أحمد (٥) . وآخرين ممن نقل عنهم ابن مطور (٦) .

ومما مر بنا نجد أن المفسرين ذهبوا في تفسير الاهطاع ثلاثة مذاهب
وهي وإن تقاربت بعضها من بعض إلا أن محاولة تتبع معانيها تعطى تفسيراً
حماً لكل المعاصر السابقة ، كما تدلنا على صورة أخرى من صور النيشة

(١) لرسل : الذي لا يكامل شيئاً ، قدوم : قدوم ، ورعن الحبل : أنه
وصؤام : حبل ، والبيت من شواهد المحدثين في أساس البلاغة : ١٠٦٢ ، ولسان
العرب ١٥ : ٣٦٦ ، جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ . مع اختلاف في الرواية ، وعدم
نسبة البيت .

(٢) هو يربد بن مفرع الحميري ، شاعر أموي هجاء وهو جد السيد الحميري
الشاعر المعروف ، نقه جده بالمفرع لأنه راهن أن يشرب عسا من لب فشربه حتى
مرغه . هجا عبيد الله بن زياد سنة ٥٩ هـ . فحمل على حمار وصيف به في الأسواق .
أنظر الشعر وأشعره : ١ : ٢٧٦ ، تاريخ الأمم والملوك ٦ : ١٧٨ ، الأعاني ١٦ : ٧٢
(٣) بحر القرآن ١ : ٣٤٢ ، أنظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان
٤٤٦ : ٩ .

(٤) جامع البيان ١٣ : ٢٣٧ ،

(٥) العين : ٣٨ .

(٦) لسان العرب ١٠ : ٢٥٨ .

العربية ، والعبير المهطع هو الذي في عنقه تصويب حنقة (١) ، ومن هذه الخلقة التي قد يوحد عليها العبير بطبعته جزء اطلاقهم الكلمة على العبير بصوب عنقه ، وينقاد لصاحبه في حانه كونه سالم الخلقة ، وليس فيه أي تصويب قد ان فارص (أذْطَعَ - العبيرُ صَوَّبَ عُنْقَهُ مُنْقَاداً) (٢) ، واهطع اذا مدَّ عُنْقَهُ وصَوَّبَ رَأْسَهُ (٣) .

وواضح ان هذا الاستعمال الجديد للكلمة تطور عن الصورة الحسية الأولى ، صورة العبير الذي يوحد في عنقه تصويب وميل خلقته ، فاذا انقاد العبير لصاحبه دلَّ ، وظهرت ذلك في استكانته ، وميل عنقه ، ومن هنا نفهم المعنى الآخر للكلمة ، وهو اطلاقهم المهطع على الدليل الذي يرفع رأسه في ذلك وخشوع كما يقول ثعلب (٤) ونقل ان منظور عنه أبعاً : (وَأَهْطَعَ : أَفْضَلَ مُسْرِعاً حَائِلاً ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفٍ ، وَقِيلَ مَخْضُوعٍ) (٥) . قال الشاعر :

تَعَنَّدَنِي تَمَرُّ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى

وَتَمَرُّ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطِيعٌ (٦)

(١) جمهرة اللغة ٣ . ١٠٧ ، الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ، المحكم ١ : ٦٢٠ ، أساس

البلاغة ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٢) مقاييس اللغة ٦ : ٥٦ .

(٣) الصحاح ٣ . ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٤) مجاز ثعلب ١ . ٢٠ .

(٥) عن لسان العرب ١٠ : ٢٥١ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ٣ : ١٧ .

(٦) الصحاح ٣ . ١٣٠٧ ، أساس البلاغة : ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠ :

٢٥١ ، والبيت غير منسوب .

وقد فسر الخليل البيت بأنه كان دليلاً في فصار فوق (١) .
 ومن هذا المعنى نفهم تفسيراً آخر للآية الكريمة : (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِيِ
 يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) (٢) . أي مفقدين له ديبين ، حائضين
 وقد أيقنوا عما سيلاقونه من العقاب وهو معنى وصحة أنه تعبير المفارقة (٣) .
 أما السرعة فإنها معنى آخر تطور عن المعنى الحسي نفسه ، وذلك أن
 العبر إذا تقاد إلى صاحبه دلّ ، واستكان ، كما مر بنا ، وهو حين يسرع
 ترتسم في الذهن صورة الاهطاع الأولى ، لأن الممرع لابد أن يدفع عنقه
 ويعدّه إلى الأمام لكي يوازن بين جسمه والقوة الدافعة إلى الأمام ، ومن
 هنا قبل أهطع العبر في سيره ، واستهطع إذا أسرع ، وناقة هتطعتي ،
 سريعة ، كما يقول الخليل (٤) .

ثم أطلق الاهطاع على السرعة مطلقة دون تقييدها بالعبر أو الإنسان (٥)
 وبهذا يمكننا أن نفهم تفسير من قال أن الاهطاع هو اسراع الناس نحو
 الداعي (٦) . أما تفسير من قال أن معنى الاهطاع هو الطر من غير أن
 يطرف (٧) ، فنجدّه واضحاً أيضاً في الصورة الحسية لاهطع العبر أو الإنسان
 حين يدفع بسرعة إلى الأمام ، وأن القوة الدافعة لا تتبع له مجالاً لأن يلتفت

(١) العين : ٣٨ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٨

(٣) أنظر ص ١١٥

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٥) الخليل عن تخصص ٣ : ١٠٧ . وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ،

مقاييس ٦ : ٥٦ ، حكيم ١ : ٦٢ . لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٦) انظر الفصل الثالث - ج - دلتهم

(٧) ن - م

يمياً أو شمالاً ، وإنما يبقى في سرعته منحهاً نظره الى الامام ، ومن هذه الحقيقة تطور المعنى الأخير للكلمة وهو قولهم ، المهبط المقبل بصره على الشيء لا يروعه عنه (١) . وإنما مر بنا منهم ان اختلاف المفسرين في توجيه الآية الكريمة ليس فيه نقص أو تناقض ، وإنما بطرت كل طائفة الى الآية الكريمة من وجهة واحدة فجاء تفسيرها صورة لتلك الوجهة ، فإذا بالآية الكريمة صورة متعددة الجوانب ، متحركة الملامح ، يلمح كل مفسر جساً منها فيرسمه لنا إلا أن الجمع بينها يعطى صورة كاملة لاهطاع الكافرين ودلتهم ، فإداس حين يعثرون يوم القيامة على صوت المير المنزع بنقادون مصرعين ملين الداعي ، وقد ذات قوسهم حين أبقنت بما ستلاقيه من انقباب والنداب . وتظهر دلتهم في اهطاع رؤوسهم التي تنقل لنا صورة المير يحيل برأسه ويصوبه حين يدل وينقاد لصاحبه ، أو صورته حين يفزع ويسرع في سببه مُصْتَوّاً عنقه الى الامام ، ثم انهم في دلتهم ، ودهولهم لا تنصرف أنصارهم وهو معنى أكدته قوله تعالى في آية سبقت وصف اهطاع رؤوس الكافرين : (إنما يؤخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشِخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (٢) .

اقتناعها :

أما اقتناع رؤوسهم فقد ورد في قوله جل من قائل : (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشِخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) مُتَطِيعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لِيَرْتَدَّ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ وَأُفْعِدَتْهُمْ لِقَاءَ (٣) :

(١) العن ٣٨ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣. ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١.

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ .

(٣) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .

وقد ذكر المفسرون ثلاث توجيهات للاقناع . الأول : انهم مكرو رؤوسهم ، والثاني انهم رفعو رؤوسهم ، والثالث مادن رؤوسهم . وقد ذكر ان عاس هذه التوجيهات الثلاثة في تفسيره (١) . أما التفسير الثاني فقد ذكره أبو عبيدة في مجازة حيث قال : (مقني رؤوسهم مجازة رافعي رؤوسهم قال الشماخ :

يُكْرِئُ الْعِصَا بِمُشَبَّعَاتٍ بِوَاحِدٍ هُنَّ كَالْحِدَادِ الْوَقِيعِ
أي رؤوس مرفوعات الى العصاه ينسولن منه (٢)) وم يكشف
قادة بتدبير أبي عبيدة ، اما وجد فيه صورة أكثر من رفع الرأس ، وهي الدهول والرعب الذي يجعلهم رافعي الرؤوس ، وقد شحنت أبصارهم
قال . (الْمُتَشَبِّعُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ شَاخِصًا بَصَرَهُ لَا يُنْظَرُ) (٣) .
وفي دلالات الكلمة المتعممة نجد معاني عديدة تكشف لنا صورة التعبير
القرآني من جهة ، والبيئة العربية من جهة أخرى . ومن هذه المعاني المادية
معنى ترتبط بالابل وذلك قوهم ان الاقناع رفع الابل رأسه ، ويكون ذلك
حلقة فيها (٤) . هذه الحلقة ان وجدت في بعض ما فاه ، لا تمنح له التحرك
برأسه بحد أو شمالا ، ويبدو أن هذا المعنى من أو ثل معاني الكلمة ، وقد يكون
أصلا لها .

ومن هذا الرفع الطبيعي أطلقوا كلمة المنع على الذي يرفع رأسه
شاخصاً بصره ، وذلك تشبها بالصورة المادية التي رأى العربي في بيئته

(١) توير المقاييس : ١٦٣ ، وانظر أيضاً الساعات في القرآن : ٣٢ .

(٢) بحر القرآن ١ : ٣٤٣ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان

٦ : ٣٠٣ ، والبيت في ديوان الشماخ : ٥٦ .

(٣) جامع البيان ١٣ : ٢٣٩ .

(٤) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

فعممها على من رفع رأسه وشخص بصره دوى الجوهري قولهم : (أقنع رأسه إذا رفعه ، ومنه قوله تعالى مهطعين مقعبي رؤوسهم وكذلك قول رؤبة (١) .

أشرفَ رَوَاقَهُ صَليفاً مُقْنِعاً (٢)

ومن هذا الاستعمال المادي فهم المفسرون الآية الكريمة : (مهطعين مقعبي رؤوسهم) (٣) بأن اليمين يوم القيامة حين يهولون على صبيحة الفجر يرفعون رؤوسهم لشدة دهولهم وعزعهم ويكون حال العبر الذي في حقيقة رأسه ارتفاع ، فلا يستطيعون خفض رؤوسهم ، وتبقى أنصافهم شاحصة طول الموقف .

أما تفسير الآية بأن الناس يكونون مادي أعناقهم ، فانه معنى متأخر من استعمال مادي آخر ، وذلك قولهم أقنع العبر رأسه الى الخوض « شرب وهو مده رأسه كما يقول الأصمعي (٤) . ومن هذا قيل فلدي يقبل على الشيء مقنع (٥) ، فكما ان الابل حين تقبل على الماء لتشرب منه تمد رأسها اليه لا بصرفها عنه شيء فكذلك الذي يقبل على الشيء يمد رأسه نحوه ، ولا

(١) هو رؤبة بن عبد الله بن رؤبة النخعي ، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة . توفي نحو ١٤٥ هـ . انظر المؤلف واختلاف : ١٧٥ ، لسان المبرين ٢ : ٤٦٤ ، خزائن الأدب ١ : ٤٣ .

(٢) الصحاح ٣ : ١٣٧٤ .

(٣) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٣ .

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ١٧٣ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٢٨٤ .

مقاييس اللغة ٥ : ٢ .

(٥) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

بصرفه الى مجاه اخر وهو الأصل الاول الذي وضعه ابن فارس للكلمة (١). هذا المعنى يقيدنا في فهم الآية الكريمة ، لان الكافرين يمدون رؤسهم ويقبلون نحو الداعي لا يرتد اليهم طرفهم .

ومن مجموع معاني الكلمة نجد ان كل التفسير السابقة قد استندت على استعمال مادي له دلالة على البيئة العربية . فادنا جمعنا هذه التفسير تداعت في الذهن مشاهد عديدة من البيئة العربية ، كل مشهد منها يعطينا جواً من صورة الكافرين الدابة يوم القيامة عند سماعهم صوت الفجر فيفرعون ويرفعون رؤسهم ، وتشخص أوصارهم مثلهم في ذلك مثل العير الذي في رأسه ارتفاع خلقة عملا يستطيع امالته ، او تحريكه ، ويقدمون نحو الداعي كما تقل الابل نحو الماء فلا بصرفها عنه شيء ، ثم تأتي الآية بعدها : (لا يرتد اليهم طرفهم ، واعتدلهم هواء) (٢) لنرى لدا ان رفع الرأس والاقبال نحو الداعي ليس السير الطبيعي ، انما هو إقبال بدفعه المزع والطلع الذي لا مفر منه ، لذا لا تطرف أبصارهم ، ولا يمدون رؤسهم ، ولا يرجعون عن سيرهم الدليل نحو اداعي .

حشوع اصرائهم ، وكما بدت دلة الكافرين في سيرهم ، فانها تجت في طريقة كلامهم قال الله تعالى واصمأ اصواتهم بالخشوع : (ويسأونك عن الحبال فقيل يندفها ربي نسأ ، فيدركها قاعا صمصما ، لا ترى فيها عرجاً ولا أمتاً يومئذ ينصرون الداعي لا عوج له ، وحشمت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا هساً) (٣) .

مسياق الآيات العام يوحي بالخشوع والرهبة ويصفي على مشاهد يوم القيامة صورة يتجسد فيها الخوف والمزع .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٣٢ (٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨

وقد قال المعسرون في شرح معنى الخشوع بأنه ذلة الأصوات وحصوعها قال ابن عباس : (وَخُشِعَتِ الْأَصْوَاتُ دُلَّتِ الْأَصْوَاتُ) (١) وقال الزمخشري (سَكَتُ الْخَلَائِقُ لِلرَّحْمَنِ وَصَفَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْخُشُوعِ وَالْمَعْنَى لِأَهْلِهَا) (٢) فالزمخشري يرى أن وصف الخشوع إنما هو وصف للناس لا لأصواتهم ، إلا أننا نجد هذا الاستعمال عند اللغويين مقترناً أبصاً بالأصوات والابصار روى الجوهري (الخشوع ، الخضوع يقال خَشَعَتْ وَاحْتَشَعَتْ ، وَخَشَعَتْ بَصَرُهُ أَي عَضَمَتْهُ) (٣) .

فدلة الأصوات التي فسرناها المعسرون فهم من قول اللغويين . لأن صورة من يفتقر بصره ، ولا يرفعه إنما تعكس لنا صورة الدليل الذي لا يجرؤ على رفع رأسه . ومجابهة غيره .

وقد ورد الخشوع مقترناً بالابصار في القرآن الكريم : (فتولّاهم يوم يذبح الداعي إلى شيء يُكْرَهُ حَشَعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) (٤) . وفسر الخشوع هنا بالدلة أيضاً . (٥) إذا عدنا إلى المعاني الحسبة التي دارت حولها الكرامة وجدنا فيها معنى حسباً تشترك فيه الابصار ، والأصوات ، والنفوس ، وذلك أنها أصبحت وصفاً للأرض فقد قالوا : الخاشع المطمئن من الأرض (٦) . وأكّة

(١) توير المقياس ١٩٨ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ . البيان

٢٠٩ : ٧ (٢) الكشف ٢ : ٣١٤

(٣) الصحاح ٣ : ١٢٠٤ ، وانظر أبصاً لسان العرب ٣ : ٤٢٣ ، المحصن

١٢١ : ١ ، أساس البلاغة ٢٣٢ ، لسان العرب ٣ : ٤٢٣

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٧

(٥) توير المقياس : ٣٣٤ الكشف ٣ : ١٨٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٢٢٣

حاشية* : مئرفة لاطنة بالأرض والخاصع من الأرض الذي تثيره الرياح لسهولته وتمحو آثاره (١) . فالأرض غير المخطورة تكون عديدة العائدة يسهل السير عليها كما يسهل محو آثارها ومن هه فهم معنى ابدلة والخصوع الذي تطورت اليه الكلمة ، وبهذا المعنى وردت في انفرآن الكريم (٢) . هذا المعنى المادي مجده واصحاً في المعوي ، لان الذليل حين ينص بصره يكاد يلقى بصره على الأرض ولا يرفعه ، اما الاصوات فابها وصفت بالخشوع تشبهاً لها بالأرض لمطعنة المخصصة الموصوفة بالخشوع . ومن هه فهم قوله تعالى (وحشعت الاصوات للرحمن ولا تسمع^٣ إلا همساً) (٣) . أي ان اصوات الناس دلت ، وسكنت ابدلة اصواتها ، وخوفهم مما ينتظرهم من العذاب . فلا يكاد يسمع لهم كلام واضح وهو معنى اكثده تعبير الهمس الذي ينبع وصف الاصوات بالخشوع .

وقد اختلف المفسرون في تعبير الهمس الذي يسمع عند سير الناس نحو الداعي ، فذهب بعضهم الى انه الوطء الخفيف كوطء الابل (٤) وروي عن ابن عباس انه مثل عما اذا كانت العرب تعرف هه المعنى فاجاب : نعم ، واستشهد بقول أبي ربيد
وأتوا ساكبين ويات بسري يعبر^٥ كالدجى هاد^٥ هموس^٥ (٥)

(١) الصحاح ١ : ٣٠٧ ، اساس البلاغة . ٢٣٢ ، لسان العرب ٩ : ٤٢٤

وقد وردت بهذا المعنى في سورة فصلت ٤١ : ٣٩

(٢) انظر المعجم المهرس : ٢٢٣

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٨

(٤) توير المقباس : ١٩٨

(٥) مسائل نافع بن الأرق الورقة ٥ (ب) ، والورقة ١٢ (أ)

وعن الفراء ان ابن عباس تمثل أيضاً بقول الشاعر : (وَهْنٌ يَمْشِي بِهَا هَمِيمًا) ، وهو صوت اخماف الامل (١)
 أما الفريق الثاني فقد فهم الهمس على انه الصوت الحفي ، قال
 أبو عبيدة : (وهو مثل الركر يقال : همس اليّ بحديث أي أفضاه) (٢)
 والركز هو الصوت الواطيء الحفي .

ويبدو ان المعنى الأول وهو الوطء الحفي هو الأصل لمعنى الصوت
 الحفي . فقد قالوا أسد هموس للحفي الصوت (٣) قال الخوارث بن حبرة :
 أسدٌ في النقاء وردٌ هموسٌ وربيعٌ إن شئتُ عبّراه (٤)
 هذا الوصف للأسد صادر عن كونه يسير حفية حتى لا تنبه اليه الفريسة
 قال أبو الهيثم : (سمي الأسد هموساً ، لأنه يهمس همساً أي يمشي مشياً
 بخفية ، فلا يسمع صوت وطئة) (٥) .

من هذا المعنى الحسي تطورت دلالة الكلمة الى معنى الصوت الحفي
 لأن من يهمس بكلام حفي ، كما يتوحس من أن يسمعه أحد ، كما يتوحس
 الأسد الهموس في وطنه الأرض حتى لا تسمع قريسته وقع أقدامه فتفلات
 منه ، ومن هنا سمى امرؤ القيس اللبنة التي يهيمس فيها السير ، ويحوى

(١) الفراء عن لسان العرب ٨ . ١٣٧ ، والبيت في جوهرة اللغة ٣ : ٥٤ ،
 النعملة ١ . ١٧ ، وامطر أيضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ ، التبيان ٧ : ٢٠٩ ، المفردات :
 ٥٦٨ ، الكشف ٢ : ٣١٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢ . ٢٠ ، جامع البيان ٦ : ٢١٤ ، المفردات : ٥٦٨ .
 (٣) جوهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، الصحاح ٢ : ٩٨٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ٦٦ ،
 المعجم ٢ : ١٣٨ .

(٤) شرح الفصائل ٤٩٦ ، وانظر ديوان جيران العود : ٥٢ .
 (٥) عن لسان العرب ٨ : ١٣٨ .

وطء الأقدام فيها لوطا وشدنها بلبلة الحمس .

أجدُ موثقةً ككاز عرسٌ وحادةٌ في لبلةِ الحمس (١)

لأن واطئها يخشى أن تُسمع وقع أقدامه . أما في الآية الكريمة فإننا نرى أن الممسين يشتركان في رسم إجماع الحمس ، فعنى وطء الأقدام بفهم بأن الناس يوم القيامة يكونون في رعب وخوف شديدين ، فيخشون السير لأنهم يعرفون عاقبة أمرهم ، ومع ذلك فهم مجبرون على اتباع الداعي ، ولكنهم يخفقون وطء أقدامهم ، حتى لا يسمع إلا صوت خفي لهم . إلا أن متاعنا سياق الآيات والجزء القرآني بصورة عامة بمعنا ترجع معنى الصوت الخفي ، لأنه أوضح من معنى الوطء الخفي ، ذلك لأن التعابير القرآنية الأخرى أكدته كما مرّ بها في تصوير خشوع الأصوات . وقد قال الله تعالى : (يَوْمَ يَسْفُخُ فِي الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ، يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَنَا لَهُمْ آلَاءُ أَفَ كَرُمُوا) (٢) ، وصورة الناس الخائفين الذين يتوجسون في كلامهم فلا يتبسّئون إلا هسا وتخافتا هذه الصورة واضحة في كل الآيات الكريمة التي تعرض إلى ذكر أصوات الناس وكلامهم ، كما أنها تنسجم مع تصوير الحيرة والصلال الذي سنأتي إلى ذكره في تعبير الرقة (٣) . ومع ذلك نستطيع أن نهم التفسير الأول إلى جانب هذا المعنى بأنهم لخوفهم يتوجسون خيفة في سيرهم ، وطريقة كلامهم .

ومن مجموع هذه التعابير ترسم في الدهن صور عديدة للأصوات النفسية التي يكون عليها الناس يوم القيامة .

(١) ديوان امرئ القيس : ٢٧٣ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) أنظر ص ١٥١ .

٣ - صفاتهم الجسدية (١)

أ - سواد وجوه المحرمين وبياض وجوه المؤمنين :
قال الله سبحانه وتعالى : (يوم تبصّر وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ ، فأما الذين اسودّت وجوههم : أكفرتُمْ بعدَ إيمانِكُمْ ؟ فذوقوا العذابُ بما كنتم تكفرون) وأما الذين ابيضّت وجوههم فهي رحمة الله لهم فيها خاليدون (٢) .

لقد أجمع المفسرون على ان البياض يكون علامة للمؤمنين يوم القيامة والسواد يكون سماءً للمجرمين (٣) . وهناك آية قرآنية أخرى تصف وجوه الكافرين بأنها لسودها كأنما أغشيت بقطع من الليل حادثة السواد (٤) وفي سورة عبس أضاف الله سبحانه وتعالى الى وجوه الكافرين المسودة غباراً وياساً وكآبةً : (فإذا جاءت الصاخة ، يوم يصفى المرءُ من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغسيه وجوهٌ يومئذٍ مُسفرةٌ ، صاخكةٌ مُستشيرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عليها عرةٌ

(١) هذا لا يعني ان بحثنا هنا مقتصر على الصفات الجسدية دون النفسية ، لأنها مسجدة ان كل تعبير يصف شكل الناس يصف من ناحية أخرى الصورة النفسية التي يحشرون عليها . ولكننا خصصناها هنا لهذا البحث دون الصفات النفسية ، لأنها تكاد تشكل صورة كاملة للملامح اشكل الناس عند الحشر .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) جامع البیان ٤ : ٣٩ - ٤٠ ، التبيان ٤ : ٥٥١ - ٥٥٢ .

(٤) قال الله تعالى في سورة يونس ٨ : ٢٧ (كأنما أغشيت وجوههم

قطعتاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

ترهقها قشرة" ، أولئك هم الكتمة الفجرة (١) . مسر بعضهم معنى الآية ان وجوه الكافرين والمناقين تعلوها كتابة ، وكسوف ، وذلة (٢) . وقال آخرون : أي تعلوها عار (٣) . وأصل القشرة في اللغة هو العار (٤) وقيل : القشرة عيرة" تعلوها سواد كالدخان (٥) . ومن الاستعمال المخزي للكلمة قولهم القشرة : ما بعشى الوجه من الكرب (٦) ، فيكون معنى الآية الكريمة ان وجوه الكافرين تكون مسودة تعلوها كتابة" وذلة" . فاذا أضيف الغبار الى سواد الوجه اجتمعت مع الدلة كتابة وحرر . قال الزمخشري في تفسير الآية : (ترهقها قشرة" ، سواد" كالدخان ، ولا ترى أوحش من اجتماع العبرة والسواد في الوجه كما ترى في وجوه الزوج اذا اعبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم العبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر) (٧) . فطرة الزمخشري الى الآية تمثل الوجهة الأدبية الخاصة اذ تبين لنا ان السواد مكروه يفيض في السوق العربي والغبار به دلالة على السلة والهم والحزن (٨) . فاجتماعهما معاً يرسم صورة بشعة للكافرين يوم

(١) سورة عبس : ٨٠ : ٣٣ - ٤٢

(٢) تنوير المقاييس : ٣٨٢ ، جامع البيان : ٣ : ٦٣ .

(٣) مجاز القرآن : ١ : ٢٧٧ ، و٢ : ٢٨٦ ، عرب القرآن : ١٩٠ ، التبيان

: ١٠ : ٢٧٨ .

(٤) جوهرة اللغة : ٢ : ١٢ ، الصحاح : ٢ : ٧٨٥ ، مقاييس اللغة : ٥ : ٥٥ ،

المخصص : ١٠ : ٦٧ ، لسان العرب : ٦ : ٣٧٩ .

(٥) لسان العرب : ٦ : ٣٧٩ .

(٦) أساس البلاغة : ٧٤٢ .

(٧) الكشف : ٣ : ٣١٤

(٨) انظر لسان العرب : ٦ : ٣٠٨ ، تاج العروس : ٣ : ٤٣٧

القيامة ، فإذا قاربنا هذه الصورة نوجوه المؤمنين المسفرة الضاحكة تَبَيَّنَ
لنا اللون انشامع الذي قَصِدَ اظهاره بين الحائنين ، بين السواد المفسر
والبياض المسفر .

ويجد لهذا التعبير اعظم الدلالة على الذوق العربي ، ذلك لان العرب
قد أحبوا البياض ووسموا به كل ما أحبته نفوسهم ، وبعضوا السواد
ووسموا به كل ما كرهته نفوسهم . فالمثل الأعلى للحمال عندهم هو
البياض ، ومن هنا تعلموا بالمرأة البيضاء الحميمة . قل امرؤ القيس :

مُهْمَمَةٌ بَيَضَاءُ عَيْرٍ مَعَاظِفُهُ
قَرَانِيهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجِيَّةِ جَلِ (١)

وقال عمرو بن كلثوم :

على آثارها بَيَضٌ حِسانٌ مُحَادِرٌ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهْوِنَا (٢)
والأمثلة كثيرة على تغزل الشعراء بالمرأة البيضاء (٣) ، ولكن البياض
الذي أحده ليس هو البياض الخالص ، إنما هو البياض الذي تخلطه صفرة
كقول امرئ القيس :

كذكرُ مَقَانَاةٍ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
تَغْلَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْخَلَلِ (٤)

وقد شبه المرأة بالدرة ، لأنها بيضاء تخلط بياصها صفرة . وذلك

(١) ديوان امرئ القيس : ١٥

(٢) شرح القصائد السبع : ٤٢١

(٣) شرح ديوان عنترة : ٧٣ ، ١٦١ ، ديوان النابغة الحمصي : ٤ : ٨١

ديوان علي بن زيد : ١٢٧

(٤) ديوان امرئ القيس : ١٦

أحسن لألوان عندهم كما يقول ابن العقي (١) . أما البياض الخالص فهو الذي وجدوه عند الهجناء (٢) .

ومن الطبيعي أن يميل ذوقهم إلى حب البياض . وإن لم يكن حالصاً . ذلك لأن طبيعة بشهم الشديدة الحر صيما لا تترك مسحتهم بيبضاء خالصة وإنما تميل بها إلى السمرة . ومن هنا جعلوا البياض المحاوط بشيء من الصفرة هو المثل الأعلى للجمال ، ومع ذلك اكتفوا بذكر البياض في أكثر أشعارهم الغزلية .

من هذه الناحية جاءت استعارتهم البياض للتعبير عن الحق ، والشرف والبرعة ، هذا أرادوا مدح الرجل قالوا . إنه أبيض ، نقل ابن منظور عن الأزهري قوله (إذا قالت العربُ : فلانٌ أبيضٌ ، وفلانة بيبضاء فالمعنى آقاء العرص من الدنن والعيوب) (٣) وقد ورد بكثرة في الشعر الجاهلي في المدح ، والثناء .

أما السواد فقد نعتوا به كل شيء بفصته نفوسهم ، فعبروا عن الخقد بأنه أسود ، ووصفوا الأكباد الخافضة بالسواد . قال الجاحظ : (يقولون سود لأكباد يريدون العداوة) (٤) . وقال الأعشى محاطاً بماقته :
هنا أُنْحِشَّتْ في إنبانٍ قَوْمٌ هُمُ الأَعْدَاءُ والأَكْبَادُ سُودٌ (٥)
فوصف أكبادهم بالسواد ليدل على شدة عداوتهم ، وبغضائهم وقال

(١) مختصر البلدان : ٢٩

(٢) الكامل للمبرد ٢ : ٤٦٧

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٣٩٣ ، وانظر أيضاً نزهة العمر . ٣ ، ٤

المختصص ٢ : ١١٤

(٤) الحيوان ٣ : ٢٤٧

(٥) ديوان الأعشى : ٣٢٣

اعرابي قديم واصماً الصقن بالسواد ايضاً :

يُرْمَدُونَ حَدِيثَ الضَّيْعِ بَيْنَهُمْ

والضغن أسود أو في وجهه كلف (١)

وكذلك وصفوا المصائب بالسواد ، لأنها تذل القوم اذا حلت بهم
وتحزنهم ، فعبروا عن الحزن والذل بالسواد . كما عبروا عن الشرف

والرعة بالبياض . قال الشاعر الحسن بن علي القتال الساهلي (٢) :

تَقُولُ ابْنَةُ الْبَكْرِى لَمَّا تَدَا لَهَا لَدَى الْيَسْتَرِ مِهَا لِمَةً وَتَنَانُ

أَرَاكَ تَطَلَّلتَ الْيَوْمَ اسْوَدَ شَاخِباً

طريدَ دَمٍ بُرْمَى بِكَ الرَّجْوَانُ (٣)

وقال آخر :

رَمَى الْحَدَثَانِ سَوْدَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ تَمَيِّدٍ لَهُ سُودَا

فَرَدَّ شُعُورُهُنَّ السَّوْدَ بَيْضاً وَرَدَّ وُجُوهُهُنَّ الْبَيْضَ سَوْدَا (٤)

وصفوا وجوه القوم عند الفرو بالسواد ، لأنها تكون كالحة لشدة

الضرب وحي الوطيس . قال ابو زبيد الطائي :

بَدَّلَ الْعَرُوفُ أَوْجَهَ الْقَوْمِ سُودَا وَلَقَدْ أَرْدَأُوا وَلَسَنَ بَسُودِ (٥)

(١) العمدة ١ : ٢٥٨ ، ديوان الحماسة : ٢٥٧ ، الاشباه والبطائر : ١١٩

(٢) هو الحسن بن علي القتال الساهلي ، أحد بني جندب شاعر فارس ،

ويروي انه أحدث حديثاً ، فهرب وصعد جبل يذبل فاقام به ، ولفه السم . انظر

المؤتلف والمختلف : ٢٥٢ .

(٣) ن . م : ٢٥٣ .

(٤) الصاعقة : ٣١٢ ، العمدة ٢ : ٦ ، والشعر منسوب الى الكهيت بن زيد

في ذيل الأمالي : ١١٥ .

(٥) أمالي البريدي ١٢ ، وانظر أيضاً معاني الشعر : ٢٣ .

والاستعمال الأخير للسواد بعكس لما صوره آخر على الآية الكريمة
 (يوم تبيض وجوهٌ ، وتسود وجوهٌ ، وأما الذين اسودَّت وجوهُهُمْ
 أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ آيَاتِكُمْ ؟ فذوقوا العذاب بما كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ، وأما الذين
 ابْيَضَّتْ وجوهُهُمْ ففي رحمةِ الله هُمْ فيها خالدون) (١) ، ذلك لأن
 وجوه المؤمنين تبيض لما يندو عليها من الراحة والطمأنينة ، وتسود وجوه
 الجحيميين لحول الموقف والمصيبة العظيمة التي تحمل بهم .
 وهذا التعبير القرآني المعجز يعكس لنا الذوق العربي في البياض وكرهه
 للسواد .

ومن هنا جلد الشعراء السودان الذين عاشوا بين طهراني العرب اشعاراً
 تُعد غاية في الروعة في تصوير الذوق العربي ، ونظمته الى الألوان . قل
 عنزة بن شداد :

يَمِينُونَ لَوْنِي بِالْأَسْوَدِ وَإِنَّمَا هُمُ اسْوَدُّوا مِنْ حِلْدِي (٢)
 فهو هنا يعكس لنا الذوق العربي الذي يعتبر السواد عبثاً . وهو نفسه
 مقتنع بهذا الذوق متأثر به ، لأنه حين يرد على قولهم لا يدافع عن لونه ،
 إنما يقول ان افغاهم شبيثة كالون السواد . واعتبر السواد عبثاً بسم به افغاهم .
 أما حين يدافع عن لون بشرته وانه يحاول ان يجد له تبريراً بأن يقول
 ان لون المسك أسود :

لَيْسَ أَكْ أَسْوَدًا وَالْمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لِسَوَادٍ جَلِيدِي مِنْ دَوَعٍ (٣)
 أو ان لونه لون الليل الذي لولاه ما عرف الفجر :

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) شرح ديوان عنزة : ٦٢ .

(٣) ن . م : ٧

يعيون نوبي «السواد حنه»

ولولا سواد الدل ما طلع الفجر (١)

أو يقول أن لون بشرته موجود في اللون السود التي أحبها العرب :
وما وجت الأعادي في عينا معاوي بنون في العيون (٢)

وهو في كل هذا الدفاع يتجادل فقط الصنف في تبرره ، وإن طيب
اسك لم يأت من لونه ، وإنما من عطره ، وكذا الحال مع العيون السود
التي ما أحبها العرب إلا لاجتماع السواد والياض فيها معا .

أما سحيم عند بني الحسحاس المشهور ، فإنه يتألم غاية الألم فصاحته
لا تعبده أدنى الثمات لأن ملابسه رثة . ولأنه عبد أسود

رأت فتناً رثاً وسحقاً عمامة وأسوداً مما يملك الناس عارياً (٣)
وزاه يتألم من لونه الأسود ، وأنه لا ذنب له إذ كانت أمه عذرة ،
فولادته على هذا اللون البغيض :

هو كنت ورثاً لونه عشتيتي ولكن ربي شاتي سوادياً (٤)
وبلاحظ في انشطار انني رسوخ فكرة اعتبار السواد عبأ حتى في ذهن
سحيم العبد الأسود ولكنه مع ذلك يحاول أن يجد لسواده تبريراً كما فعل
عنترة من قبل (٥) .

ولما ان تسامع عن سر حب الدوق العربي للياض ، وتشؤمه وكراهه

(١) شرح ديوان عنترة : ٨٩ .

(٢) ن . م : ١٨٢ .

(٣) ديوان سحيم : ٨٤ .

(٤) ن . م : ٢٤ .

(٥) ن . م - ٥٤ ، وانظر أيضاً الفضل : ٣٣ ، أمالي النقي ٢ : ١٨٨ ،

ذيل الأمالي : ١٢٧ ، المخصص ٢ : ١٠٤ .

للسود ، فإذا تطبعت إلى البيئة العربية وحدها فيها صائدا ، ذلك لأنه صحراء
مهرمية الأطراف ، مبنية بالمفاجئات حصية في الليل . سواء من قبل العرات
المفاجئة ، أو من قبل حيوانات مختلفة . ثلاث الصحراء الواسعة ، فأحبوا
النور لأنه يبر لهم حدس ليايهم المظلمة . وكانت أدائي التي بطل فيها
الدر من أحسن ليايهم يستعيون بها على عدوهم ، ويعرفون طريقهم وأمان
من الحيوانات والحشرات . ومن هنا شهوا المرأة والممدوح بالشمس
تارة (١) والبلد تارة أخرى (٢) .

وبالاصقة إلى هذه الأسباب اني كثرته لهم «السود» فقد وجدت في
بعضهم حيوانات شرسة مؤلمة طالما آدت الدوي يعرفها ، ورسم معالمها ،
وكان بعضها أسود اللون فاقترن البعض للسود بهذه الدلالة . ووصفوا الموت
بالأسود والآخر ، لأنه مأخوذ من لون الأسد . كما قال أبو عبيدة (٣)
وعرفوا من أحيات الأسود (٤) . ووجدوا فيه أدى وشرأ وضحا . فإذا
أرادوا تشبيه عدوهم مشهور عند العرب ، وقد تشبهوا به ، وكرهوه . ذكر
أما العراب فأمره مشهور عند العرب ، وقد تشبهوا به ، وكرهوه . ذكر
الحافظ تعديلا لهذا التشاؤم بقوله : (والعراب لسواده ان كان أسود ،
ولاحتملاف اوجه ان كان أفتح ، ولأنه عرب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد

(١) حمزة أشعار العرب : ٧٨ ، شرح المفصائل السبع : ١٤٦ .

(٢) ديوان جبران العود : ٢٦ . ديوان الشهاج : ٧٣ ، شرح ديوان عنصرة

١٦٨ ، ٥ ، شرح المفصائل السبع : ٤٣٩ ، الأشاء والنظائر : ١١٠ . ١٥٦ .

(٣) المحمص ٦ : ١٢٣

(٤) الصحاح ١ : ٤٨٨ ، مقاييس اللغة ٣ : ١١٤ .

(٥) الحيوان ٢ : ٧٨ ، ٣٦٧ .

في موضع حياتهم يتقمم إلا بعد ما ينتهم لما كُهم ومرايلتهم لدورهم (١) كل هذه الأمور احتمعت لترسم في الذهن العربي صورتين : البياض ومعه الجمال والسكينة ولشرفه وصورة أسود ومعه الدل والأذى والتشاؤم وقد انعكس هذا الذوق في أساطيرهم وقصصهم . فقال ان نوحاً غضب على ابنه حام ، فدعا عليه : تشويه فكان سواده (٢) . ولم يرد هذه الفكرة في القرآن الكريم إلا بذكر السواد والبياض ورد فيه تصويراً للذوق العربي . أما في التوراة فقد ذكر ان نوحاً دعا على ابنه حام كعنان ان يكون عبد العبيد لآلونه (٣) ، وبهذا يستطيع ان تصور مدى رسوخ كراهية اللون الأسود في الذهن العربي ، حتى تصوروه من علائم التشويه والعقاب ! ولم يفهموا ان السواد من أثر البيئة إلا بعد بعض القدماء (٤)

من هذه الأبواب الواسعة جاء التعبير القرآني المعجز معبراً عن الذوق العربي الراص .

(يومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ : أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ؟ عَدُوُّوا الْعِدَابَ) عما كنتم تكفرون . وأما الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَهِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٥)

(١) الحيوان ٣ : ٤٣٨ ، ٣١٤ ، المصنعي الكبير ١ : ٢٦٢ ، ديوان الباقية

الديواني ٣٨ ، ديوان علقمة المحل : ٦٧ ، ديوان الشجاع : ٦٣ .

(٢) المعارف : ٢٦ ، أخبار الزمان : ٦٣ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٣) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الأصحاح ٩ . ١٥ .

(٤) الحيوان ٤ : ٧٠ ، فخر السودا : رسائل الجاحظ ١ : ٢١٩ ، الأعلام

النفيسة : ١٠١ ، ١٠٢ ، مختصر البلدان : ١٥٢ ، مقدمة ابن خلدون : ٤١ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧

ولا يمكن ان يفهم مما مر يتسا ان التعبير القرآني حين جعل البياض سمة للمنزلة العالية ، والمرحة التي يشعر بها المؤمنون ، اقول لا يمكن ان يفهم منه نظرة تعصية ، او فكرة عنصرية في المناضلة بين السواد واليباص ذلك لأن رأي الاسلام في هذا الموضوع واضح معروف يُنحصه الآية الكريمة (إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتَفَاكُمُ) (١) : وانه لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى (٢) . كما يقول الرسول الكريم : اد لا عنصرية في الاسلام ، لا ان التعبير القرآني هنا عكس لما الدوق العربي اندي فضل اللون لأبيض ، واضماده على كل ما تحبه عسه ، وترنصيه ، وكره السواد في الوحوه وتشاءم منه فوصف به كل ما كرهه ، وآذاه ، فجاء التعبير القرآني في وصف حال الناس يوم القيامة فتداعى في الدهن كل الصور التي يوحىها تعبير السواد من دلالة الشاعة ، والنقص ، اما انيباص فتداعى معه كل معاني اشرف ، والرفعة التي يكون عليها المؤمنون يوم القيامة . والمقاربة بين الصورتين يتجلى الفرق الشاسع بين منزلة الكافرين والمؤمنين يوم القيامة وكيف ان فريق المشركين يحشر بأشع صورة وأدأها وبعكسهم فريق المؤمنين يحشرون بأحل صورة ، وقد ملأت الطمأنينة نفوسهم واعطاهم الله المكافاة الحسنة .

ب - جسر المحرمين زرقا :

قال الله تعالى : (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وَبِئْسَ لِمِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَنْجَادُونَ بِهِمْ أَنْ يَنْبَشُّهُمْ)

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣

(٢) البيان والنبين ٢ : ٣٣

إلا عشرًا (١) .

وتفسير الزرقة في الآيات الكريمة السابقة فُسر على عدة أوجه .
 فسره ثعلب على معنى العطش (٢) . أما الطبري فقد نقل توجيهها لتفسير
 تعبیر الزرقة بالعطش ، بأن شدة العطش الذي يصيب المحرمين يوم القيامة
 يجعل عيونهم زرقة ، قال . (قيل عي بالزرقة في هذا الموضوع ما يظهر
 في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين من
 الرق) (٣) . وإلى هذا ذهب ابن سيدة في توجيه تفسير ثعلب بقوله :
 (وعندي إن هذا ليس على القصد الأول ، إنما معناه ازرققت
 أعينهم من شدة العطش) (٤) . ومع أن هناك إية قرآنية كريمة نصف
 سوق المحرمين عطاشاً يوم القيامة (٥) ، فإن سياق الآيات العام الذي
 وردت فيه زرقة لا يجد فيه إشارة إلى ذكر الماء ، أو العذيب بالعطش
 والذي يمدح في هذا التفسير هو التأثير القوي للبيئة العربية على ذهن
 العربي حتى صار يصور العطش المعاني التي قد تبدو بعيدة عنه لشدة
 ما عايناه من حرمانهم الماء في بيئته الصحراوية (٦) .
 وذكر الخليل تفسيراً آخر لمعنى الزرقة وهو النعس قال : (يريد

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٠ - ١٠٣

(٢) عباس ثعلب ٢ : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً ١ : ٣٢٤ ، لسان العرب ١٢ : ٤

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١٠ ، التبيان ٧ : ٢٠٦

(٤) عن لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر أيضاً تاج العروس ٦ : ٣٦٨

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨٦

(٦) انظر الفصل الخامس - ٥ - شراب أهل النار ، والفصل السادس الحنة

- ب - بهارها وشرابها .

عينا لا بصرون وعيونهم في المنطق زرق لانور لها (١) . وكذا قال الطبري وغيره من المفسرين (٢) . اما ابن منظور فقد نقل تعليلا للتسمية المعنى بالرقة بقوله : (وانما قيل زرقاً لان السواد يورق اذا ذهب بوطرهم) (٣) .

ورمما جاء تفسير الزرقة بالمعنى من الظاهرة التي قد تعرض للعين حين تعرض بما يسمى بالماء ، والذي هو في حقيقته كما يقول حين بن اسحق : (رطوبة غليظة مجمدة في ثقب الخلدقة فتحجر بين الخليدية وبين الاتصال بالدور الخارج) (٤) والوان هذا اللون مختلفة فمنها الأخضر والأسود ، والألق ، والأرق (٥) . ومن هنا عدَّ الزُّرْقُ ضمن آهـن السمات فقال ابن فتيبة معدياً من عوف بها : من الرص والهرح والنصم والجذع والجذمي والحول والزرق والعرور (٦) . وسدو انهم لا يقصدون العيون الزرقاء بهذه العادة اما المراد به مرض الرق الذي هو صرب من المعنى ، والذي اذ عرض للعين اخفى سوادها وغلب البياض عنها (٧) .

(١) العين : الورقة (٣٧)

(٢) جامع البيان ٢٦ . ٢١٠ ، واظر ايضاً تفسير فرائد الكوفي : ١٧٢
(٣) الظاهر ان هذا القول هو للزجاج فقد نقله ابن منظور عقب كلام الزجاج في تفسير الرق بالمعنى . انظر لسان العرب ١٢ : ٤ ، واظر ايضاً جمهرة اللغة ٢ : ٣٢٤ ، المفردات ٢١١ ، الكشف ٢ : ٣٢٤

(٤) اعرش مقالات : ١٤١

(٥) م . ن . م . واظر ايضاً الخاوي في الطب ٢ . ٤١
(٦) انظر المعارف ٤ ، ٥ ، ٥٨٥ . مما بعدها وانظر الاعلاق الفهية ٢٢٣
(٧) وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى (وايصت عينا من الحزن فهو كظيم) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

وواضح ان بين ليلاض والزرقعة تقارب في اللون .

وإذا تتبعنا الحو القرآني بصورة عامة ، وجدناه يسند تفسير الزرقعة بالعمى ، فقد قال الله تعالى في صدد الحديث عن الانبياء ان الأمة التي تصل طريقها ، ولا تهتدي ، فانها قد عمت او تعامت عن حقيقة النبوة حتى اذا انتهى سرد القصص والمواقظ جاء اوعيد بحشر الصالحين عميا يوم القيامة ، كما صلوا عن الهداية في الحياة الدنيا : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واصل سديلا) (١) . وقال ايضاً (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضيكة . ونحشوره يوم القيامة أعمى قال : ربني لم تحشرني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فلست بها ، وكذلك اليوم نعمي) (٢) . ويددوا له سبحانه وتعالى لا يريد بهده الآيات الكريمة العمى الحقيقي ، واذا هو اصهر حالة الدل التي يحشرون عليها ، وانهم عمي عن نعم الله ونوايه كما كانوا عميا عن الحقيقة واهسي في الحياة الدنيا (٣) اما سابق الآيات لعناء فانه يساعدا على تصور معنى العمى : (يوم يُصْحَرُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْخَائِضِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا

(١) سورة الاسراء ١٧ : ٧٢

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦

(٣) انظر تفسير العمى في توير المقياس : ١٨٠ ، رسالة في المعاد ، مسائل الحافظ ١ : ٩٩ ، جامع البيان ١٥ : ١٢٨ ، تفسير المنبري ٣٨ ، تنزيه القرآن ٢٠٦ ، حقائق التأويل ٢٩٠٥ ، متشاهات القرآن ٢ . ١٠٥ وفي المسائل المشورة ان الله سبحانه وتعالى يبعث الناس على صورهم فمن كان في دنيه أعمى يبعث كذلك ، وكذلك الأبكم والأحرس مكل يبعث ويحشر على ما كان . انظر مسائل مشورة : الزرقعة (١٥) والأرجح تفسير العمى بالمعنى المجازي لا الحقة في كما هو مثبت اعلاه .

يتحدثون بينهم ان ليسثم الا عشرة ، نحن اعم بما يقولون إذ يقول
 امثلهم طريقة ان لثتم الا يوماً ، وبأثورك عن الحماة قتل ينسبها
 ربي نسباً ، عذرهما قعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ،
 يومئذ ينفعون الداعي لا عوجاً وحشفت الاصوات للرحمن فلا تسمع
 الا همساً (١) . فالمجرمون في رعب شديد وذهول عظيم أودى
 بقرولهم وابصارهم ، وقد تنعوا الداعي مسرعين يريدون ان ينسألوا
 ولكن هول الموقف يحول دون ذلك ، فيحشون السؤال ، ويكتمون بالهمس
 والتخافت على عادة العمى حين يتحرجون من الكلام بصوت مرتفع ،
 ولعظة التخافت تريد من رسم الصورة لآها تشير الى ان صاحبها يتوجس
 خيفة من الكشف سره (٢) .

وإذا عدنا الى البيئة العربية نتلمس فيها الدوق العربي ونظرة تجده
 اللون الأزرق فاسا مسجد في الآية الكريمة تصويراً رائعاً لمسجد الدوق
 وما توحيه الزرقه من معاني عديدة تساعد كلها على تيشيع الصورة التي
 يحشر عليها المجرمون . واول من وصلنا اشارته الى هذه الوجهة في
 التفسير هو الزمخشري بقوله . (وقيل في الزرق قولان : احدهما ان الزرقه
 أبهى شيء من اللون العيون الى العرب ، لان الروح اعداؤهم ، وهم ررق
 العيون . ولدنت قاتوا في صفة العدو : اسود الكبد ، اصهب السبال
 ارق العين . والثاني ان المراد العمى) (٣) ،

فتفسير الزمخشري هنا مستمد من اساحية انمية التي ينظر فيها أول
 ما ينظر الى الدوق العربي والأفكار التي آمن بها .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٨

(٢) انظر معنى التخافت في سورة الفلم ٦٨ ٢٣

(٣) الكشف ٢ : ٣١٣

نقد بعض العرب الزرقه وتشاءموا منها ، وهجوا من كادت صيته عليها قال الجاحظ : (وفي الحملة لا يتمون بالكر الذكر ، فان كان الكر ابن بكر تشاءموا به ، فان كان البكر ابن بكري فهو في الشؤم مثل قيس بن زهير واليسوس فان قيساً كان أزرق وبكر ابن بكر . ولا احمط شأن اليسوس حفظاً اجرم عليه) (١) . وفي رواية نقدها الجاحظ ايضاً ان معاوية عبّر صحار العدي (٢) . بالزرقه فقال له : يا أحمر ! قال . وانذهب أحمر ، قال يا أزرق ! قال : ولنازي أزرق (٣) . فصحار هنا لم يدفع عن نفسه عيب الزرقه ، ودعا قريبها بابازي : وهو طائر من الجوارح ، ليعبد عن نفسه ما تدل عليه الزرقه من معاني الشؤم والحسد واللؤم .

ورمى جاء بعضهم للزرقه ان اندوق العربي لم يمتد إلا للعيون الخور كما وردت في الشعر ، وتعلوا العيون السود وشبهوها بعيون الماء (٤) . ومن هنا لم يستسيحوا العيون الزرق لانهما قليلة في البيئة العربية ، دخيلة على الدوق العربي .

وهناك سبب آخر قد يعال اما اندوق العربي نحاه الزرقه ، وهو انها

(١) الحيوان ٣ : ١٧٤

(٢) هو صحار بن عباد بن عباس بن شراحيل بن مفد العدي حطيب موه كان من شعبة عمان وقد طالب بدمه بعد مقتله ، وشهد صعين مع معاوية وسكن البصرة ومات فيها نحو سنة ٤٠ هـ . انظر المحبر : ٢٩٤ ، الاصابة ٢ : ١٧٠ فما بعدها .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٣٠ وانظر ايضاً الاصابة ٢ : ١٧٠

(٤) ديوان حران العود : ١١ ، ديوان علفمة الفحل : ٤٢

قد اقترنت بالأعاجم وخاصة الروم كما ذهب الزمخشري من قبل (١) ، فكرهت لأنها تذكرهم بلون اعدائهم وقد وردت الزرقة في الحديث لنبوي دالة على البغض ، وعدم الارتياح فهي وصفه (ص) للمسكر والكبير انها أسودان أزرقان (٢) . ولم ترد صفة المسكين في صحيح البخاري الا ان انقسطلاني في شرحه الحديث النبوي بيّن الحكمة من اجتماع الزرقة والسواد في المسكين ، وانها لتبشيع صورتها قال : (واعا صوراً كذلك ليخاف الكافر ، وينحير في الخواب ، وأما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت فلا يخاف) (٣) . وفي حديث الأسراء ان الرسول (ص) كان يرى أشخاصاً مخلفين ليسأل جبريل ويخبره عن أسمائهم ، وأحوالهم ، وذكر أنه رأى رجلاً أحمر أرق حمراً شعثاً يسأل عنه فقيل انه عاقر الناقة (٤) . وفي حديث آخر انه (ص) وصف عيني رجل أرق بأنها عينا شيطان وانه لا لأصحابه : (يحببكم رجل يطار انكم بعيني شيطان ، فاذا رأيتموه فلا تكلموه ، فجاء رجل ، فما رآه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه . . .) (٥) .

فهي هذه الأحاديث السوية الشريفة تدلنا بصورة الزرقة في ذهن العربي ، ومدى بعصه وبفوره منها ، فهي لون عيون المسكر والكبير ، وعافر الناقة ، وأحبراً المفاقر الذي وصف الرسول (ص) عينيه بعيني شيطان . أما اطلاق الزرقة على الأعاجم فقد وردت في شعر الأعشى مادحاً النعمان بن المنذر حيث قارن جوده بجود جدول يسقي النبط منه ديارهم

(١) الكشف ٢ : ٣١٣ .

(٢) الجامع الصحيح ٣ : ٢٨٣ .

(٣) ارشاد الساري ٢ : ٣٧٩ .

(٤) مسند الامام أحمد ١ : ٢٥٧ ، وانظر أيضاً حمزة أشعار العرب : ١٤ .

(٥) مسند الامام أحمد ١ : ٥٧ ، وانظر أيضاً تاج العروس ٦ : ٣٦٨ .

وقد وصف النبط بالزرق .

ويُروى السبيطُ الزُّرقُ من حَجَرَاتِهِ

دياراً تُروى بالآتي المَعْمَدِ (١)

وقال في قصيدة أخرى يصف ريارته لحاة ويذكر ما فيها :

تَحَلَّلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ أُرْبِقُ آمِينَ كَسَادِهَا (٢)

والخيار هنا أعجمي ، والأعشى لم يصرح بذلك ، وإنما كتمى بوصفه

أزيرقاً على عادة العرب في إطلاق الرقة على الأعاجم . وفي الشهر الذي

قبل في رثاء عمر بن الخطاب ، والذي ينسب إلى الشماخ ، ورد وصف قاتل

عمر - وهو أعجمي - ، بأنه أزرَق قال :

وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته

بكفتي صبتني أررق لعينٍ مُطْرِفِ (٣)

ولا يراد بهذا القول كون عمر أرق لون العين حقيقة ، إنما

يراد به الدلالة على كونه أعجمياً . وقال ذو الرمة هاجياً قوما بأنهم زرق

العيون لا يؤمن جارهم لأنهم يسرقونه :

زُرْقَى الْعَيُونِ إِذَا جَارُونَهُمْ سَرَقُوا

ما يسرقُ العبدُ أَوْ زَا بَأَنَّهُمْ كَذَبُوا (٤)

وبعد هذه المكره مصها في العزل أيضاً روى ابن قتيبة .

(١) ديوان الأعشى ١٩٣ ، والآتي - جدول توثيقه إلى أرضك ، والمعمد

من معد السيل إذا سد وجهه بتراب .

(٢) ن . م : ٦٩ ، تحللها : تحفرها ، بكار القطف ، من أول مائة صنف .

(٣) الأغاني ٨ : ٩٨ ، وتروى لأخيه المزد ، انظر الحماسة البصرية الورقة

١٠٧ (أ) .

(٤) ديوان شعر ذي الرمة : ٣٦ .

يقولون نصرانية أم خالد
 قلت دعوها كل نفس ودبها
 فان لك نصرانية أم خالد
 فقد صورت في صورة لاتشبهها
 أحبك إن قالوا بعينك زرقه

كذلك عتاق الطير زرقاً عبونها (١)

والشاعر هنا يبرر حبه ام خالد مع كونها زرقاء العين بأن يوجه
 الاشارة الى زرقه عتاق الطير ، وهو تبرر يذكرها بتبرير عنبرة لسواده .
 فاناس هنا يعبرون على الشاعر حبه امرأة زرقاء العين وهو يحاول ان يبرر
 حبه ويدافع عن زرقه عينها .

ولما لم يستعج العرب زرقه العيون ، وقربوها بعبون أعدائهم ، فقد أطلقوا
 الزرقه على معان عديدة تمثل كلها الشر والبص كالحسد ، واللؤم ، والطمع
 وقد عبروا عن اللؤم بالزرقه وقالوا عن اللثم انه أررق العين ، قال سويد

(١) عبون الأخسار ٤ : ٥٨ ، والآيات لم ينسبها ابن قتيبة ، إلا ان هناك

أبياتا للفردق من ندى البحر والقافية ورد فيها ذكر ام خالد وهي ام خالد
 القسري الذي هجاه الفردق ، منها قوله :

رجعوا ما هداه لا هدى الله حالداً ها أمه الأم بهدى جيبها

انظر ديوان الفردق : ٣٣٤ ، الأغاني ١٩ : ٦١ ، إلا ان الآيات التي رواها

ابن قتيبة لا توجد ضمن أشعاره ، فان كانت له ولم تصلني أشعاره فيمكن أن تؤول
 بالمعجاء في معرض الغزل وان كانت من أشعار المخنثين فانها تكون أدل على
 السوق العربي ، ذلك لأن الأدواق قد تبدلت في العصر العباسي لاحتسلاط
 العرب بالأعاجم ، ومع ذلك فان هناك من يعيب عليه حبه امرأة زرقاء العين وفي
 كلا الحالتين انعكس لنا الآيات صورة واضحة للثق العربي تجاه الزرقه .

ابن أبي كاهل

لقد رَزَقْتُ عِيَاكَ يَا ابْنَ مُكْتَعِبٍ

كَمَا كَلَّ ضَيْبِي مِنَ الْكُلْمِ أَرْزَقُ (١)

واليت الذي ياله يبين ان ذكر الرقعة هنا جاء في معرض الدم ،

والهجاء قال :

رَى الْكُلْمَ وَيَهْمُ لَانْحَا فِي وَحْهِهِمْ

كَمَا لَاحَ فِي وَجْهِهِ الْحَلَاثِبِ أَيْتَقُ (٢)

وعن المرردق انه اعتبر هذين البيتين مما حفظ من قدر ضربة وأخزاها (٣) .

وفي شعر الأعشى ذكرت زرقة العيون حين يكون الناس في جوع ، وحصاصة

وذلك انه قال مادحا :

كَذَلِكَ فَاَفْعَلُ مَا حَيْثُ إِذَا شَتَّوْا

وَاقْدِمُ إِذَا مَا أَعْيُنُ الدَّائِسِ تَرَزَّرَقُ (٤)

فالذي فسر قوله تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (٥) ،

بأن المجرمين تَرَزَّرَقُ أعينهم من شدة العطش قريب من قول الأعشى حين

ذكر زرقة العين وقت الجوع ، لأن الانسان حين يضعف وتهزل قوته يبدو

صففه على وجهه وعينه اذ يحتمي سوادها ويغلب عليها البياض .

والعيون الررق حسودة لا يؤمن شرها قال بشار بن برد متغزلا لصاحبه :

(١) مجالس لعلب ٣٦٧.٢ ، عيون الأخبار ٢ : ٢١٤ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٢٤

الصحاح ٤ : ١٤٨٩ ، المخصص ٥ : ٣٣٢ .

(٢) الأغاني ١٩ : ٤٩ .

(٣) ن . م .

(٤) تاج العروس ٦ : ٣٦٧ ، وفي رواية الديوان ترق أنظر الديوان : ٣٣

(٥) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ .

تَرَاحَتْ فِي النِّعَمِ مِمَّ تَنْتَهِا حَوَاسِدُ أَعْيُنِ الزُّرْقِ الْقِيَاحِ (١)
 وقول يشار له دلالة ، لأنه كاد أعمى يوم المحالس - خاصة محالس
 النساء - فكل ما يذكره ويصوره في شعره أي جاءه عن طريق السماع ، ثم
 أنه كان عربى الثقافة ، حبيرا بالذوق العربي ، فوصفه للعيون الزرق بأدبها
 حاسدة له دلالة على نظرة المجتمع إلى العيون الزرق . وأشار بيت آخر
 يذكر فيه الزرقه على أنها مما تعجها الأذواق وذلك في وصفه البهيل :
 وَلَا تَحْبِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَّ زُرْقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدُ (٢)
 وسواد اللون غير مستعار في الذوق العربي كما مر به (٣) ، فإذا اجتمع
 السواد مع عيون غير محسنة وهي الزرق ، فإن الوجه يكون أبشع مما يتصوره
 الدهن العربي . وشار لم ير الزرقه ، كما لم ير اجتماعها بالسواد ، ولكنه
 تخيل هذه الصورة غير المقبولة في الذوق العربي لبشع عِلَّ السخيل على أمواله
 مستمداً ذلك مما عرفه عن الذوق العربي .

وهكذا اقترنت الزرقه بمعانٍ سمية بغيضة . أما من الساحية المادية
 فإنها اقترنت بعدة صور تزيد من موحشات الزرقه في الآية الكريمة . أما
 الدباب الأزرق فهو أشدها أذى وإيلاماً (٤) ، ولون عيون كلاب الصيد

(١) ديوان بشار ٢ : ١١٤ .

(٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٢٨ . وقد أخذ هذا المعنى مسلم بن الوليد ،
 وإن لم يبلغ جودة بشار في شعره قال :

إِذَا سِيلَ عُرْفَا كَسَا وَجْهَهُ ثِيَاباً مِنَ الْبَحْلِ زُرْقاً وَسُوداً
 أنظر الصنائع ٤١٠ .

(٣) أنظر ص ١٣٩ فما بعدها .

(٤) الاشتقاق مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق م ٢٨ ج ٤ : ٥٧١ ،
 العرب المصنف : الورقة (١٧٦) ، الحيوان ٣ : ٣٩٠ ، أدب الكاتب : ٢١٥ ،

محالس ثعلب ١ : ٦٧ ، المؤلف والمختلف : ٢٦٠

الشرسة ررقاه (١) .

وهكذا تدب لنا المعاني المتعددة التي توحىها كلمة الزرقعة ، وكيف انها افترنت بمكان بعضها المكر العربي . وتنداعى هذه المعاني كلها فترسم في الدهن عند قراءة قوله تعالى : (وَنُحْشِرُ الْمَجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (٢) والمجرمون يوم القيامة عمي عن الحقيقة ، ضالون عن الطريق الصحيح . وعبر عن هذا المعنى بتعبير تنداعى به معاني الأثوم ، وابغض ، والبشاعة . وتجتمع هذه الصور المشعة لزرقة الكافرين مع سواد الوجوه الغبيص ، لتكوّن صورة واضحة لوصف الكافرين يوم القيامة ، وتقابل هذه الصورة بصورة المؤمنين المستشرة وحوهم الفرحة ساعة اللقاء والثواب .

ح - اشراق وجوه المؤمنين

في صفة وجوه الكافرين والمؤمنين نجد تصويراً رائعاً لسمات الحزن والفرح التي تكنسي بها وجوه الناس يوم القيامة . وقد مرّت بنا صور اليأس والكآبة التي رسمتها الآيات الكريمة لحال وجوه المجرمين يوم القيامة على حين وصفت وجوه المؤمنين بأنها مشرقة مستشرة : (وجوهٌ يومئذٍ مُسْتَرِشَّةٌ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عليها غبرة ، تَرْتَهِنُهَا قَتَرَةٌ) (٣) ، وقال تعالى أيضاً : (كَلَّا ، بَلْ نَحْبِبُونَ الْعَاحِلَةَ ، وَنَحْنُ دُونَ الْآخِرَةِ ، ووجوهٌ يومئذٍ ناصرةٌ الى ربها ناطرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ

(١) ديوان امرئ القيس : ١٠٣ ، المؤلف والمختلف : ٦٧ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ .

(٣) سورة عبس ٨٠ : ٣٨ - ٤١ .

ناصرة* ، تَطْيُ' ان يَصْحَلْ بِهَا لاقرة (١) ، في هذه الآيات الكريمة نجد صورتين مختلفتين ، صورة المؤمنين المستبشرين ، وهم يتأمنون نعم ربهم ورضاه ، وصورة الكافرين ، وقد راعهم هول الموقف ، يتوقعون العذاب والعقاب .

فانذمون وجوههم بضرة ، ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين تلا قوله تعالى : (وجوه يومئذ باضرة) (٢) ، قال بالياض والصماء (٣) . أما ابن عباس فقد قال ان معناها . (حَسَنَةٌ جَمِيَّةٌ باعثة) (٤) . ونقل الطبري عن محمد بن سيرين الضرة بأنها من السرور ، والنعيم ، والغبطة (٥) . وفسرها النمرأ بأنها اشراق الوجه وبريقه المتأني عن النعيم ، والسرور (٦) . وبجلي الطوسي هذه الصورة أكثر فأكثر ، ف يرى انها الصورة المشرقة المضيئة التي تملأ القلب سروراً عند رؤيتها (٧) .

أما الحسن المؤدب (٨) فقد اتخذه بالضرة آخر ، ولم ير فيها (١) سورة القيامة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٢) ن م : ٢٢ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ١٩٣ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٥ ، التنبيه والرد ٦٣ .

(٥) جامع البيان ٢٩ : ١٩١ ، تفسير عريب القرآن : ٥٠١ ، الزجاج عن

لسان العرب ٧٠ : ٦٩ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٣٩ ، الكشف ٣ : ٢٤٩ .

(٦) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٧) انبياء ١ . ١٩٧ ، متشابهات القرآن ١ : ٩٤ .

(٨) لم أعثر على ترجمة كاملة له ، وقد ذكره الخطيب العدادي بأنه احسن

ابن أحمد أبو محمد المؤدب ، وقال بأنه قد كتب عنه سنة ٤١٧ هـ ، أنظر تاريخ بغداد ٧ : ٤٧٨

دأب الوجوه ولا حسنهما واشراقها وإنما ذهب بها إلى الدلالة المعنوية ، وهو حسن الخلق والميرة والجاء . قال : (ليس من الحسن في الوجه ، إنما معناه حسن الله وجهه في خلعه أي جاهه ، وقدره قال : وهو مثل قوته اضربوا الحوائج إلى حدان الوجوه يعني به ذوي الوجوه في الناس وذوي الأقدار) (١) .

ويروى أنه لا تعارض بين تفسير الحسن المؤدب الذي يرى التضارة في عظم المنزلة والجاء ، وبين المرقى الأول الذي يحملها الحمل المادي ، وهو حسن الوجوه واشراقها من النعيم والسرور ، وذلك لأن وجوه المؤمنين إنما تنضرب يوم القيامة لما تجده من النعيم والسرور الذي أعد للمؤمنين لعظم منزلتهم عند ربهم وللجاء الذي خصهم الله به .

وإذا تنوعنا معاني الكلمة واستبسطنا أصولها الحسية فأننا سنجد في التعبير القرآني تعبيراً رقيقاً قصرت عنه هذه التفسيرات . ويمكن لما صورة حية في وصف وجوه المؤمنين . فقد اقترنت النصر بأحب صورة إلى نفس العرب ، ألا وهي صورة السات الناصر وذلك أن يكون شديد الخصرة مع اشراق ولعان متأت من طراوة الررع ونمائه نمواً حسناً . قال ابن الأعرابي : (وأنضرت النبت أنضرت ورقه . . . وقد أنضرت الشجر إذا أخضر ورقه) وربما صار النصر نعتاً يقال شيء أنضرت ، وأنضرت ، والناصر ، الأخضر الشديد الخصرة) (٢) . ويبي أبو حنيفة الدينوري (٣) أن العشب حين يكون

(١) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٢) ن . م .

(٣) هو أحمد بن داود أبو حنيفة توفي نحو ٢٨٢ هـ ، كان مهذباً معجماً راوية ثقة فيما يرويه ، أخذ عن الصريين والكوفيين ، وأكثر أخذه عن ابن السكيت أنظر إرشاد الأديب ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .

في بدء نبتة طربيا غصا يكون لونه شديد الخضرة مع اشراق وجمال يطلق عليه النضرة . قال : (واذا كانَ الدُّشْبُ مع شدَّةٍ خضرتِه مشرقا قبلُ عُشْبٌ كُنْضَرٌ) (١) .

وقد اقترنت هذه النضرة باللون الاخضر فيقال اخضر ناضر كما يقال ايض ناصع ، واصفر فاقع (٢) . اما لما اذا اقترنت النضارة بالخضرة دون غيرها من الالوان مع ان النبات متنوع الاشكال والالوان ؟ فن الجائز ان يكون هذا لكثرة اللون الاخضر ، وعلته على سائر النباتات . فاطلاق النضرة جاء على التعميم لا التحصيل لدا زده اطلق على كل نبات مشرق اشده او حنينة : -

برشعُ بنناً ناضيراً ويزينهُ بديّ وليلٍ بعد ذلك طواقُ (٣)
ثم اقترنت النضرة بالنبات الزاهي بصورة عامة ومن ثم تكرر ذكرها مع ذكر الربيع - احمل ابام العرب واحلاها - قال الاعشى في ممدوحيه بانهم يكرمون الخائع حتى تعود له صحته ويقوى هيبته كالغصن الناضر :
والشافعون الجوع عس جارهم حتى تُرى كالغصن الناضر (٤)
وقال الآخر مفتخرا : -

انا ملوكُ حبا للتابعين لنا مثل الربيع اذا ما نبتت نضرا (٥)
وتغنى الشعراء بذكر العصور النضرة لما توحى في نفوسهم من البهجة

(١) المخصص ١٠ : ١٩٥ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : ١١٨ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ : ٨٣٠ ،

المخصص ٢ : ١١٠ لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٣) المخصص ٩ : ٧٧ لم اعثر على قائله .

(٤) ديوان الاعشى : ١٤٥ .

(٥) الامالي للقيلي ١٠١ والبيت انشده ابو بكر بن الاعرابي ولم ينسبه .

والسرور قل امرؤ القيس .

فقمنا بأشلاء الأجسام ولم نقْدَ الى غصن باد تاضر لم يحرق (١)
وقال ظالم بن البراء (٢) :

فيا من لندهر بعد المرة بعدما يرى عُصْرًا يهتَزُّ كالْعُصْنِ السَّخِرِ (٣)
وإذا كان اطلاق النظرة على السات مُتأتٍ من اشراقه ، وجماله
هناهُ أُطْلِقَ عاراً على كل شيء رآه خالعين من الشوائب كالذهب
والخشب والجمال (٤) .

ومن هذا الاصل الحسي وهو نصارة النبات استعير تعبيرهم عن
حُسْنِ الوجه ورويقه بالنصارة (٥) وأشار الزمخشري الى ان نصارة
الوجه اطلقت مجازاً (٦) .

قال الاعشى متغزلاً :

وَسَنَّتْ حِينَ تَسَنَّتْ بَيْنَ الْأَرَاكِةِ وَالسَّارَةِ
وبجيد مفضلة الى وجه زينته النصارة (٧)

وبعد ان تبين لنا تطور دلالة الكلمة من معناها الحسي الاصلي الى

(١) ديوان امرئ القيس : ١٧٣ وانظر ايضا كتاب النبات : ١٣ ، ١٤ .

(٢) هو ظالم بن البراء بن قطن بن بكر شاعر من بني دارم . انظر المؤلف

والمتألف : ٢٢٤ .

(٣) ن . م . وانظر ايضا الطرائف الادبية : ١٠٢ .

(٤) الغريب المصنف الورقة (٢٢٠) : مجالس ثعلب ١ : ٤٩ ، جهرة

اللغة ٢ : ٣٦٧ ، الصحاح ٢ : ٨٢٩ : فقه اللغة : ٦٢ : لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٥) الافعال ١٠٧ ، الصحاح ٢ : ٨٢٩ المحضص ٢ : ١٥٣ .

(٦) اساس البلاغة : ٣٦٥ .

(٧) ديوان الاعشى : ١٥٣ .

معانيها الجديدة المعنوية ، امكننا ان نرد على ابن هرس الذي اعتبر المعنى الاصلي للكلمة هو الحسن ، والجمال ، والخلوص ، وعنه تفرقت باقي المعاني (١) . ذلك لان معنى الجمال والحسن متطور عن المعنى الحسي الاول وهو نظرة الذات ، واشراقه كما مر بنا حين نقرأ قوله تعالى : (ووجهه يومئذ باصرةٌ الى ربها ناضرةٌ ، ووجهه يومئذ باصرةٌ تظن ان يُعص بها فاقرةٌ) (٢) لا نفهم منه حال الوجه ، واشراقها وحسب ، بل نرسم امامنا صورة العشب والسات الزاهي تلك الصورة السخنة التي جعلت الحرب يطلقونها على كل من حس وجهه واشرق لشانه ، او لشعمه .

هذه هي صورة المؤمنين بوجوههم المشرقة ، ونقابها وحوه الكافرين اباسرة الحائمة التي تتوقع المصيبة ، والذاهية (٣) .

ومن مجموع هذه التعابير التي تصور حال الناس يوم القيامة ، نضع لما نمام الوضوح صورة الفزع والدلة التي تشمل الكافرين ، تلك الصورة التي تسجج مع الاضطراب الكوني . فيبدو كل ما في الطبيعة مُسْتَبْراً لاستجابة امر الله في قيام الساعة والحساب ، الا ان هناك ملاحظة عامة شهدها في الاحواء المختلفة التي تصور هول القيامة ، الا وهي صورة المؤمنين الرائعة التي تنساب مهدوء في هذا الحضم من الاضطراب والفزع ، وقد شملتهم طمأنينة ، وراحة عظيمة غير مبالغ بها بالاضطراب الذي يسود الكون ، واحمرمين معا . قل الله تعالى : (واقرب الوعد الحق اذا هي شاحصة ابصار الدين كَهَمَرُوا ، وبولنا قد كما في عقله من هد بل كما ظالمين انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم لو ، واردون ، لو

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤٣٩ .

(٢) سورة القيامة ٧٥ - ٢٠ - ٢٥ .

(٣) انظر الفصل الثالث ب- توقعهم العذاب .

كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ، لهم فيها زهير وهم فيها لا يستمعون ، ان الدين صفت لهم من الحسن ، اولئك عنها معدون لا يسمعون تحسيسها وهم في ما اشتبهت انفسهم خالدون ، لا يجربهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذ يومكم الذي كنتم توعدون (١) وقال تعالى عارضا مشاهد القيامة المفزعة : (كلا اذا دُكت الارض دكا دكا ، وحاء ربك ، والمملك صمما صمما ، وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ، يقول يا ليتني قدمت لحياتي فومئذ لا يجدب عذابه أحد ولا يوشق وثاقه أحد ، يا ايها المفسد المطمئنة ، أرجعي الى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (٢) . ففي هذه المشاهد المفزعة التي تتابع فيها معاني القوة والضعف من ذلك الجح ، وتحطيمها ، والشهود ، والملائكة وجهنم المهيأة لتعذيب المخرمين . خلال هذه المشاهد المفزعة تساب صور المؤمن المطمئنة غير آبهة بالفزع حولها ، وانما تسير بثقة ورضى الله لتلقى الثواب والحمة ونعيمها ، ومن عرص هذين الجانبين معا يتجلى الاعجاز القرآني الرائع ، لان المقارنة بين صورتي الكافرين والمؤمنين تجلتي صورة كل منها اكثر مما لو عرضت وحدها .

(١) سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ - ١٠٢ .

(٢) سورة الفجر ٨٩ : ٢١ - ٣٠ .

الفصلُ الرابعُ

القضاء بين الناس

١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها .

٢ - دقة الحساب .

٣ - نتيجة القضاء .

١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها :

ان القضاء يوم القيامة صورته الآيات الكريمة تصويراً دقيقاً رائعاً ، تجسدت فيه الانسانية في موكبها الزاخر حيث يقف الناس مجمعهم ، واختلاف طبقاتهم سواسية أمام قضاء دقيق لا يفرح عن الحق ، ولا يقل في حكمه إلا شهود الصدق . يقف الانسان وحده أمام اخول مجرداً إلا من صفحات أعماله تشهد عليه وتقرر مصيره إذ لا شفاعة ، ولا قضاء ، ولا وسيلة في التهرب من العقاب كالتفادي اعتادها الناس في الحياة الدنيا . انه العدل المطلق الذي تقف البشرية أمامه ، قبط من يؤمن لهائته السعيدة ، لأن أعماله تشهد له بذلك ، وبوقن المجرم بضآلة نفسه . العقاب الذي ينتظره جزاء أعماله في الدنيا .

ويستطيع الانسان ان يتجمل هذه الصورة المثالية للقضاء ، يعادل ، ويقارنها بالقضاء السائد في امته ، والذي يتأرجح بين الحق والباطل . واد يستعرض صور القضاء الجاهلي يجد انه صور في مشاهد القيادة ليس العرق العظيم بين الحكم الديني وما فيه من قيم اجتماعية ، وبين الحكم العادل يوم القيامة

فم يكن للقضاء الجاهلي قانون بحكمته ، أو دين يضبطه ، انما كان المرجع فيه الى رأي رجال عرفوا بسلامة التفكير والحكمة قال يعقوبي : (وكان للعرب حكام ترجع اليها في امورها ، وتنحاز في مساعيها ، ومورثها ومباها ، ودمائها ، لأنه لم يكن دين يرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف ، والصدق ، والأمانة . والمجد ، والتجربة) (١) . وتعدد

(١) تاريخ يعقوبي ٢٩٩٠١ ، وانظر أيضاً الأشباه والنظائر ١ : ١٤٤ ، ١٤٥

الذين كانوا يحكمونهم في المنازعات ، فمضهم كان يحكم العرافة (١) ،
وقد بلغاؤا الى الكهات (٢) . واشتهر رجال منهم سارت أسماؤهم في
الآفاق ، لما عرفوا به من الحكمة ، والخصافة في الامور التي يحكمون فيها
ومن هؤلاء أكثم بن صيفي (٣) ، وعامر بن الظرب العدواني (٤) ، وغيلان
ابن سلمة (٥) ، وغيرهم ممن ناقلت الكتب أخبارهم .
وكانت العرب ترجع الى أمثال هؤلاء لتحكيم بينهم في المنازعات ،
أو في تقدير دية قتل اختلفوا فيها (٦)

ومع الأوصاف التي اقترنت سير هؤلاء الرجال ، من الطبيعي أن تكون
أحكامهم تقريبية بين الحق والباطل ، لأنهم لا يعتمدون على قانون واحد ،
أو قاعدة عامة في جميع أحكامهم ، يضاف الى ذلك ان الطرفين المتنازعين
غير ملزمين بقبول الحكم الذي يصدره الحكم ، وقد ينقض أحد الطرفين

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٦ ، بلوغ الأرب ٣ : ٧٥ .

(٢) المثاب : ٣١ ، سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، المنعق : ٢٠ : ٢٢ ، ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، أخبار الزمان : ٩٥ ، بلوغ الأرب ٣ : ٢٦٩ ، تاريخ لعرب
بجوادة علي ٥ : ٣١٧ ، ٣١٥ .

(٣) المعمر : ١٩ - ٢٤ ، المحبر ١٣٥ ، البيان والتبيين ١ : ٣٦٥ ،
عيون الأحبار ١ : ١٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، الاشتقاق لابي دريد ٢٠٧ ،
أسد الغابة ١ : ١١٢ - ١١٣ ، الاصابة ١ : ١١٨ ، واطر أبصاً :

Ency. of Islam P. 345 .

(٤) سيرة النبي ١ : ١٣٤ ، المعمر : ٥ ، المحبر ١٣٥ .

(٥) المؤلف والمختلف : ٢٣٠ ، بلوغ الأرب ١ : ٣١٦ .

(٦) المحبر : ١٣٥ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، بلوغ الأرب ١ : ٣١٩ :

الحكم ، وكان بعضهم اذا حكم بقضية ما ، لا يبدي رأيه الا اذا أعطاه الفريقان
العهود والمواثيق بنطبق ما يقضيه بينها (١) . ومن هنا فحرم بعضهم بأن فيهم
الحكام الذين لا ينقض حكمهم ولا يرد (٢) ، وانهم اذا حكموا بين القبائل
فان حكمهم هو الصواب وغيرهم على خطأ (٣) .

وقد حرم الشعراء مثل هذه الأمور بعكس لنا من جانب آخر افتقار
المجتمع للعدالة ، وضياح الحق إلا عند الحكام الذين رصنهم السنين وحسنتهم
التجارب . ذلك لأن الشاعر اذا أراد ان يمدح شخصاً ، وانما يصمي عليه
قيماً ، وصعوبات لا يجدها عند غيره من الناس ، أو أنه عرف بها أكثر من
غيره . فتفني الشعراء بأن فيهم الحكام العاديين بعكس لنا افتقار المجتمع
القبلي الى عدل يسود ، وحق يطبق .

١ - الشعاعة وانقصاء الحاهلي صورة للمجتمع العربي وتقاليد ، وأول
ظواهره هو الايمان بوحدة القبيلة . والتعصب لها في سلمها ، وحررها ، وهي
التي قال عنها ابن خلدون انها : (المعرة على ذوي القرى وأهل الأرحام
ان ينالهم ضيم ، أو تصيبهم همكة ، والتي بها تشتد شوكتهم ، ويخشى
جانهم) (٤) . وقد أعمت هذه البطرة عيونهم ، فلم تترك لهم مجالاً بهرقون
فيه بين الحق والباطل ، انما يهرعون ملين نداء أي مستغيث من أبناء
قبيلتهم دون ان يستفسروا عن المعدي . ولعل أجود قصيدة تبين لنا هذه
الروح هي قصيدة قريظ بن أبيب التي يذكر فيها عصية بني مازن التي

(١) أنظر في هذا الأغاني ١٩٠٣ - ٢٢ ، الكامل لاس الأثير ١ : ٧٧ .

(٢) الشعر والشعراء ٢ : ٥٩٨ ، الحاسة الصرية الورقة : ١٤٤ (أ) .

(٣) أنظر ديوان عامر بن الطفيل . ٢٠ ، ديوان حميد بن ثور : ١٣١ ،

والفضليات : ١٧٤ .

(٤) المقدمة : ٧٣ .

حدوا عليها . وانهم لا يسألون اخاهم عن المعتدي اذا سالهم النجدة
وانما يلون بداهه ظالما او مظلوما (١) .

واذا امر احد افراد القبيلة هرع وحوه القوم ، او شاعر من شعرائهم
ليشفقوا له عند غاليه وامريه (٢) وامل اكثر ما يؤلم البدوي هو حذلان
قومه له حين يعتدى عليه .

اما الجوار فانه رابطة اخرى تحمي الفرد ، وتشفع له في حياته .
فاذا قتل امرؤ او اجرم فان على مجريه ان يدافعوا عنه ، ويشفعوا له
قال رجل من بني عبد الله بن عطفان ، وقد جاور قبيلة طي وهو خائف:
"جَزَى اللهُ تَخِيْرًا طَبْنًا مِنْ" عشيرة

وَمِنْ صَاحِبِ تَلْقَاهُمْ كُلِّ مَجْمَعٍ
هُمْ حَلَطُونِي بِالنَّفْسِ وَدَافَعُوا

ورائي برُكْرٍ دى مساكبٍ مدفعٍ
وقالوا : نَعَمْ إِنْ مَالِكَ إِنْ يُصَبِّ

نُفَيْدِكَ وَإِنْ نُحْبِسْ نَرَرَّكَ وَكُشِفَ (٣)

هذه الشفاعة التي اعتادها البدوي في بيئته كانت تقف حاجلا دون
تطبيق العدالة ، لان الجاني سرعان ما ينشيت بمن له مبرة ، وجاه في قومه

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٣٢ وانظر ايضا ١ : ١٣٠ .

(٢) ديوان علفمة الفحل ٤٠ ، ٤١ ، وانظر ايضا الكامل لأبن الاثير ١ :

٢٨٨ وقد يطلبون شعاعة رجل له مكاته العظيمة في بعض القبيلة الغالبة انظر امثال
العرب ٨ ، ٩ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٧١ ، وذكر ابو تمام الابيات في الوحشيات ونسها

لابن دارة احد بني عبد الله بن عطفان ، انظر الوحشيات . ٢٤٩ .

ليشبعوا له ، وبحلصوه من جرمه وامره (١) . فأي شعور رهيب يحتاج العربي اذا سمع بأنه سيأتيه اليوم الذي يقف فيه وحده ضعيفا متهاكاً وذو نية العظام لم يترك منها شيء تشهد عليه ، وتدينه ثم يلتفت فيجد ان كل الوسائل التي كان يتوصل بها الى النجاة في الحياة الدنيا قد تقطعت وأنه ما من شخص يشفع له ، ويعينه على التخلص من العقاب لان (لكل امرئ يومئذ شأنٌ يُغْتَبَرُ) (٢) . فلا شفيع ولا نصير ، قال الله تعالى : (وَاهْلُ يَمْطُرُونَ الْآثَارِ يَوْمَ لَا يُؤْتِيهِمْ فِيهِمْ يَوْمَ لَا يَكُونُ لِمَنْ يَنْصُرُهُمْ فِيهِمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ إِلَّا اللَّهُ فَمَا لَهُم مُّنتَصِرُونَ) (٣) . فها هو اليوم الذي ياتي تأويله بقول الذين تسوه من قبل . قد جاءت رسل ربنا بالحق . فهل لنا من شعاة فيشفعوا لنا ، او ترد فعل غير الذي كنا نعمل ؟ قد تحسروا أنفسهم وأضل عنهم ما كانوا يفتنون) (٤) .

وهكذا ينبغي انجرمون شعاة احد لهم ، ويتمنون العودة الى الحياة الدنيا ليعمدا صاخا ، الا ان الرد ياتيهم جازما مؤلما بان يوم القيامة لا يترك للمجرمين شعاة ، ولا تقل وساطة أحد . فاعلمهم تشهد عليهم بما اقترعوه في الحياة الدنيا قال الله تعالى : (وانفوا يوماً لا تَجْرِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ، وَلَا يُنْقَلُ مِنْهَا شِفَاعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا لَهُمْ يَمْضِرُونَ) (٥) وقال ايضا : (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا حنة ولا شعاة ، والكاكرون هم الظالمون) (٥)

(١) وشبه هذا عقيدة الذين اتخذوا آلهة ليشعروا لهم عند الله وقد ذكرهم الله تعالى في سورة الانعام ٦ : ٩٤ وانظر ايضا الروم ٣٠ : ١٣ ، يس ٣٦ : ٢٣ .

(٢) سورة عس ٨٠ : ٣٧ .

(٣) سورة الاعراف ٧ : ٥٣ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٤٨ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٥٤ .

وفي سورة غافر يصف الله سبحانه وتعالى هول الموقف يوم القيامة والذي تلعب فيه قلوب الناس الحاسر ، فلا يستطيعون الكلام ، لانهم ابقوا من الحساب الدقيق الذي لا يترك ذنباً كبيراً ، او صغيراً ، الا واحضره ، ويريد يا سهرم وحوهم ان ليس لهم شمع بقل شفاعته ، لانهم ظالمون مجرمون : (وادبرهم يوم الآفة ، اذ القلوب لدى الخناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ، ولا شفيع يطاع ، يعلم حادثة الأعين ، وما تخفي الصدور والله يقيضي بالحق والدين يدعو من دونه لابقضون بشيء ، ان الله هو السميع الصبر) (١) .

هكذا تعني الآيات القرآنية الكريمة وجود الشعاعة للكافرين يوم القيامة ، ذلك المفهوم الذي كان سائدا في البيئة الجاهلية ، لانه الحق المطلق الذي لا شبهة شائنة ، ولا يعوقه مفهوم من المفاهيم الجاهلية كالشعاعة مثلاً .

ب . الفداء والعدل :

الفداء : وهناك وسيلة اخرى اعتماد الدوي . واسطتها التخلص من اسره ، تلك هي وسيلة الفداء ، وذلك ان يدفع الاسير دية بملك بها اسره ، والا فانه يصبح بحكم العرف ملكاً لاسره ، وتختلف هذه الدية حسب منزلة الشخص الاجتماعية ، فكان فداء الشخص المتوسط المنزلة مائة بعير (٣) وقد تلعب حسنة بعير . اما دية الملوكة ، ومن يلعب مملكتهم في

(١) سورة غافر ٤٠ : ١٨ - ٢٠ .

(٢) النقص ١ : ٢٠

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

العظيمة فانها لف بعير (١) ، ومن هنا فخر اهل اليمن بالاشعث بن قيس (٢)
لانه اهدى نفسه ثلاثة الاف بعير اي بدية ثلاثة مالوك (٣) .

واذا كانت هذه الارقام تبين لنا دية الاشخاص ، واختلافها حسب
مراتبهم الاجتماعية ، فأنها من الدية الأخرى تعكس لنا أهمية البينة في
شؤون العادات والتقاليد ، ذلك لان انتشار العرضي ، وكثرة الحروب ،
والغارات ، وما يتبعها من الأسر ، كل ذلك ساعد على إيجاد الدية والقداء
لفك الأسرى ، ولما كانت منزلة الأشخاص تختلف حسب مستواهم المادي
ومنزلتهم الاجتماعية فان ديتهم قدرت تما لذلك . وقد وصف عوف بن
عطية (٤) في قصيدة له الأسير يمتلك مالا يستطيع ان يفك به قيود
اسره ، يقول :

وَمَكْبَلٌ يُقَدِّى بَوَاصِرَ مَالِهِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَنْجَمَةٍ أَوْ أَبْصَرِ (٥)
ويظهر الظلم الاجتماعي في هذا الجانب من المجتمع البدوي الذي قد
يلحق الكثيرين . فالحروب مستمرة ، والقتل والأسر يتمثل أمام ناظري المرء
كل يوم ، ولكنه يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان ذا مال وفير لم يعاني

(١) نفاض ١ : ٤٣٢ ، ٥٣٥ ، بلوغ الأرب ٣ : ٢٢٠ .

(٢) هو الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي امير كندة في الجاهلية
والاسلام . كان شاعراً وسيداً كريماً وكانت اقامته في حضرموت ، ووفد على
النبي (ص) بعد ظهور الاسلام . توفي نحو ٤٠ هـ . انظر المؤلف والمختص : ٥٥
خزاة الادب ٢ : ٤٦٥ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

(٤) هو عوف بن عطية بن عمرو بن عيسى بن ودبعة بن مضر شاعر جاهلي
وجل ادرك الاسلام معجم الشعراء : ٢٧٦ ، حرازة الادب ٣ : ٨٢٠ - ٨٣ .
(٥) ديوان الفضليات : ٦٣٥ .

من الأسر أو عقاب جرمه شيئاً ، اذ انه سرعان ما يقدم ماله ليغسل جرمه
 واذا كان ذا جاه ، ومزلة كبيرة فان قومه يسرعون لاعتدائه بما يملكون
 من مال وجاه . وفي أخبار الشمرى ان قومه قتلوا رجلاً كان في خفرة
 بمصر المهمين مرهونهم الشمرى (١) ، وامه ، وأخوه ، ولم يفدوهم (٢) ...
 هكذا يرهن ثلثة أشخاص مقابل شخص واحد ، ومع ذلك لا يحاول
 قوهم اقتداءهم وذلك أمرهم لماذا ؟ لأنهم ليسوا سادة ، ولا أعنياء .
 وقد شكوا طريقة مولاه في شعره بأنه يضيق عليه الأمر في كل حال
 سواء شكره ، أو طلب منه أن يقدي نفسه :

فلو كان مولاي امرء هو غيره

لمرح كرتي ، أو لأنظرتني عدي

ولكن مولاي امرء هو خانيقي

على الشكر والتسأل أو أدامتني (٣)

وبعداء المادي كما عرفه المجتمع العربي ورد في القرآن الكريم فقد
 أفندي ابن أبي اراهيم (ع) بكيش عظيم (٤) . كما حدد الله سبحانه وتعالى
 فدية الأسرى المشركين ، فاما ان يُسر عليهم ، فطلاق حرينهم ، أو ان

(١) هو عمرو بن مالك الأردني من قحطان ، شاعر جاهلي من فتيالك العرب
 وعدائهم ، وهو أحد الخلفاء الذين تراءت منهم عشايرهم . قتله بنو سلامان ، وهو
 صاحب اللامية المشهورة بلامية العرب أنظر الأغاني ٨٧: ٢١ - ٩٣ ، حرافة الأدب
 ١٦ : ٢ - ١٧ .

(٢) ديوان المفضليات : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) ديوان طريقة ٥٧ .

(٤) سورة الصافات ٣٧ - ١٠٥ .

نفس منهم فدية (١) .

هذا الفداء الذي اعتاده العربي في بيئته . وحروبه المستمرة ، صورته الآيات الكريمة عند تصويرها لحساب الدقيق يوم القيامة . والسوي الذي اعتاد في الحياة الدنيا التخلص من حرمه ، وأسره ، بأن يفدي نفسه بمقدار من المال ، فإنه يوم القيامة لا يمكنه التخلص من العقاب الذي ينتظره ، حتى لو امتلك ملء الأرض ذهبا . قال الله تعالى : (ان الذين كفروا ، وما نوا وهم كفار ، على يقتل من أحدهم مثلاً الأرض ذهبا ، ولو افندي به ، أولئك لهم عذاب أليم ، وما لهم من باصرين) (٢) وفي سورة الرعد بين الله سبحانه وتعالى بأن الذين لم يستجيبوا لدعوة الحق لا يتخلصون من العذاب يوم القيامة حتى لو قدموا ما في الأرض من الأموال فدية لهم (للذين استجادوا لربهم المحسنين ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لأفندوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ، وما نواهم جهنم ونفس المهاد) (٣) . وقال الله تعالى أيضاً : (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ، ولا من الذين كفروا ، ما نواكم النار ، هي مولاكم ونفس المصير) (٤) .

وإذا كان في مقدور الأب ، أو أي فرد من أفراد القبيلة فداء ابنه أو قريبه ، وتقديم ما يملك في سبيل اتقائه ، فإن هذه الأواصر تنقطع كلها يوم القيامة ، فلا يفدي الأب ابنه من العذاب بحسب ، بل يتمنى أو أنه يستطيع ان يفدي نفسه بأعر أحبائه في الحياة الدنيا ، بانه ، أو صاحبه

(١) سورة محمد ٤٧ : ٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٩١ ، وانظر أيضاً سورة يونس ١٠ : ٥٥ .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ١٨ .

(٤) سورة الحديد ٥٧ : ١٥ .

أو حبه . ولكن ههنا له ذلك فلا يقل قذرة . ولا يران عذاب
 الله تعالى وصفاً جبراً لأما يوم القيمة حيث نقف وحيداً ، فرعاً
 (١) " تُصْرُؤُكُمْ أَوْ تَكُونُ لَكُمْ أَرْضًا مُرْتَعَةً فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَالَمُونَ " (١)
 وبجانبه . وحده وقبيلته أي قومه ، ومن في الأرض جميعاً
 ثم " كَلَّا ، أَطُوعَ الْغَافِلِينَ " (راعة ناشوي) (١)

هنا تكمن الآات الكريمة صورة الحياة العربية الجاهلية ، وتبين
 ١١ كيف سهرت عناصر الأصالة التي تقوم عليها القصة ، إذ لا شناعة
 ولا قذرة ، بل عصاة عادب تنقسم في كل عرى القرارة والصدقة ، وكل
 الربوبية . ونقف انبي والمقر . ودوا الحاء والصلحوك ، وحيدس
 امام قانون واحد حارم .

هنا . اما بعد فانه نعتبر آخر له دلالة على انشطة العربية التي
 نعت وجوده لأت الكريمة يوم القيمة (وانقر يوماً لا تحري نفس
 عن نفس شيئاً ، ولا تُفعلنُ منها شئاً ، ولا يُؤخذُ منها عملٌ
 وراهم " صرور) (٢) وول أيضاً (ودر ندين " اتخذوا دينهم
 سعة ، وضوءاً ، وعالمهم الخيانة الدنيا ، وذكروا به ان يُفعلنَ نفس
 ما كسبت ايسر ما من دون الله ولي ولا شفيع " وان تعدل كل
 عدل لا يؤخذ منها ، او اثبت ندين " سيدوا بما كسبوا ، ولم يشربوا
 من خمير وعذاب الله " ما كانوا يكفون) (٣) .

(١) سورة الفارج ٧٠ : ١٢ - ١٦

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٨

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٧٠

وقد قال المفسرون في معنى العدل : العدل (١) ، وإذا كان هذا التفسير صحيحاً مع اللفظ الذي مر بنا فخطئه إلا ما يجد في دلالات الكلمة تحتمله معنى جامعاً لنفسه لمفسرين من جهة ، ومكسباً لينا صورة من البنية العربية من جهة أخرى ، وذلك أنهم قد استلزموا العدل على الخيول بوصف على حيائي البنية قبل الاصطلاح ، عدلت الخواريق (٢) ، على العرب ، عدلتهم تشديداً ، يحمل على حبب البنية ، ويُعدّل مأحر (٣) وقال الأزهري : العدلان : بغير ان (٤) ، لأن كل واحدة منهما عدل صاحبها (٥) . وقد ابن دريد : العدل : العدل العكس إذا عدل مثله (٦) والعدكم هو من عدل العرب كما تقول الرحشري (٧) .
وإذا سبق من أقوال النحويين بقدر ما أن العدل هو العدل الذي

(١) نور لمفسر : ٧ ، بحار القرآن : ٥٣ ، جامع : ١ ، ٥٧ .

البيان : ١ : ٢١٥ : الكشف : ١ : ٥١١

(٢) الخواص : ١١٠ ، من الأوعية : أعجمي معرب ، طر جمهرة اللغة

٢ : ١١٠ ، انصباح : ٤ : ١٤٥٤ ، معرب : ١١٠ ، لسان العرب : ١١ : ٣١٨

(٣) عن لسان العرب : ٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة : ٢ : ٤٥٩

(٤) المعررة : قبل الخواريق عليها ما وحدة المعررة التي للنس ، ووطه

معرباً ، وهو بها كلمة عربية لأصل هو لهم العرارة شجرة السيف ، وكل

شيء له حد وحدته عرارة انظر جمهرة اللغة : ٣ : ٤٥٨ ، لسان العرب : ٦ : ٣٢٠

لأن حيي الحملين والعدلين مثلاً ، ومن هنا صبي الحمل عرارة .

(٥) لسان العرب : ٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة : ٤ : ٢٤٧ ، المحكم

٢ : ١١٠ ،

(٦) جمهرة اللغة : ٢ : ٢٨١

(٧) أساس البلاغة : ٦٤٩

يوضع على حائبي الدابة يحمل عليه العربي ما يحتاج إليه في سفره ، وسيره
على أن يكون ما في الحمل الأول موارباً ومغادلاً للحمل الثاني يتوارن
سير الدابة . قال ابن الاعرابي : (يقال عَدَلْتُ امْتَعَةَ الْبَيْتِ ، إذا
جعلتها عدلاً مستوية للاعتكاف يوم الطمس) (١) . وإذا ركب رجل على
أحد حبي الدابة ، فلابد من موازنته بوضع ثقل في الجانب الثاني من
الحمل ، فترك معه شخص آخر يساويه ومن هنا قالوا عدل الرجل في
المحملة وعادله ركب معه (٢) .

وقد ورد هذا المعنى المادي للكلمة في الشعر العربي ، من ذلك قول
عوف بن عطية هاجياً :

ولقد أراك ولا تُؤَبِّنُ هَالِكاً

عَدَلَ الْأَصْرَةِ فِي سَنَامِ الْأَكُومِ (٣)

يريد أنه لا يُسَكِّي عليك أن مُتَّ ، وقد كانت أمه راعية ، وكانت
تحمّله عبي بعبير وتعديل به الأصرة . وقال آخر مشبهاً الفتيان بالحمير
يحملون أعدالاً قد أثقلها الحمل :

فِي قَتِيَةٍ مِنْ بَنِي يَهْدٍ كَأَنَّهُمْ

أَذَانُ أَحْمِرَةٍ بِحِمْلٍ أَعْدَالاً (٤)

أي أن هؤلاء القتيّة حاملين لأحراك دم ، ولا شهامة عندهم كأنيهم
أذان حمير قد تمت من حمولة أعدالها . وقال آخر :

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً أساس البلاغة : ٦٦٦

(٢) المحكم ٢ : ١١ ،

(٣) المعاني لكبير ١ : ٤٦٩ ، والبيت لم ينسبه ابن قتيبة

(٤) ن ١٠ م ٥٧٨ :

لما عدّوتُ تحليقَ الثيابِ أحملُ عدّتينِ من الترابِ (١)
ومن هذا المعنى المادي لكلمة العدل اطلقت الكلمة على المعادلة
والموازنة مطلقاً ، وعلى العدل القسط المراد به الاستقامة التي هي ضد
الجور (٢) . قال علقمة الفحل :

فلا تعدّ لي بيني وبينَ مُغْتَمِرٍ
تستكّرِ زوايا المزدحج حينَ تُتصوّبُ (٣)

والمغتمر الذي لم يجرب الأمور . والمراد السحاب الأبيض وروايه
ما تحمل من الماء يريد منها ألا تعدله مع من لا حكمة ولا خبرة له
وقال امرؤ القيس :

فقلتُ لها وقولُ الحقِّ مما يميلُ ولو عدّاتَه الجبالُ (٤)
وصورة عدلي الدابة واضحة في هذه المروية ، ومن هنا اطلقوا
العدّل على الميثل قال الأزهري : (العدّل : المثل ، واصله في الدية
يقال : لم يقبلاوا منهم عدلاً ولا تصرفاً . أي لم يأخذوا منهم دية ، ولم
يقتلوا رجلاً واحداً ، أي طلبوا منهم أكثر من ذلك) (٥) .

ويبدو مما مرّ بنا من معنى العدّل المادي ان معنى الفساد والدية
ليس أصلياً بل منطوراً عن المعنى المادي ، ذلك لان العدّل لا يمكن
(١) المعاني الكبير ١ : ٤٩٦

(٢) جوهرة اللغة ٢ . ٢٨١ ، المحضص ٦ : ١١٧ ، احكم ٢ : ١٠

(٣) ديوان علقمة الفحل : ١٠ ، وانظر أيضاً ديوان حسان : ١٨٢

(٤) ديوان امرئ القيس : ٣٠٩

(٥) الأزهري عن لسان العرب ١٣ . ٤٦٠ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب

١١٠١ ، احكم ٢ : ١٠ ، اساس البلاغة ٦١٧ وانظر

Arabic English Lexicon Book 1 P 5 197 .

ان يُورثَ إلا بحبل آخر موارٍ ، ومشابه له ومن هنا فهم معنى
 المشاة ، ولشابهة الذي أحده منه معنى لقدمه ، ذلك لأن العرب قد
 اعتادوا في حربهم ان يمشوا قدامهم ، ولا يكتفون بعقاب قائمه بل
 حذروا ذلك الى ان يمشوا من غير شاة . فيقتلوا قدامه بعيداً له
 في مقامه ، ومركزه . وقد روي في عهد العرب ان حين قتل حساس
 كذبة عرس هو تغلب على بني بكر من وائل ان يدفعوا دم حساساً
 لبقائه دمه حبههم أو يدفعوا لهم همتاً لانه يسد الكلاب (١) وصورة
 حلي لدانة واصححة المعلم في هاهنا المعنى ، لانهم لا يمشون لئلا يدا
 وارثوا بيده وبين قبيلهم الا ان معظم العربيين فرّوا من معنى العذل
 والعذل قال الفراء .

(العذل : في قوله تعالى (او عذل ذلك صبراً) قال ما عاذ
 الشيء من غير حسيه ومعناه ، وندبه شاة اذا كانت شاة
 ذلك ، والعذل ، المش ، وندب ن هوى عدي عذل غلامك وعذل
 تعذل شاة او غلام يعذل غلاماً . فاذا أردت قيمته من
 غير حسيه نصبت العين ، مات عذل ، وربما كسرهما بعض
 العرب . قال بعض العرب ، عذته ، وكأته منهم عذ ، تدرب
 معنى العذل (٢) وما مر بنا مدو ان المعدين من اصل واحد وهو
 عدلا لدانة إلا ان تطور معنى الكلمة ، ودلالتها جعل العذل يفتح العين
 حصص بمعنى المش المعوي ، والعذل كسرهم تختص للدلالة على

(١) خزائن الأدب ١ : ٣٠٢ ، الكمال لابن الأثير ١ : ٢١٨ شرح

العيون : ٩٧

(٢) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، ونظر أيضاً جامع البيان ١ : ٢٦٩ ،

التيبان ١ : ٢١٥

المثل المادي . وبؤيد وجود الأصل لواحد من الثمرين في رواية بعض العرب العدل بكسر العين للدلالة على العدل . وقل ارجح . (العدل) والعدل واحد في معنى العدل . والمعنى واحد ، كالأمر بالعدل من الجنس أو من غير الجنس (١) .

هذه المعنى المتعدي لمعنى العدل يستلزم ان يفهمها في الآيات الكريمة بقوله تعالى : (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبلُ منها شفاعه) ولا يؤخذ منها عدل ولا هم يتصور (٢) ان كل وسائل الشفاعة ، وتخلص من عقاب نبي واحد يومئذ فلا يمكن ان تخصص الانسان دفع الدية ، والصداء ، ولا يؤخذ مكره احرار عدله ولا بد ، لأن (كل نفس بما كسبت) (٣) وفي كل هذا نجد صوراً من الآية العربية ، صورة الدية مضافة في الصورة الدقيقة من حمي الدية . وسند هذه الصورة من العاشر في سورة اعمال الشخص ، كما نجد في صورة الصدء ، والدية التي اعادها في في بيته الحربية ، فتمت الآيات الكريمة وجودها ، لأن قصص يوم القيامة عدل لا تشوبه شائبة من شوائب نظم في حواه الدنيا

٢ - دقة الحساب :

أ - بصورها بالمواسر . إذ استعرضت لآيات الكريمة التي تصور دقة الحساب يوم القيامة وجدنا فيها حاشاً آخر من حجاب الدقة العربية بالقصص يوم القيامة عادل . لا يحسن الناس شيئاً تقاس فيه أعمال الخير

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٨

(٣) سورة المدثر ٧٤ : ٣٨

والشر ، ويوازن بينهما بدقة بالغة ، وقد صورت هذه الدقة بالموازين والمعايير التي عرفها العرب في بينهم ، وحياتهم الاقتصادية ففي سورة المؤمنون تصور الآيات الكريمة دقة الحساب وكيف ان الناس بعد نفع الصور يحشرون من قبورهم ، ثم تورد أعمالهم ويقارن بين السيء والصالح منها ، فتكون نتيجة الحساب اما الجنة واما الدار : (فاذا يُفْعَجَ فِي انصُورٍ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَنْسَاءُ لَوْلَا ، قَسَّ تَفْعَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ (١) . وقال تعالى ايضاً (وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، قُلْ تَفْعَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ عَمَّا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) (٢) . وهذه الموازنة عادلة لا تحس أحداً شيئاً قال الله تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكُنْ بِهَا حَاسِبِينَ) (٣) .

واختلف المفسرون في تأويل هذه الآيات الكريمة هل المراد بالميزان وزن أعمال العباد حقاً في ميزان له كمنان ، يُعرف به المؤمن من الكافر والصالح من المجرم ؟ أم انه تصوير مجازي للعذابة والقضاء السوي ؟ . لقد ذهب ابن عباس وفريق من المفسرين المذهب الأول . أما التفسير الثاني فقد روى الطبري عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (وأما

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ١٠١ - ١٠٣

(٢) سورة الاعراف ٧ : ٨ - ٩

(٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٧

من "كُتِبَتْ" مواريتة (١) . قال : (ليس ميزان إنما هو مثل يضرب) (٢) . ونقل الطوسي عنه أيضاً : (الوزن عبارة عن العدل في الاحرة وأنه لا ظلم فيها على أحد) (٣) . فجاهد يرى في الميزان مثلاً ضربه الله سبحانه وتعالى ليصور دقة الحساب بصورة ألفها اللسان في حياته .

وقد رد القاضي المعتزلي عبد الجبار بن أحمد على من اعترض على تفسير الموارين بالمخارة والحساب الدقيق قال : (وجوابنا أن المراد بذكر الموارين العدل في باب المخارة ، ولذلك قال تعالى بعدها (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بَهَا حَسِيباً) (٤) . وقال الزمخشري بعد أن نقل التأويل الأول (وقبل هي عبارة عن القصاص السوي والحكم العادل من ثقلت موازينه جمع ميزان أو موزون ، أي من رجحت أعماله الموروثة التي لها وزن وقدر ، وهي الحسنات ، أو قانون به حسناتهم) (٥) .

فإنه سبحانه وتعالى أراد أن يبين للبشر دقة الحساب الذي يحاسبون به يوم القيامة ، صوره بهد التصوير الرائع الذي لا يبخس أحداً حقه . وحقيقة الموازنة لا تكون إلا بوضع شيء بكفة ، يقابله بالكفة الأخرى

(١) سورة القارة ١٠١ : ٦

(٢) جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، وكذا تفسير أبو عبيدة قوله تعالى في سورة

الحجر ١٥ : ١٩ ، انظر مجاز القرآن ١ : ٣٤٨

(٣) التبيان ٤ : ٣٧٩

(٤) تنزيه القرآن ، ٥٣٥ ، وانظر أيضاً أمالي الشريف المرتضى ١ : ٩

تلخيص البيان : ١٤٢ ، تشابهات القرآن : ١١١

(٥) الكشف ١ : ٥٤٠

شيء آخر ، فوارن بينهما ، وهي نفس صورة الموارد الدقيقة التي مرت
 في صورة علي الدابة . ومن هنا قالوا (علان أوزن سي علان أي
 أوجههم) كما قال الخليل (١) . فكأنهم وادوا بين راحة تمكيره وبين
 تمكيره قومه فوجده احكم منهم فقالوا هو أوزن منهم .

وإذ كان للكلام قبة في نفس سامعه قالوا عنه نه يورن وزباً (٢)
 وقد أراد شاعرهم أن يحرر نصيبه قارن بينها وبين أعدائها بصورة تظهر
 فيها راحة كفة فينته قال الربيع بن ريد العنبي (٣) .

لئن رَحَكَتْ حَمَلِي لَا إِلَى سَمَةِ لَا مَشْطُهَا سَمَةِ عَرَصاً وَلَا طَوْلُهَا
 بِحَيْثُ لَوْ وُورَتْ أَسْمُ بَأْجَمِهَا

ما وارت ريشة من ريش سمويلاً (٤)

وهكذا تطور معنى الموارد من الأصل المادي إلى المعنوي ، فالربيع
 بن زياد حين أراد أن يبين عظمة قبيلة سمويين كفة ميران فلم يحدد
 وقوفها تجاه لحم وضعفها صورها لها بصورة مادية فكأنه وصم تخماً في
 ما يقابلها إلا ريشة من ريش سموييل ! إنها صورة متعلقة بالموارد المادية
 ، والمعاداة بين اثنين متقابلين متماثلين .

وهناك معنى مادي آخر تطور عن معنى الموارد الحسية إلا وهو
 معنى الموارد المستعملة في الكيل والوزن ، وهي وإن كانت نتيجة للتطور

(١) عن المختصص ٢ : ١٦٣

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ١١١ - ١١٢

(٣) هو الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن دشت العنبي ، أحد
 دهاة العرب وشجعانهم وروفاةهم في الجاهلية بادم التعماد من المدر ثم أمد
 ليد بينهما ، انظر أخبار ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، الأعاني ١٤ : ٩٢

(٤) شرح القصائد السبع : ٥٠٩

الاقتصادي والمعيشي في المجتمعات . كما نجد فيها صورة مادية قوية
 الصفة الموارد المادية المطمعة عن التحديد . وذلك حين يوضع شيئان في
 كفتين متعادلتين أو في عدلين متقابلين . وقد عرف العرب الموازين
 ومعاييرها خاصة في البيئة المكية التي رأت فيها الآيات الحزمة السابقة
 باعتبارها مركزاً ديبياً يحججه مسوياً عدد كبير من العرب ، وذلك يتيحون
 للمكيين سوقاً تجارياً نماديه والاستهلاك (١) . وقد عثر الباحثون على
 عدد من النقود المورس التي كانت تستعمل في اليمن وعدن وصنعاء (٢)
 وقد قاموا في اللغة ودرنت الشيء ورأى ، والميزان معروف (٣) .

وفي القرآن الكريم آيات بأمر بإبقاء الميزان والكيل ، وعدم الخسران
 في الوزن (٤) . مما يؤكد شيوع استعمال الموازين ومعرفة العرب لها .
 وهكذا صوّرت آيات القرآن الكريم العدل المطلق يوم القيامة
 ورسمته بصورة مادية تفصل بين العدل والظلم في صوراً عديدة من بيئته .
 صورة الموازنة والمعاداة بين الأشياء ، وصورة الميزان الدقيق الذي لا يبخس
 أحداً حقّه ، وأعمال العساة يوازن بينها موازنة دقيقة فيحاسب الإنسان
 على أعماله إن حسراً أو شراً . وإن كانت أعمال الخير أكثر من أعمال
 الشر ، كان حراؤه الجنة وأثواب . وإن غلبت شروره حسنته بقي
 العقاب في جهنم . ومُصّرر هذا الحساب الدقيق يكتمل الميزان لأنها إذا
 عودت معادة دقيقة لم تبخس الوزن شيئاً

ب - الميزان والندرة ، قال الله تعالى في سورة يونس : (وما تكون)

(١) محاضرات في تزيح العرب لصالح العلي : ٩٤

(٢) التاريخ الجغرافي ٥٠

(٣) المصباح ٦ ، ٢٢١٣ ، و : طر أيضاً المخصص ١٢ ، ٢٦٣

(٤) سورة المظفين ٨٣ : ١ ٣

في شيء ، وما تتلو منه من قرآن : ولا تعدلوا من عمل إلا كننا عليكم شهداء ، اذ تفيصون فيه وما يعرب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، ولا اصفر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (١) . وقال الله تعالى ايضاً : (يومئذ يصنف الناس أشنأتهم ليرؤوا أعمالهم من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٢) :

فاعمال الانسان مهما كانت صئيلة يجدها امامه يوم القيامة ، ويحاسب عاينها ان كانت خيراً او شراً ، وقد صورت هذه الدقة بمثقال الذرة . والظاهر ان المثقال من معايير الاوزان الصغيرة وقد ذكر الجوهري انه (واحد مثاقيل الذهب) (٣) . ومن الصعوبة بمكان ان نحدد مقدار هذا الوزن ، لانه اختلف باختلاف البيئات والارمان (٤) . ولهم في هذا انه اطلق مثلاً في الصغر والفضالة (٥) . ولا يهمنا كون المثقال من معايير الاوزان التي استعملها البيزنطيون في امبراطوريتهم كما ذهب بعض الباحثين (٦) انما المهم في ذلك ان المثقال كان معروفاً في بلاد الشام ، وانتشر بين العرب ، وخاصة في البيئة المكعبة على اعتبارها مركزاً دينياً ، وممراً للقوافل التجارية (٧) . مما يعطينا صورة لشبوع استعمال المعايير عندهم

(١) سورة يونس : ١٠ : ٦١

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ : ٦ - ٨

(٣) الصحاح ٤ : ١٦٤٧

(٤) انظر اغاثة الامة : ٤٩

(٥) الصحاح ٤ : ١٦٤٧ ، وانظر ايضاً ديوان الشماخ : ١١٥

Ency Of Islan. II . P . 1023 (6)

(٧) انظر محاضرات في تاريخ العرب : ٩٤ وقد ذكر المثقال في الشعر مثلاً

في الملوحة ، انظر البيان والبيان : ٣ : ٣٧٤ ، مجالس ثعلب : ١ : ٤٢٣

ثم فهمهم للآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الموازين والمعايير .
وقد فسر المفسرون مثقال الذرة بأنه زنة ذرة ، واقتران المثقال
بالذرة يعطينا صورة أوضح للدقة المقصود ببيانها في الآيات الكريمة ، لأن
الذرة هي الحملة كما قال المفسرون (١) . وكذا قال اللغويون (٢) .
وخصوها بأصغر النمل .

وهناك من فسر الذرة بأن (كل جرم من أجزاء الهباء في الكوة
ذرة ، وفيه دليل على أنه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره ، أو
زاده في العقاب لكان ظمناً ، وأنه لا يعمل له لاستحالته في الحكمة) كما
قال الزنجشيري (٣) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٤) .

واقتران المثقال بالذرة يعطينا صورة للدقة والعدالة الثابتة التي لا تترك
للمرء حسنة قام بها في حياته الدنيا دون مجازاة ، ولا سيئة إلا ومحاسب
عليها ، وقد قيل لعائشة رضي الله عنها وقد تصدقت بحبة عنب ،
أن تصدقين بحبة عنب ؟ قالت : ان فيها لمثاقيل در (٥) . ويصور لنا هذا
القول دلالة كلمة الذرة في ذهن العربي ، وكيف ان حبة العنب الصغيرة
فيها مثاقيل عديدة من الدر . وفي حديث الجاحظ عند ذكر قوله تعالى
(فَتَنَّا يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

(١) تنوير المقياس : ١٣٥ ، تفسير الخمسمائة آية : الورقة (٩٣) ، حجار

القرآن ١ : ٢٧٨ ، جامع البيان ١١ : ١٣ ، التبيان ٥ : ٤٦٠

(٢) محاليس ثعلب ٢ : ٤٧٥ ، جمهرة اللغة ١ : ٧٨ ، الصحاح ٢ : ٦٦٣

مقاييس اللغة ٤ : ٣٤٣ ، أساس البلاغة : ٢٩٦ ، لسان العرب ٥ : ٣٩١

(٣) الكشف ١ : ٣٩٧

(٤) مقاييس اللغة ٢ : ٣٤٣ ، لسان العرب ٥ : ٣٩٠

(٥) الحيوان ٤ : ٣٢ ، ثمار القلوب ٣٤٩

دَرَّةٌ تَشْرَبُ بَرْدَهُ (١) . قال : (وكان ذلك دليلاً على أنه من لعبات
في الصغر ، ونقطة ، وفي حصة النور وفيه الرحمان) (٢) وقال ثعلب
بن مائة منها وزن حبة من شعير فكأنها جزء من مائة (٣) .

ومن هذا يتبين لنا صورة الدرة ، وأنها انصقت على صغار الأشياء
من النمل والتراب الدقيق الخ ، ولا يوجد بين أيدينا من مصادر ما يشير
إلى استعمال العرب درة أو اسم أساساً مادياً للموازاة بين
لأشياء ، ومعادلتها ، إلا أنه يمكن تحول تأنيدهم ، عند استعماله ، في الموازنة
بين الأشياء الدقيقة خفياً . لأنهم صرخوا مثقال الدرة مثلاً في القلة
واحدة (٤)

ومما يدل على أن مثقال الدرة في الآيات الكريمة صرب مثلاً للدقة
الثابتة في حساب يوم القيامة هو ورود آيت كريمة أخرى في غير مجال
يوم القيامة . صرب بها مثقال الدرة مثلاً بدقه والنصاة ، فالآية التي
يدعوها ، المشركون لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض (٥) ،
وهذه الدقة نفسها صورت بتعبير آخر اقترن بالمثقال أيضاً . قال
الله سبحانه وتعالى : (وَتَضَعُ الْمَوَاقِينَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تُفْطِنُ تَمْشِي شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ بِمِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدٍ أَنْتُمْ بِهَا
وَكُفَى بِهَا حَامِسِينَ) (٦) . ثم تكتف الآيات المذكورة بذكر الموازين العادية

(١) سورة الزمر ٩٩ ٨

(٢) الحجاب ٤ : ٣٨

(٣) ثمار النور : ٣٤٩

(٤) ن . م

(٥) سورة ساء ٣٤ ٣

(٦) سورة الأعداء ٢١ ٤٧

التي توزن بها أعمال العباد . انما ضربت حبة الخردل مثلاً لدقة القضاء وعدائته . وحبة الخردل معروفة كما يقول الجوهري (١) . ومن كلمة الخردل جاء استعمال مادي آخر وهو قورهم "حُرَدَلْتُ" للتحم اذا قَطَعْتُهُ قِطْعَةً (٢) وقد اس ورس معصرا العلاقة بين التعبيرين ("حُرَدَلْتُ" اللحم : قَطَعْتُهُ وقَرَقْتُهُ . والذي عندي في هذا انه مشبه بالحلب الذي يسمى الخردل) (٣) .

ومن الواضح ان هذا التطور الحليد لمحي الكلمة جاءها نتيجة لصغر حبة الخردل ومن هنا صرت مثلاً في الصغر والصفاة كما هو الحال مع الذرة (٤) :

ومع ان المصادر العرس لا تشير الى استعمال حبة الخردل في الوزن - كما هو الحال مع الذرة - من المحتمل ان يكون العرب قد استعمالوها عياراً صغيراً للموزنة بين الاشياء الدقيقة . وصرت الآيات الكريمة حبة الخردل مثلاً لدقة الحساب والموزنة من اعمال البشر

ومن هنا نتضح لنا الصورة المتعددة الجوانب التي تعكسها لنا الآيات الكريمة في تصوير الحساب الدقيق ليوم القيامة . وذلك انه حساب عادل لا يقلل للكافرين وساطة احد ، ولا تقبل منهم عذبة ، ولا عدل ، لان

(١) الصحاح ٤ : ١٦٨٤

(٢) جوهرة اللغة ٣ : ٣٣٠ ، وانظر أيضاً الصحاح ٤ : ١٦٨٤ . لسان

العرب ١٣ : ٢١٥

(٣) مقاييس اللغة ٢ : ٢٤٩ ، وانظر أيضاً :

Arabic English Lexicon Book 1 Part 2 P ٢٤١

(٤) اوحشيات : ٢١٦ . الحماسة البصرية الورقة ٢٦٨ (أ) الاشياء

والنظائر : ٣٦

كل انسان محاسب على ما قدم وأختر في حياته ، ويوازن بين أعماله موازنة دقيقة عادلة ، يضاف الى ذلك جوارح الانسان كشهود (١) عدل تشهد على ما اقترعه في الحياة الدنيا . ولا نظم نفس شيئاً ، ولا يضيع عمل احد أبداً .

٣ - نتيجة القضاء :

بعد ان توارن اعمال الناس ، ونفاس حسناتهم وسيئاتهم تظهر نتيجة القضاء العادل ، ومعركة الاسان لقضاء الله فيه صور بتعبير قرآني رائع له دلالاته علي البيئة العربية ، والتذكير العربي ، الى جانب تعبيره عن الغرض الأصلي المراد منه بيان العدالة المطلقة لحساب يوم القيامة .

فالمؤمن يستلم نتيجة اقضاء يكتبه بأخذه بيده اليمنى ، أما الكافر فإنه يستلم كتابه بيده اليسرى قال الله تعالى : (يَوْمَ تَدْعُو كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ، مِنْ أَوْثَىٰ كِتَابَتِهِ يُمِيمُهُ ، فَلَوْلِكَ يَفْرَأُونَ كِتَابَهُمْ ، وَلَا يُظَنُّمُونَ فِتْيلاً) (٢) . وعند استلام الانسان كتابه بيديه تأخذه الفرجة ولا يستطيع كتابها فيبادي الناس حوله ان تعالوا شاركوني فرحتي وقرأوا نتيجة قضاء ربي اما الكافر فلا حاجة له بقراءة كتابه لان نيته معروفة ما دام قد استلمها بيده اليسرى . وفي سورة الحاقة تقرأ مشاهد عديدة ليوم القيامة حيث يحاسب الناس بعد الميعاد فمن استلم كتابه يمينه يجود النعيم والثواب ، ومن استلمه بشماله يجحد العقاب والعداب : (قَادِرٌ يُفْجِحُ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ، وَحُجِمَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ، هَيَوْمَئِذٍ وَقَّعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ

(١) انظر سورة فصلت ٤١ : ٢٢

(٢) سورة الامراء ١٧ : ٧١

فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ، وأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤُم اقرؤا كتابه ، الي طَشَّتْ الي مُلَاقٍ حسابيه فهو في عيشة راضية ، في حجة عالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابه ، ولم ادِر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية . حذوه فعوة ، ثم المحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه (١) .

وهذا التعبير نفسه اطلق اسم اهل اليمين على المؤمنين الذين فاروا رضى الله وثوابه اما الكافرون فقد اطلق عليهم اهل الشمال قال الله تعالى : (واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سُدْرٍ مَّغْصُودٍ ، واطلع تَصْغُودٍ ، وظل ممدود . . . واصحاب الشمال ، ما اصحاب الشمال ؟ في تَصْغُودٍ وَحِيمٍ ، وظل من بحموم ، لا بارد ولا كريم) (٢) . وقد عمل بعض المفسرين مس تسمية المؤمنين باصحاب اليمين ، وتسمية الكافرين باصحاب الشمال فقال بعضهم لان الطائفة الاولى تستلم كتابها بيمينها ، والثانية بشمالها (٣) او انهم يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار (٤) . او يعني به اصحاب اليس والبركة والثواب من الله تعالى واصحاب المشأمة معناه الشر والنكد وعقاب الابد (٥) .

(١) سورة احاقة ٦٩ : ١٣ - ٣٢ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٤٤ ، واطر ايضا سورة المدثر ٧٤ : ٣٩ .

(٣) توير المقياس : ٣٣٨ ، تفسير التستري : ٩٧ .

(٤) جامع البياك ٢٧ : ١٧٠ ، التبيان ٩ : ٤٨٩ .

(٥) التبيان ٩ : ٤٨٩ .

والمرء ان يتساءل - لماذا اصبحت اليمين دليل الخير ، والسعادة ،
والشمال دليل الشر والعقاب المستظر ؟ حتى اذا تسلم الاساس كتابه عرف
تدحية قصاء الله فيه من اليد التي يستلم بها كتابه .

اقد ذكر الزمخشري توجيهها ادبا لهذه التسمية فقال مصيفا الى ما سبق
ذكره من تعليل تسمية اهل اليمين واهل الشمال بقوله : (واصحاب المشأمة
لدين يؤثرونها شمائتهم او اصحاب المثرة انسية ، واصحاب المثرة اندية ،
من قولك : فلان مني باليمين ، وفلان مني بالشمال ، اذا وصفتها بالرفعة
والصفة ، وذلك لتيمهم باليمين ، وتشؤمهم بالشمال ، ولتفاضلهم بالسبح
وقطارهم من المرح ، ولذلك اشتقوا اليمن من اليمين ، وسموا الشمال
الشؤمى . وقيل اصحاب الميمة ، واصحاب المشأمة ، اصحاب اليمن والشؤم ،
لان السعداء يمينين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائمين عليها بمعصيتهم) (١)
ومن هذا التعليل الاخير الذي يرى ان اهل اليمين سموا بذلك ، لانهم
يمينين على انفسهم ، وبالعكس اهل الشمال ، من هذا التعليل نعود الى
المكرة الاولى في اطلاق اليمين على الخير ، والشمال على الشؤم ، ذلك اما
اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا فيها صدى الايات الكريمة وانحاز في تفكير
العربي ومثله فالتشؤم والتماؤل لعبا دورا مهما في تفكير العربي ، وتروحيه
تصرفاته ، واعماله ، واسبأ باليمين والشمال لانهما موطن بحشا .

واول ما يتبادر الى الذهن هو فكرة الرجز (٢) ، ذلك انهم كانوا

(١) الكشف ٣ : ١٩٣ ، وانظر ايضا تفسير التستري : ١٢١ .

(٢) انظر حول فكرة الرجز الحيوان ٣ : ٤٣٨ فما بعدها ، الزينة الورقة

٢٥٢ (أ) ، زهر الاداب ٢ : ٤٩٠ فما بعدها ، وقد ذكر ابن الديم الكتب المؤلفة

في الفأل والرجز وما اشبه ذلك . انظر المهرس ٤٥ ، وانظر ايضا تاريخ العرب

بلواد علي ٥ : ٣٢٨ .

يصيحون على الظائر و الطي اذا مر بهم ، فان انحرف الى جهة اليمين
تقاءوا به وهو الساع ، وان حرف الى جهة اليسار تشاءموا منه وهو
البارح (١) . وقد ذكر بعضهم (٢) اختلاف القبائل العربية في التناؤل ،
والتشاؤم من البارح ، والساع . وانس هذا الاختلاف أهمية كبيرة فيما نحن
بصدده ، فانقرآن الكريم نزل بلسان قريش ، وتعايرها ، واكثر ما وردنا
من الشعر يمثل لنا الناحية الاولى في التفكير العربي : وهي التناؤل من
الساع ، والتشاؤم من البارح . قال زهير بن ابي سلمى :

فَلَمَّا أُنْ تَحَمَّلَ أَهْلُ لَيْلِي جَرَّتْ نَيْثِي وَتَبَسَّهْمُ الطَّيَّاءُ
جَرَّتْ مَسْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجْرِي سَوَى مَشْمُولَةٍ فَهِيَ الْفَاءُ (٣)

وهناك تعديل لطيف أشار اليه المرد لمكرة التناؤل من الظائر إذا مر
الى جهة اليسار . والتشاؤم منه إذا مر الى جهة اليسار قال : (والعرب
ترحروا على الساع وتبرك به . وتكره البارح ، وتشاءم به .) (والساع ما
أراك مياسره فأمكن صدته ، والبارح ما أراك يمدنه فلم يتمكن الصائد إلا أن
ينحرف له) (٤) . وذكر ابن الأثير هذا التعديل مفصلاً به : (والساع
ما مر من العير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تبتغي منه
لأنه أمكن للرمي ، والصيد . والبارح ما مر من يمينك الى يسارك والعرب

(١) حمزة اللمعة ١ : ٢١٦ ، المصحح ٢ : ٦٦٨ ، مقاييس اللغة ١ : ٢٣٩ ،

اساس البلاغة : ٣٩٤ .

(٢) حمزة اللمعة ١ : ٢١٦ . المعاني الكبير ١ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً :

Ency . Of Religion . Vol . 4 . P . 816 .

(٣) شرح ديوان زهير : ٥٩ ، وانظر أيضاً شرح ديوان لبيد : ١٤٤

ديوان عنتره : ٤١ ، ديوان حران العود - ٣ ، ٥٣ ، ديوان الحماسة - ١٧٩ .

(٤) الكامل للمبرد ١ : ٢٧٦ .

تطير به ، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تحرف (١) .

وينبغي لنا من هذا التعليل اللطيف مدى تأثير البيئة على تمكيد الإنسان وسلوكه مثل الحياة . فالبيئة العربية شجيرة المواد المعدنية ، مفتقرة الى ما يقوّم حياة البدوي فهمته ان يحوب الغياي بتابع طياً ، أو يخزن طائراً ليحصل على ررق يومه فاذا تمكّن من صيده فنلك فرحته وغنيمة يرجع الى أهله مسروراً ، وإن لم يتمكن من صيده رجع خائفاً ومن هنا جاءت فكرة تغوّله ، وتشاؤمه ، لأن مرور الطائر الى يمين الصائد معناه التمكن من صيده ، وبالعكس ان ابتعد الى جهة اليسار ، فانه بذلك يتبعد عن سلاح الصيد الذي يُحتمس عادة بايد اليمنى . فبعت الطائر من صائده .

هذه هي الفكرة الأساسية للتعاؤل من السانح ، والتشاؤم من انارح أو بالأحرى فكرة اليمين والشمال . وقد طلت هذه الفكرة عالقة في ذهن العربي حتى في الحالات التي لا يروم فيها الصيد ، وأصبح يستدل من حركات الحيوانات على ما يستقبله من خير أو شر ، كما كانت حاله من قبل مع صيده إذا مرّ الى اليمين ، أو الشمال (٢) .

وينبغي مما مرّ لنا أن يدي الإنسان هما الأساسان الأصبيان في ظهور فكرة التعاؤل ، والتشاؤم . وكون اليد اليمنى هي القوية التي تعين الإنسان على صيده هو الذي أوحى لهم بالتعاؤل من الطائر ، أو الطي إذا مرّ

(١) النهاية في غريب الحديث ١ : ٨٥ .

(٢) انظر شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٠ - شرح اشعار المهذبيين ١ : ٤٢ . المعاني الكبير ١ : ٥٦٦ . حمرة اشعار العرب : ٤٣ . وانظر أيضاً المخصص ٦ : ١٩٥ ،

سائحاً ، ومن هنا أيضاً جاء إطلاقهم اسم الشؤمي على اليد اليسرى (١) .
وقد ورد ذكر اليمين في القرآن الكريم دالة على القوة ، وذلك في
قصة النبي موسى (ع) (فتولوا عنه مُدْبِرِينَ ، فَرَاخَ إِيَّاهُتِهِمْ* .
فَقَالَ : أَلَا تَأْكُلُونَ ؟ مَا لَكُمْ لَا تَنْتَقِفُونَ فَرَاخَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بَالِغِينَ) (٢)
فقد اقترن الصرب في الآية الأخيرة اليمين ، لأن فيها القوة وشدة البطش
فأحمرنا في الآية عن شدة ضربه . وانما ذكر اليمين لأن قوة كل شيء في
ميامنه (٣) . وقال تعالى أيضاً : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوِيلِ ،
لَأَحَدْنَاهُ مِنْهُ الْيَمِينَ* . ثم لَقَطَطْنَا مِنْهُ الْخُبْرَ (٤) .
ومن ثم اقترنت دلالة اليمين في الدهن العربي على الخير ، والبركة ،
لأن مركز القوة ، واسيطرة الملك تشكلان عماد حياة العربي في بيئته
المتحصنة ، المتطامنة ، فإذا أرادوا بيان مكانة الرجل عندهم قابوا : انه
بمنزلة اليمين ، وبمعكسها إذا أرادوا تحقيره قالوا هو عنزلة الشمال ، قال ابن
الديمية (٥) :

(١) المحصن ٢ : ٣ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) عجاس ثعلب ٢ : ٤٦٩ . وانظر أيضاً اسرار السلافة : ٤٠٢ .

الخصائص ٣ : ٢٤٩ . تلخيص اليسان : ٢٨٧ . انكشاف ٣ : ٣٩ .

متمشبات القرآن ١ . ٨٠ . وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٩٧ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٦ .

(٥) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من حشعم ، واندمية أمه ، شعر
بلدوي كان دقيق الشعر ، وهو من شعراء العصر الأموي ، اعتاله مصعب بن عمر
السلولي ، وهو عائد من الخرج نحو سنة ١٣٠ هـ . انظر معجم الشعراء : ٤٠٢
والأخاني ١٥ : ١٤٤ .

أَبْنِي أَلِي يُنْتَفِي بِتَدْلِكِ حَنْعَلْتِنِي فَأُفْرَحُ أُمَّ صَبْرَتِي فِي شَمَالِكِ (١)

أَي هَلْ أَمَا مِنَ الْمُقْدَمِينَ عَدَدُكَ أُمِّ مِنَ الْمُؤَحَّرِينَ ؟

ومن مجموع هذه الدلالات اشتقوا من اليمين اليُسْن للدلالة على الركة والخسِر ، فاذا امدحوا شخصاً قالوا عنه انه ميموب (٢) ومن هنا يرى أن التعبير القرآني المعجز يعطي من الصور والابحاث ما تعجز عن التعبير عنه صفحات طويلة .

(وأماً من أوتى كتابه ، يَمْنِبُهُ فيقول : هاؤُم اقرأوا كتابيه ، ابي طَسَنْتُ اِسِي مُلَاقِ حِسَابِيهِ ، هُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ .
وأماً من أوتى كتابه بشأليه ، فيقول . يا تَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيهِ ، وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيهِ ، يَا بَيْتَهَا كَاتِ الْعَاصِيَةِ ... خَلَدُوهُ فَعَلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلَّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسَلَةٍ دَرَّعُهَا مِعْوَنٌ دِرَاعاً فَاَمْسُكُوهُ) (٤) والآيات الكريمة لم تَمُصِّلْ فِي كَيْفِيَةِ مَعْرِفَةِ النَّاسِ نَتِيجَةَ قِصَاةِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا عَرِضَتْ فِي تَعْبِيرِ جَمَاعٍ لِكُلِّ الصُّورِ وَالْإِنْجَاحَاتِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا الْعَدَمُ الْعَرَبِيُّ لِلْيُسْنِ ، وَالرَّكَّةِ وَالشُّؤْمِ ، وَاشْر . فاذا أردنا المعنى لعمام المقصود من الآيات الكريمة وهما أنه سبحانه وتعالى يمد أن يقضي بين الناس قصاء عادلاً ينقسم الناس الى قسمين نتيجة أعمالهم فإذا كانت حسنة رضي الله عنهم وأثابهم وإن كانت سيئاتهم كثيرة بنسوا . لما ينتظرهم من العقاب ، والعذاب هذا المعنى نجد في الآيات الكريمة محلى باطار من الصور ، والابحاث

(١) ديوان ابن الدمينية : ١٧ .

(٢) وقد وردت هذه الفكرة في بعض الأساطير العربية انظر تاريج

العرب للأصمعي : ١٤ ،

(٣) جهرة اللغة ٣ - ١٨١ . لسان العرب ١٧ : ٣٥ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٢٢ ، ٢٤ - ٣٢ .

العائقة في الدهر العربي في التيمن من اليد اليمنى والتشاؤم من اليسرى ،
واطلاق اليمين على البركة والشمال على الشر والشؤم .

ومن هنا نستطيع أن نجتمع كل المعاني التي ذكرها المفسرون في
تسمية أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال . فأصحاب اليمين هم المفضلون ،
لأنهم يثابون لأعمالهم الحسنة في الحياة الدنيا وهم أيضاً ذوو المنزلة الحسنة
والمكانة المرموقة عند ربهم بعكس أهل الشمال .

هكذا نعرض الآيات الكريمة نتيجة القضاء بين الناس ، وإن المؤمنين
— أصحاب اليمين — يلقون العيم والثواب ، على حين يلقى الكافرون — أصحاب
الشمال — العقاب والعذاب .

الفصل الخامس

العقاب

- ١ - عذاب النار
- ٢ - تسميتها
 - أ - جهنم
 - ب - اهاوية
 - ج - الحميم
 - د - السعير
- ٣ - هيب النار
- ٤ - شررها
- ٥ - شراب اهل النار
 - أ - الحميم
 - ب - الصديد
 - ج - المهل
- ٦ - طعامهم
 - أ - الصريع
 - ب - ارقوم
- ٧ - صنوف اخرى من العذاب
 - أ - السلاسل والاغلال
 - ب - طلاء القطران

عذاب النار :

بعد ان يحاسب الناس حسبا دقيقا ، ويقصى بينهم ينتقسمون الى فريقين : فريق المجرمين حيث العقاب والار ، وفريق المؤمنين حيث الجنة والثواب . وفي المقابلة بين الصورتين يتجلى الاعجاز القرآني في تصوير البؤس الشاسع بين عقاب المجرمين ، ونعيم المؤمنين ، وكلتا الصورتين تشير في النفس احساسين وصورا شتى تتراءى فيها ملامح البيئة العربية واضحة كل الوضوح ، كما نجد فيها صوراً انسانية واخرى بالحياة . يقرأها المرء فيصرع من صور العذاب ، ثم يعود ليطمئن ، ويرتج عند قراءته لآيات النعم . قال الخطابي داكرا بلاغة القرآن وتأثيره السحري في النفوس (فادك لا تسمع كلاما غير القرآن مطوما ، ولا مشورا ، اذا قرع السمع خلص الى القلب في اللذة ، والحلاوة في حال ، ومن الروعة ، والمهابة في اخرى ما يخلص منه اليه ، تستشر له النعمس ، وتشرح له الصدور ، حتى اذا حدث حظها منه ، عادت مرتاحة ، قد عراها الوجيب ، والقلق وتغشاها الخوف والفرق ، نقشعر منه الخلود ، وترجع له القلوب ...) (١) . قال الله تعالى : (فاما من اوتي كتابه يمينه فيقول هاتوا كتابي اني صنت اتي ملاق حسابه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دابة تكاوا واشربوا هنيثا بما اسلمتم في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول : يا ليتني لم اوت كتابه ، ولم ادر ما حسابه ، ياليتها كانت القاصية . ما اعنى عني ماليه ، هالك عي سلطانيه ، خذوه معاهه ثم الحميم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون

(١) رسالة في بيان اعجاز القرآن ٦٤ .

ذراعاً فاسنكوه^١ ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . (١) انه الاعجاز
القرآني الرائع الذي يتغل النمس في لحظات متعددة من الهدوء الشامل ،
والنعم الرائع ، تناسب فيه ، وتأمله باعجاب ، الى الخوف الرهيب والعذاب
الموجع ترتاع منه ، وتتصدع خوفاً وعلماً قصور النار ، وعدايبها الرهيب
قد ادهلت المسلمين من عرب واعاجم ، كما ادهلت عبر المسلمين ، فراحوا
يبحثون عن تعليل يعطون به الرهبة العظيمة التي تثيرها التعابير القرآنية في
وصف نار جهنم ولظاها :

لقد عال المتكلمون ترهيب زرادشت لأصحابه ، وتوعده لهم بعقاب
الثلج دون النار بان زرادشت كان من اهل بلخ ، وهي منطقة لم يعرف
سكانها (الا الادى بالبرد ولا يضرربون المثل الآله ، حتى يقوى الرجل
لعهده لئن عدت الى هذا لآزعن^٢ علك ثيابك ، ولاقيمتك في الربيع ،
ولاوقمتك في الثلج . فلما رأى موقع الرد مهم هذا الموقع ، جعل
الوعيد بتضاعفه ، وضمن ان ذلك اذجر لهم عما يكره (٢) .

وهذا التعليل صادر عن فكر عميق عارف باثر البيئة ، واهميتها ،
بالنسبة لتفكير السكان ، وطبيعي ان يناقش الطوبى وعيرهم عذاب نار
الآخرة في القرآن الكريم من هذه الوجهة ايضاً ، فقال بعضهم : (جعل
ايضاً صاحبكم انما توعده اصحابه ، لان بلادهم ليست ببلاد ثلج ، ولا دمع
وانما هي ناحية الحرور ، والوهج ، والسموم ، لان ذلك المكروه ارجر
لهم) (٣) وقد رد الجاحظ على هذا الادعاء بان العرب لم يعرفوا السموم

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٣٤ .

(٢) الحيوان ٥ : ٦٧

(٣) د . م ٥ : ٦٩ واللمق : الثلج مع الريح يفضى الانسان من كل أوب

حتى يكاد يقتل من يصيبه .

والوهج القاتل محسب ، إنما عرفوا التطرف المناخي في بيئتهم من حر ،
 وبرد . قال . (فقلت له : ان أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر
 في الصيف ، وشدة البرد في الشتاء ، لاها بلاد صحور ، وجبال .
 ولصخر يقل الحر والبرد ، ولذلك سميت الفرس بالعارسية العربية والاعراب
 « كهياك » والكه بالعارسية هو الجبل ، فهي احببت ان تعرف مقدار برد
 بلادهم في الشتاء ، وحرها في الصيف ، فانظر في اشعارهم ، وكيف
 قسموا ذلك ، وكيف وصموه ، لتعرف ان الخاليتين سواء عندهم في
 الشدة ...) (١)

ورد الجاحظ هنا مفحم للزرادشتية ، ومن ينهب مذهبهم ، لان
 اسار التي بصفتها الله سبحانه وتعالى في قرآنه انكريم لم يصعها عقابا للعرب
 فمحسب وانما هي عقاب وترهيب للشرية جمعاء ، يرهب منها الناس الذين
 عدوا لعل الحر الشديد ، كما يرهب منها من لم يعاني الحر ، لانه عرفها
 من الوجهة الثانية حين اتخذ النار وسيلة للتدفئة وقت البرد .

ونجد مصداق قول الجاحظ في تأمل مناخ البيئة العربية المتطرف ،
 ذلك لان العرب عرفوا التطرف المناخي في بيئتهم ، وساعدتهم هذه المعرفة
 على تصور لصور الرهبة لعذاب الاحرة لانهم عانوا بعض جوانبها أيام
 الحر والسموم ، كما ساعدتهم أيام البرد الشديد على معرفة النعم الرائع الذي
 وعد به المتقون في حنة معتدلة الهواء ، وازمة الطلال .

وقد وصفت معظم اقاليم الجزيرة العربية بشدة الحر ، والسموم
 المؤذية (٢) . وفي الاحاديث النبوية الشريفة ما يعكس شدة الحر التي
 كان المسلمون يعانونها في بعض المواسم حتى امر الرسول (ص) بتأخير

(١) الحيوان ٥ : ٦٧

(٢) احسن التقاسيم : ٩٥ ، آثار البلاد : ٨٦ .

صلاة لظهر الى ان نمر الهاجرة لاما كما نقول : (شدة الحر من يـح جهنم) (١) .

اما شدة الحر في مكة فيعكس حديث بوي احمر وهو قوله (ص) (من صبر على حر مكة تباعدت منه جهنم مائة عام ، وتقربت منه الجنة مائتي عام) (٢) ، وعدم تحديد النبي (ص) لمدة الصبر يزيد في تصوير شدة الحر ولظاه في مكة .

وكذلك صفة اديبة وحرها التي يكون فيها النبي (ص) شقيعا لمن يصبر على لأواءها (٣) .

اما في الشعر لعربي فاننا نجد فيه صور الحر يعرضها الشعراء بدقة وتفصيل لا نجدوها في المعاجم الجغرافية فقد وصروا سيرهم وقت الهاجرة ، وكيف ان شدة الحر تجاور أداهم الى ادى حيواناتهم . فالدقة بصيها اهزال (٤) . وتختصر الظماء والثيران كُنُسا تنقي فيها لفتح الهاجرة (٥) ووصلوا في وصف صورة الحيوانات حين ترى من ادى الرمضاء كالصواب (٦)

(١) لوطاً ١ : ١٦ ، سنن ابى داود ١ : ٩٦ ، الجامع الصحيح ١ : ٢٩٥

(٢) مختصر البلدان ١٧ ، معجم ابدان ٤ : ٦١٩ .

(٣) مسند الامام احمد ٢ : ١١٣ ، ١١٩ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧ . وانظر

ايضا اثار البلاد : ١٠٨ ، ولاء النور ١ : ٤ فلما بعدها .

(٤) نظر ديوان الشهاج : ١٣ .

(٥) ديوان طرفة : ٣٨ ، ديوان صميم : ١٥ ، ديوان الشهاج : ١٢ ، انفضليات

١٣٣ ، شرح القصائد : ١٦٢ .

(٦) انظر الحيوان ٦ ، ١٣٦ .

والجذائب (١) ، والحرباء (٢) ، بل نرى بعضهم يبالغ في وصف لميب
الحر فيقول عنه انه يكاد يشوى اللحم (٣) او ان ملاسهم تكاد تشتمل
لشدة لفتح الهاجرة (٤) .

ووصفوا ايام الحر باوصاف كثيرة واسماء عديدة (٥) على ان
شدة الحر هذه لا تؤيد قول من اعترض بان عذاب الآخرة كان بواسطة
انثار لان العرب اهل سموم ، وحر شديد ، ذلك لانهم مع معاناتهم الحر
الشديد ، فقد عاشوا البرد القارس في بيئتهم ايضا (٦) ، وذكره في
شعارهم - وان لم يبلغ مبلغ الحر في اذاه وشدة - وقد فسر بعض
المفسرين القساق الذي يسقاء اهل النار (٧) ، بانه السائل الذي لا يستطيعون
ذوقه بشدة برده (٨) مما يدلنا على انهم عرفوا اذى البرد كما عرفوا اذى
الحر ، وانهم فهموا ان البرد يمكن ان يكون وصيلة من وسائل التعذيب .
ومعرفتهم ببحر والبرد هو الذي ساعدهم على تصور عذاب القيامة ، وتخيل
نعيم الجنة .

(١) انظر ديوان كعب بن زهير ، ١٦ ، المفضليات : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، الملاحى
واسماؤها الورقة ٣٢ .

(٢) انظر ديوان امرىء القيس ٣٠٤ ، ديوان كعب بن زهير ، ١٤ ، ٢٥٢ ،
ديوان شعر ذى الرمة : ٤٧ ، اراجيز العرب : ١٠ ، الحيوان ٦ : ٣٦٦ .

(٣) المفضليات : ١٩٩ شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ .

(٤) ديوان القطامي : ٢٦ ، ٢٧ ، اراجيز العرب : ١٢١ .

(٥) العين : ١٥ ، الازمنة لقطرب : ٤٠ .

(٦) انظر الفصل السادس : الثواب بالجنة - ٢ - اعتدال جوها .

(٧) سورة ص ٣٨ ، ٥٧ ، النبأ ٧٨ : ٢٥ .

(٨) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشف ٣ : ١٨ .

ومما مر بما تبيّن لنا شدة الحرارة التي كان العرب يعانونها في بيّتهم
 ونما جاورت أذاهم الى اذى حيوانهم ، ودوابهم ومن ههنا يستطيع ان يتصور اي
 ابحاء رهيب ترسمه الآيات الكريمة في وصف هوى النار ، وعذاب فيها
 قال الله تعالى واصفا لظى السار المحرق : (يُبصرونهم يَودُ الْمُجْرِمُ لو
 يفتدي من عذاب يومئذٍ بَنَفْسٍ ، وصاحتهِ وأحبه ، وفصيلتهِ التي
 تُؤوبه ، ومَن في الأرضِ جميعاً ثم يُنجيه) ، كلاًّ لَهَا لظى ، نزاعاً
 للشوى ، تدعو من أدنى وتولى) (١) . انها صورة تعيد الى الذاكرة
 اذى الحر ولفح الماحرة حتى اذا تجسدت هذه الصورة جاءت الآيات
 القرآنية الكريمة لتزيد ابحاء الرهبة ، واللعن بان حر النار وعقابها لا يقارن
 بصورة من صور الحياة الديا ، ولا تدركه عقول البشر مهما تخيلته ،
 (سَأُصِيبُ سَقْرًا ، وما أدراك ما سَقْرٌ ، لا تُنْفِى ، ولا تَدْرُ لَوَاحَةٌ
 لِلشَّيْءِ) (٢) . وقال تعالى ايضا : (كلاًّ لَيَسْئَلُنَّ فِي السُّجُوطِ ، وما
 أدراك ما السُّجُوطُ ، بارُ اللهِ الموقدُ ، التي تَطْلُعُ على الأفئدةِ) (٣)
 انه استعداد للذهن من ان يتصور نار الآخرة كما يصفها الله سبحانه وتعالى
 ولكنه يستطيع ان يتصور بعض ملامحها فيما عاناه في حياته الدنيا من الاذى
 والعذاب ، ومما ترسمه الآيات القرآنية الكريمة من صور العذاب فى البيئة
 العربية .

(١) سورة المعارج ٧٠ : ١١ - ١٧ .

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٨ .

(٣) سورة الصمرة ١٠٤ : ٤ - ٧ .

٢ - تسميتها :

ورد تعبير النار في إحدى وعشرين ومائة آية في القرآن الكريم (١) عن أنها دار لعذاب التي يحس بها المحرمون يوم القيامة ، ويعذبون بها ، ولطأها الحرق . وقد سميت بعدة أسماء تجتمع كلها ، لترسم صورة العذاب ، الرهيبة . فقد أطلق عليها اسم جهنم ، واجحيم ، وهي نار الحريق (٢) ، واللقى (٣) وهي السعير وسقتر

أ - جهنم :

أما جهنم فقد اختلف المفسرون في أصلها ، فقال بعضهم أنها عربية وأنها مشتقة من قولهم سر جهنم ، لتعبد القصر (٥) . وقال بعضهم أنها عربية مأخوذة من التجهنم والتكثرة ، ويقال جهنم الوجه أي كرية الوجه (٦) .

(١) اطر المعجم المفهرس ٧٢٣ - ٧٢٥

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨١ . الاصل ٨ : ٥٠ ، الحج ٢٢ : ٩ ،

البروج ٨٥ : ١٠ :

(٣) لمعارج ٧٠ - ١٥ ، سورة الليل ٩٢ : ١٤ .

(٤) وقد وردت في سبع وسعين آية اطر المعجم المفهرس ٧٧ : ١٨٤ - ١٨٥

(٥) نظار الاشتقاق : ٣٥٤ ، جهرة اللغة ٣ : ٤٠٤ ، المحضص ١٠ : ٣٦ ،

لسان العرب ١٤ : ٣٩٦ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٩٢ ، الألفاظ

السريانية ، مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٦) الزينة : الرازي ٢١٢ .

أما نمرق الثاني فقد قالوا بأعجميتها ، واحتلوا في أصلها أيضاً ، فقال بعضهم أنها فارسية (١) . وقال آخرون بل هي سريانية (٢) . ويبدو أن أرجح الأقوال هو قول من قل بأنها عبرية لأصل قال يونس بن حبيب وقبل هو تعريب كهنتام بالعربية (٣) ، ويرى . كارادي . أن الكلمة مشتقة من اللفظ العبري حيبون ، أو وادي هيسوم (٤) وكان وادياً بالقرب من بيت المقدس تُقَدَّم فيه القرابين (٥) . ومع ترجيحنا كون جهنم عبرية الأصل ، فإنا نجد فيها دلالة واضحة للبيئة العربية ، وذلك أن الألفاظ الأعجمية حين تطلق على مسمياتها ، إنما تعكس سبب اختيار العرب لها ، وتنعكس لنا تفكير من أطلقها ، ودلالاتها في ذهنه . فجهنم حين عرفت في العربية بالوادي العميق ، وجد العربي فيها صورة لمظهر من مظاهر بنته ، ألا وهي صورة الآبار التي اعتمد عليها في حياته في جانب الأمصار فكان منها العميقة القعر ، وكان منها لصغيرة الضحلة ، فاستعار لفظة جهنم للدلالة على الشر العميقة (٦) ومن هذا جاء التعبير القرآني ليربط بين المعنى المادي المستمد من البيئة العربية وبين أصل الكلمة الذي عرفته العبرية بالوادي العمق ومعان الكلمة عبرية الأصل من الممكن أن تصبغ إلى معاصم قول من قال إنها عربية

(١) الصحاح ٥ - ١٨٩٢ . العرب ١٠٧ ، المفردات : ١٠١ .

(٢) الأنطاط السريانية . مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ ٣٤٥ .

(٣) انظر لسان العرب ١٤ : ٣٩٧ .

(٤) انظر الكلمة في قاموس الكتاب المقدس ٢ - ٤٥٤ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٧ : ١٩٥ ،

(٦) راجع الصفحة السابقة .

الأصل ، وأنها مشتقة من التجهيم والتكره (١) . ذلك لأن هذا المعنى يعطيا فكرة عن الصورة التي رسمها لعربي في ذهنه لجهنم . وكيف أنها شديدة على الكافرين ، تعظمهم ، وتأخذهم بقوة (٢) . وهي عميقة القعر بعيدة لأعوار ، يهوي فيها الخمر ، فلا يجد له قراراً ، وهو معنى ، رسمه تعبير قرآني آخر وهو :

ب - الهاوية :

قال الله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاصِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ؟ إِنَّهَا حَامِيَةٌ) (٣) . فقد قالوا في تفسير الهاوية لأنها سميت كذلك لأنها عميقة يهوي من يرى بها إلى قعرها العميق (٤) .

(١) راجع الصفحة السابقة .

(٢) وقد تعسف كارادي وفي شرحه لتصور المسلمين لجهنم حين زعم أن الرسول (ص) تمثلها في مصر الآيات على صورة حيوان . وهي في نظره أشبه نوحش هائل عر فاه ، وكشف عن أليابه وتأهب لالتهام المعصوم عليهم . انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة جهنم ٧ : ١٩٦ . وهذا تعسف من الكاتب لأن الاسلوب القرآني المعجز قد سار في معظم آياته خاصة في التهيب والترغيب - رسم صور مجارية تأثير الدهر ، وتبره هزاً ، وهي معانٍ لا يتركها إلا من عرف أمرار العربية ، وروعها في التعبير ، والمجاز .

(٣) سورة القارة ١٠١ : ٦ - ١١ .

(٤) انظر توير المقياس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،

الزينة ٢ : ٢١٢ ، التبيان ١٠ : ٤٠١ . وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن =

ودهب بعضهم شعبير الأم إلى معناها الحقيقي المشهور . روى الطبري عن ابن عباس قوله : (وإنما جعل النار أمّةً ، لأنها صارت مأواه ، كما تؤوي لمراةً ابنها) (١) . وقال ابن قتيبة (كانت الأم كافلة الولد وءديته ومأواه ، وقريته ، وكانت اسار للكافر كذلك ، جعلها أمّةً) (٢) . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى واصفاً الجنة والنار بالمأوى : (فأما من طمعى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الخسار هم المأوى ، وأما من خاف مقام ربه - وهى النفس عسى الموتى ، فإن الجنة هي المأوى) (٣) ، وكون جهنم بمنزلة الأم للكافر ، وإنها المأوى اعتمد في فهمها على استعمال لعوي وهو قوهم : هَوَتْ أمّه أي هلكت (٤) ، وهَوَتْ أمّه فهي مأوى أي ناكسة (٥)

ويمكن لقول أن هذا المعنى متطور عن المعنى الحسي الأول وهو السقوط والتردي لأن من يهلك أو نصيبه مصيبة تشكل له ، وفي ذلك هلاك لها لعظم مصيبتها . ونحن أبو حاتم ابرري تفسراً آخر وهو قوهم أن اسار = (مأوى ترجمة لكلمة شول العبرانية ، ومعنى هذه الكلمة في الأصل موضع الموتى ، وتوصف المأوى بالحق) انظر قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٤٥٨ ، ومع أن دلالة الكلمة في العبرية هي نصها في العربية إلا أن هذا لا يمي أنها أعجمية لأن دلالتها في العربية مشهورة ، واستعمالها اللعوي معروف . انظر الصحاح ٦ : ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠ : ٢٤٨ .

(١) تأويل مشكل القرآن ٧٧ ، انظر أيضاً جامع البيان ٣٠ : ٢٨٣ .

(٢) انظر جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، وانظر أيضاً توير القياس ٣٩٤ .

(٣) سورة النازعات ٧٩ : ٣٧ - ٤١ .

(٤) لسان العرب ٢٠ : ٢٥٠ .

(٥) الصحاح ٦ : ٢٥٣٩ ، وانظر لسان العرب ٢٠ : ٢٥٠ .

سحبت كدتك لأهم يهون فيها أبدأ (يعدون لا يستفرون ، ولا يجدون قراراً فهم يهون ، وهو مأخوذ من اخواء بين السماء والأرض ، كأهم أبدأ في الهواء لا قرار هم) (١) ويسدو ان التفسير الأول ، وهو أن الهدوية وصف النار الآخرة بأنها عميقة يهوي فيها المخرمون ، هذا التفسير ارجح التفسير الأخرى ، لأنه يفسجهم مع الوصف انعام للنار ، وكيف نها رهبة عميقة عميقة ، يهوي فيها المخرم فلا يجد لها قراراً ، وهو معنى ورد في اللغة حين قاوا . هوي في النار إذا سقط فيها وتردّى (٢) ومن انطبعي أن ينتشر هذا الاستعمال اللغوي نظراً لكثرة الأبر ، وما يطرأ للعربي في سيره في الصحراء من تعرضه الى انقوطة والزوال في حفرة ، أو بنر قادمة ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى : (ان المسافقين في الدرك الأسفل من النار وان تجد هم بصيراً) (٣)

ج - الجمعيم (٤) :

قد الله تعالى : (وادين كفروا بآياتنا اولئك اصحاب الجمعيم) (٥) وقال بصا . (فاما إن كان من المتقربين ، فروع وريحان وجنات عيم . واما إن كان من اصحاب اليمين ، وسلام لك من اصحاب اليمين

(١) الزينة ٢ . ٢١٢ .

(٢) الصحاح ٦ : ٢٥٣٨ ، سان العرب ٧ : ٢٤٨ .

(٣) سورة النساء ٤ : ١٤٥ .

(٤) وقد وردت في ست وعشرين آية انظر المعجم للمهرس ١٦٤ - ١٦٥

(٥) سورة المائدة ٥ : ١١ .

وأما إن كان من المكدين الصالحين ، فنزل من جحيم ، ونصبة جحيم (١)
والجحيم في الآيات السابقة . تعبير آخر وصفت به نار الآخرة لشدة تأججها
وحرها (٢) . من قولهم جَحَّتْ النارُ إذا اضطربت (٣) ، وحجر
حاحم إذا اشتد اشتغاه (٤) . قال الأعشى :

بُمَشْجَلَةٍ يَعْنِي الْمَرَّاشُ رَمَتْهَا يَبِيتُ غَا صَوءٌ مِنْ نَارِ جَاهِمِ (٥)
أي صوء نار متوقد شديد الحرارة . وقال قيس بن الخطيم :

وَصَدُقُ فِي الصَّبَاحِ إِذَا التَّقْيَا وَلَوْ كَانَ النَّصَاحُ جَحِيمَ جَمْرٍ (٦)
فقد اطلق الجحيم هنا على شدة الحر وانتهائه ، واستعاروا هذا
اللفظ في التعبير عن شدة الحرب واستعارها (٧) .

لفظة الجحيم تصور شدة الحر في البيئة العربية ، وتعكس لنا أهمية
البيئة في إيجاد التعابير والألفاظ ، وكيف أن شدة الحر جعلتهم يدبرون في
كلامهم تعابير عديدة تصف شدة الحر وانتهائه . ونسمية النار بالجحيم تشترك
مع التعابير الأخرى في رسم صورة هيب النار وعدائها الموجه

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٨٨ - ٩٤ .

(٢) جامع البيان ١ : ٥١٧ ، الرينة ٢ : ٢١١ ، التنبير ١ : ٤٣٧ المفردات .

٨٦ النهاية في غريب الحديث ١ ، ١٤٥ .

(٣) الصحاح ٥ : ١٨٨٣ ، المفردات . ٨٦ ، أساس البلاغة ١٠٩

(٤) جمهرة اللغة ٢ ، ٥٩ .

(٥) ديوان الأعشى : ٨١ .

(٦) ديوان قيس بن الخطيم : ٦١ تحقيق إبراهيم السامرائي .

(٧) انظر شرح ديوان الحماسة ٢ ، ٥٠٠ ، ٤ ، ١٨٦٢

د - السعير (١) :

قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى : (كُنْتُ عَلَيْهِ مِنْ تَوَلَاهُ ، وَأَسَدُ بَصِيئَةٍ ، وَبَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (٢) . وَفُسِّرَ السَّعِيرُ بِالنَّارِ الْمُوقَدَةِ (٣) : (بِلِ السَّاعَةِ مُوَعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَذْهَبِي وَأَمْرٌ إِنَّ الْمُخْرَمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ، يَوْمَ يُسَخَّجُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ "دُوقُوا مَسَّ سَقَرَ") (٤) وَفُسِّرَ بَعْضُهُمُ السُّعْرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرَّةِ بِالْخَرَقِ وَالْبِرَانِ . (٥) وَحَصَّ بَعْضُهُمُ السُّعْرَ بِالْعَاءِ (٦) فَقَطْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نَحْمَعَ هَذَيْنِ التَّفْسِيرَيْنِ بِأَنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ يَتَرَكَّهُمْ فِي عَاءٍ ، وَبَصَبٍ .

وهناك من فسر السعير بالخنون روى السجستاني : (سُعْرٌ مَجْمَعٌ سَعِيرٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبِيدَةَ وَقَالَ غَيْرُهُ . فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، فِي ضَلَالٍ وَخَنُونٍ ، يُقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ إِذَا كَانَ بِهَا جُنُونٌ) (٧) . وَقَالَ الرَّاشِدِيُّ (السَّعِيرُ الْجَنُونُ . يُقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ قَالَ :

كَانَ بِهَا سُعْرٌ إِذَا الْغَيْسُ مَرَّهَا دَرَبِيلٌ وَإِرْحَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعَبٌ (٨)

(١) وقد وردت في ست عشرة آية انظر المعجم المفهرس : ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) سورة الحج ٢٢ : ٤ .

(٣) توير المقياس : ٢٠٦ مجاز القرآن ١ . ١٣٠ ، جامع البيان ١٧ : ١١٦ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ٢٤١ ، جامع البيان ٢٧ : ١٠٩ ، الكشف ٣ : ١٨٦ .

(٦) توير المقياس : ٣٣٥ ، الفراء عن لسان العرب ٦ ، ٣١ : جامع البيان

١٠٩ : ٢٧ .

(٧) غريب القرآن ١٣٦ ، وكذا قول الفارسي في المحكم ١ : ٢٩٩ .

(٨) الكشف ٣ : ١٨٤ .

وكذا ورد معنى الشعر في كتب اللغة (١) . وتفسير الشعر بالجنون
 وقترانه بالفاقة المسفورة يثير الانتباه ، لأنه ابتعد عن معنى الحريق ولأنه
 اقترن بالفاقة التي اعتادها العربي وجعلها صديقتها في سيره الطويل فحبر كل
 حركاتها ، وسكناتها ، وعرفها في حالات مرضها ومحنها ، فإذا أصابها الشعر
 ركضت على غير هدى ، واسرعت في سيرها ، ومن هنا قرر بعضهم
 السُّعْر بالجنون في قوله تعالى . (ان المجرمين في ضلالٍ وسُعْرٍ) (٢)
 لأن المجرمين في النار يفقدون رشدهم ، وتعكبرهم ، لشدة العذاب وهول
 النار ، ويكفون في ضلال وحيرة ، فيشبهون بذلك الفاقة المسفورة التي
 أصابها الجنون ، فسارت على غير هدى . اهـ في المجال اللغوي فوجد ان
 الكلمة اصبقت في الاصل على اشتعال النار وشدة حرارتها (٣) ، فاد
 كانت ابرج شديدة الحرارة قوية - وهي التي يسمونها السموم - اطلقوا
 عليها اسم السُّعَار (٤) ، لأن شدة حرارتها شبيهة شدة حرارة النار ،
 واشتعالها . وإذا كان المسمومون لم يشعروا الى معنى السموم في تفسيرهم
 الآية الكريمة فاننا نهمس من دلالة الكلمة اللغوية ، ومن ورود السموم في

(١) انظر قول الخليل في المحصص ٣ : ٥٥ ، ٧ : ١٢٢ ، وانظر ايضا عريب

القرآن : ١٣٦ ، الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٣) جهرة اللغة ٢ : ٣٣٠ ، الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٧٥ .

الزينة ٢ : ٢٠٨ ، المحكم ١ : ٢٨٩ ، اساس البلاغة . ٤٤٠ ، النهاية في عريب
 الحديث ٢ : ١٦٢ ، وانظر الشجر في شرح ديوان زهير : ٢١٤ ، المتصليات ٨٤٠
 الوحشيات : ١٢١ .

(٤) الخليل عن المحصص ٩ : ٩٠ ، جهرة اللغة ٢ : ٢٣٠ ، الصحاح ٢ :

٦٨٥ مقاييس اللغة ٣ : ٧٥ ، المحكم ١ : ٢٩٩ .

القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى عذاب النار بأنه عذاب السوم ، حيث يفرح المؤمنون بحبهم من النار فيتبشرون بهم (وأقْسَلَ بعضهم على بعض يتساءلون : فأنوا أنّا كنا قبل في هذا مشفقين ، من الله علينا ، ووفانا عذاب السوم) (١) . وقال الله تعالى وأصمما أصحاب الشمال : (وأصمما الشمال ، ما أصحاب الشمال ، في سموم وحميم ، وطل من سموم ، لا بارد ولا كريم) (٢) لقد عانت البيئة العربية من لفتح السموم الحارة ما عانت ، ولم يقتصر أذاها على الإنسان بل جاوره إلى الحيوان ، فذكر ذئب الشعراء في أشعارهم ووصفوا الصور التي اعتادوها عند هبوب السموم ، واشتد الخ (٣) ، حتى إذا جاء التعبير القرآني وأصمما عذاب الكافرين : (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر أن المجرمين في ضلال وسعر ، يوم يستحقون في النار على وجوههم دوقوا من سقر) (٤) تذكر العربي اسماء وتمشت له لطاة الحارة فاستطاع أن يتصور الانبعاث الرهيبة التي توجبها الآية الكريمة في تصوير عذاب المحرمين .

وهناك معنى آخر للكلمة ، وهو فوضم إذا اشتد العطش والجوع . استعر : قال ابن السكيت (٥) (رحل مسعر وبه شعر أي جوع

(١) سورة الطور ٥٢ : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) انظر شرح ديوان بديع ١٠٢ : ديوان الشماح . ٨٣ ، المفصليات ١٨٢

شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ ، الخيال والامكنة : ٤٦ ، ذيل التوادر : ٢٠٧ الطرائف الادبية . ٦٢ معجم البلدان ١ : ١٥٥ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) ابن السكيت في المحصص ٥ : ٣٥ . وانظر ايضا جهرة اللغة ٢٣٠٠٢ =

وشهوة) . وقال الزمخشري ، (ومن الحزاز . وبه سعار وهو توهج العطش) (١) ، فكأن شدة العطش تلهب في خوف الانسان حرارة شهوها بالنار . ونستطيع ان نفهم هذا المعنى اللغوي في الآية الكريمة السابقة ، لان معنى العطش معنى عاشه البدوي في بيئته ، واحس به في اسفاره الطويلة ، حين يتشوق الى قطرة من الماء تروي ظمائه ، ومع انهم قالوا ان السعار شدة العطش او الجوع ، الا ان دلالة العطش على البيئة العربية اوضح من دلالة الجوع (٢) ومع ذلك يمكن اضافة المعنى الاخير الى التفسير السابقة لتجتمع صور العذاب والحرام في عذاب النار . فكل واحد من هذين التفسيرين عرّفنا اي اعجاز عظيم نعماءه كرامة واحدة هي تسمية نار المجرمين يوم القيامة ، لانها تجمع عدة صور رهبة عاشها البدوي في حياته وعانى من اذائها ما عانى . فيكون معناها ان المجرمين في صلال ، وحيرة من حر النار ، واطاها المؤذي . وتقلهم هذه الصورة الى صورة السموم الحارقة التي عاينوها في بيئتهم ، ومع عذاب النار يجمع الحرام من الماء والطعام ، بكل ما يحمله معنى العطش من معان رهبة ما دلالتها على النفس العربية . ثم هم فاقدو الوعي حائزون ، نائهنون يشبه حاسم حال الناقة المسعورة التي تركض على غير هدى ، وتسير الى غير اية ، هم حيارى ، عطاشى ، تلعثمهم السموم بحرها ، وتحرقهم النيران . طاهها كل هذه الصور بعكسها التعبير القرآني في تسمية النار ووصفها بالسعر (٣) .

= الصحاح ٢ : ٦٨٥ ، فقه اللغة : ٥١ .

(١) اساس البلاغة ٤٤ ، وانظر ايضا لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس - ٦ - طعامهم - ب - الزقوم .

(٣) انظر في هذا موضوع الاشتراك من اسباب البلاغة في التعبير في

كتب دروس في البلاغة : ١٩٧ .

هـ سقر :

وسقر اسم احر من اسماء النار التي يعذب بها الكافرون يوم القيامة .
قال الله تعالى : (سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ، وما أدراك ما سَقَرٌ ، لا تنقي
ولا تذرٌ ، لواءةً تلبسُ) (١) . وقال ايضا : (الا اصحاب
اليمين ، في جناتٍ ينسألونَ عن الخمرِ ، ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟
قالوا لم نك من المصلين .) (٢) وقال تعالى ايضا : (ان الخمريين في
أضلالٍ وسُعُرٍ ، يومَ يُسْحَبُونَ في النارِ على وجوهِهِمْ دوقوا مسَّ
سَقَرٍ) (٣) .

قال المفسرون في سقر انها علم من اسماء النار (٤) ، وحصلها بعضهم
بالباب الرابع من النار (٥) .

وقال بعض المفسرين ان سقر اسم اعجمي (٦) . ويدل ان للكلمة
استعمالاً عربياً من قولهم سقرته الشمس نسقره سقرا بالسين والصاد اد
آلمت دماغه (٧) . وقالوا الصقرة : شدة احر (٨) ، وكذا وردت

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩

(٢) سورة المدثر ٧٤ : ٣٩ - ٤٣ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ - ٤٨ .

(٤) التبيان ١٠ : ١٨٠ ، وانظر ايضا المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف ٣ : ١٨٦

(٥) تنوير المقياس : ٣٧٣ ، وانظر ايضا جامع البيان ٢٩ - ١٥٨ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٦٨ .

(٧) الزينة ٢ : ٢١٤ التبيان ١ : ١٨٠ ، المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف

٣ : ١٨٦ وانظر اللعة في جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٤ . المحصص ٩ : ٦٩ .

(٨) الغريب المصنف الورقة (٢٧٦) .

في الشعر (١) .

وشدة الحرارة وإيلامها للسان . وحت للعرب استعمالاً آخر للكلمة وهو قرطم : الصقر انضرب على أعلى الرأس (٢) ، وسموا القاسم اعظيمة التي تكسر الصخر والحجارة القوية بالصافور (٣) .

ومعاني الكلمة المختلفة تساعدنا كلها على فهم أخو المرعب الذي تثيره الآيات الكريمة (يَوْمَ يُسْحَرُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) . أو قوله تعالى (سَأَصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، كَلَّاحَةٌ لِلشَّعَرِ ..) (٥) . فالنار التي يعذب بها المحرمون شديدة الحر تلفح المعذبين لظاها المحرق ، وتفلق رؤسهم ، وتذيب ما هي بطونهم ، وتقل لنا هذه التسمية شدة حر الهجارة في الجزيرة العربية الذي يكاد فيه الحجر ان يدوب ويعلق الصخر ، إلا ان هذه الصورة لا يمكن ان تقارن بشيء من صورة نار الاخرة التي لا تبي ولا تذر . ويلاحظ في تعبير سقر في سورة المدثر انها محاطة بالابهام والغموض فكان سقر مجهولة للسامع فتكررها الآية لتريد من اتجاه الرعب

(١) ديوان شعر ذي الرمة : ٥٠٤ ، أمالي اليزيدي ١ : ١٤٤ ، الحيوان

٥ : ٢٣٢ .

(٢) المخصص ٦ - ٩٦ .

(٣) جهرة اللغة ٢ : ٣٥٧ ، الصحاح ٢ : ٧١٥ ، المخصص ١٠ - ١٠ ،

لسان العرب ٦ : ١٣٦ ، اساس البلاغة : ٥٣٥ ، انهاء في غريب الحديث ٢ : ١٦٨ وانظر الشعر في مجالس ثعلب ٢ : ٤٥٨ ، المؤتلف والمختلف ١١٩ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٥) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ .

(سَأُصْنِيهِ سَقَرٌ ، وما أدراك ما سَقَرٌ ؟ تَوَاحُشٌ لِلشَّيْرِ) (١)
 أدرك لا تعرف معنى سقر ، فليست كالتخي عرقتها في الحياة الدنيا ، أعماهي شديدة
 قوية ، لا تقي ولا تدرك وفي هذا امتداد للذهن الإنسان نانه منها تخيل
 سقر ، فانه لم يستطيع ان يتصورها حق تصورها ، الا ان العربي يستطيع
 ان يحددها انحاء واصح الملامح للبيئة العربية ، فترسم في ذهنه صقرات
 شمس الحريرة ، وحررها المؤذي الذي يذكرهم بالمؤوس القوية تعمق الصخر ،
 ولكن هيهات لهم ان يقارنوا بين الصورتين ، لان الآية الكريمة تقول وما
 أدراك ما سقر ؟ انه الهوى الذي يتجسد امام الكافرين يوم القيامة وبعبارة
 تعبير سقر في الآيات الكريمة .

٣ - لَهِيبُ النَّارِ :

اما لَهِيبُ النَّارِ فانه تارة يكون لها خالصا لا يشوبه دخان ، وتارة
 يلب المعبدين بدخان قائم قال الله تعالى : (يامعشر الجبر والانس
 ان استطعتم ان تنزلوا من اقطار السموات والارض لا تمجدون الا
 دُسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان ؟ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ
 وبخاسر فلا تنصرون ، فباي آلاء ربكما تكذبان) (٢) .

والآيات الكريمة تصور لَهِيبُ النَّارِ بتعبير الشواط ، وقد قال المفسرون
 عن الشواط بانه اسهب بلا دخان (٣) . وهي المسائل التي سألتها نافع بن

(١) سورة المدثر : ٧٤ : ٢٧ .

(٢) سورة الرحمن : ٥٥ : ٣٣ - ٣٦ ،

(٣) توير المقباس : ٣٣٧ ، محار القرآن ٣ : ٢٤٤ ، جامع البيان ٢٧ : ١٣٩٠

التيبيان ٩ : ٤٧٤ .

الاررق لابن عباس ، سأنه عن الشواظ (فقال : اللهم الذي لادحان له ، قال : فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل ان يرسل الكتاب على محمد رث ؟ قال : نعم اما سمعت تقول أمية بن حلف (١)
 ألا مَرُّ مُبْلَغٍ حَسَانَ عَمِّي مُعْلَقَلَةٌ تَدْبُ إِلَى عُكَاظِ
 ايس انوك فيما كان قبيلاً لدى القبيات (مسلا) (٢) في الحفاط
 مائياً يظنُّ يشدُّ كيرا ويمحُ دائياً طب الشواظ
 قال : صدقت (٣) وفي رواية اخرى انه تمثل بابيات حسان التي
 رد فيها على أمية :

فتأنيبه قصائد محكمات ونشد بالبحار الى عكاظ
 مرتك فاحضضعتك بدات ذل فة قيع تأجج كالشواظ (٤)

ومن هنا يتضح لنا ان الشواظ عرفه العرب في بنشهم ، وعرفوا ان النار اذا كانت على اشدها فانها تكون لها حاصدا لادحان له ، وكذا (١) أمية بن خلف بن وهب ، من بني أوي احد جارة قريش في اجاهلية ومن ساداتهم ، ادرك الاسلام ولم يسم ، وهو الذي عذب بلالا الحبشي عند ظهور الاسلام ، امره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فراه بلال ، فصاح باللاس يحرصهم على قتله وقتلوه . انظر سورة التي ٧٢١٠٢ ، عيون الاثر ١ : ٢٥٩ الكامل لابن الاثير ٢ : ٤٨ .

(٢) في المخطوط صتيلا ، والصواب كما هو مثبت اصلا . وهكذا رويت الابيات في ديوان حسان بن ثابت : ١٤١ ، وكذلك ورد في الصحاح ٣ : ١١٧٣ لسان العرب ٩ : ٣٢٦ .

(٣) مسائل نافع بن الاررق الورقة ٨ (ب) .

(٤) ن . م الورقة ٦ (أ) وانظر الابيات في ديوان حسان : ١٤١ ، ١٤٢ مع اختلاف في رواية البيت .

قال اللغويون (١) .

اما النحاس فقد قالوا في تعبيره انه الصخر المذاب (٢) . وقال بعضهم انه الدخان (٣) وحين مثل ابن عباس عن معرفة العرب له قيل الاسلام تمثل بقول النابغة :

نُصِيبُكُمْ مِنْ سِرَاحِ السَّالِيطِ لَمْ يَجْمَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا (٤)

والسَّالِيطُ هو دهن الزيت (٥) وقد استدل ابن عباس بهذا البيت على معرفة العرب لهذا المعنى القرآني . ويدعو ان هناك علاقة متينة بين النحاس الذي هو الدخان ، وبين النحاس ذلك الجوهر المعروف من المعادن والظاهر ان المعدن هو الاساس في التسمية ، لان النحاس او اي معدن من المعادن اذا اذيت تَسَبَّ دحان قاتما ، ومن هنا اطلق على كل دحان قاتم اسم النحاس . . . ومن الطبيعي ان يعرفه العرب في بينهم على اعتباره من المعادن المتوفرة في الصحراء العربية (٦) .

وقد فسر اليعقوبي بالدخان الاسود ايضا في قوله تعالى : (وأصحابُ

(١) الكامل المردد ١ : ٣٢٤ ، هجرة اللغة ٣ : ٦٠ ، الصحاح ٣ : ١١٧٢

مقاييس اللغة ٣ : ٢٢٣ .

(٢) جامع البيان ٢٧ : ١٤٠ ، الكشف ٣ : ١٩٠ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٤٤ ، جامع البيان ٢٧ : ١٤١

المفردات : ٥٠٣ ، الكشف ٣ : ١٩٠ .

(٤) مسائل نافع بن الأزرق الورقة ٨ (ب) والبيت منسوب للنابغة الذبياني

في المخطوط وجامع البيان ٢٧ : ١٤١ ، والنصواب انه لنابغة الجعدي كما هو مذكور في ديوانه : ٨١ ، وانظر ايضا التبيان ٩ : ٤٧٥ .

(٥) الصحاح ٣ : ١١٤٩ .

(٦) انظر زكاة المعادن في الموطأ ١ : ٢٤٩

الشمس ، ما أصحبت الشمس في سموم وحميم ، وطيل من بحوم
لا بارد ولا كريم (١) . فجو الآيات الكريمة يساعدنا على تصور هذا
المعنى ، لأن لسياق العام يوحي بهول العذاب ، فقد ذكر المحرمون وهم
أصحاب الشمس ، ثم تبعه استنهام يثير في الذهن جوا من القموص والرغبة
حتى أذا نصح هذا الاهتمام ظهر عن سموم لافحة تلوح المحرمين وتحرقهم
لظاهما ، ولكنها ليست كالسموم التي عرفوها في بيئتهم ، فاحتاطوا لها
بوسائل ، واحتسوا معها سخله أو حيلة . . . مثلا .

إنها سموم حارة لافحة لا يوحد معها ظل ، فإذا وحدوه فأعما هو
ظل من دحان قائم تثبته انوار لرهبة ، فلا يجدون فيه البرد الذي وجسوه
في ظل الحياة الدنيا ، ولا الطمانينة التي يحتاجون إليها ، فهو ظل ، ولكنه
يثير السخرية على كل من يحتفي به ، لأن أداه اشد واضنى من ادى النار
ولظاهما " هذه السخرية تذكر العرب بالظل البارد الذي فاءوا إليه في
حياتهم الدنيا ، لينقوا به صفوات المجيرة . ولمح سمومها ، وكيف ان
شاعرهم مثلاً يحبس الى نعمة استطل تحتها يوما ، وجهته مع من يحب ،
فيردد حبيه إليه ، ويبعث ها سلامه ، واشواقه ، كما لو أنها كانت حي
يبدله الشعور

ألا يا مخلّة من ذات عرق برود الطيل شاعكم السلام (٢)
وذا عرق : موضع الحجارة (٣) ، وقد بهى الرسول (ص) عن
كسر اعصاب السدر او التنضب ، لأنها من دوات الطلال يسكن اساس
(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٢) مجاز ثعلب ١ - ١٩٨ ، وقيل انه كى بالحنة عن المرأة ، وحتى لو
كان هذا القول كناية ، فانه يعكس لنا الصورة المحبة .

(٣) انظر معجم البلدان ٣ : ٦٥١ .

إليها في البرد ، والحر (١) ، وفي هذا دليل واضح على شدة تعلق العرب بالاشجار ، والتحيل التي تمنحهم الظل إذا اشتد الحر ، أو داهمهم البرد ، والمطر ، وهي من الناحية الأخرى تساعدنا على فهم الآيات الكريمة التي تصور دار جهنم ، وطلوها القاتم ، وكيف يتصورها العربي الذي عانى من الحر ، وعرف طيب الظل ، والبرودة ، فإذا به في الآخرة يلجأ الى الظل الذي يترأى له ، فلا يجد فيه إلا مآدا ، ولا البرودة التي يشدها . قال الله تعالى : (لَتَهْمُ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِثْلُ النَّارِ ، وَمِمِّنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ بِأَعْيَادٍ فَتَقُونَ) (٢) . وقال تعالى مخاطبا الكافرين ماسلوب يسحر منهم وذلك بدعوتهم الى الالتجاء الى ظل من النار يزيد حبه ادى النار ، وعذابها : (اطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى طيل ذي ثلاث شعب ، لا تطيل ، ولا يُغني من اللهيب ، إنها ترمي بشرر كالقصر كانه جبال صفر ، ويل يومئذ للمكذبين) (٣) وإذا قارنا هذه الصورة الرهيبة بصورة طلال الجنة الوارفة اكتملت لنا الصورة الرائعة وانصح الاسلوب المعجز في بيان عذاب المجرمين ، ونعيم المؤمنين : (والذين آمنوا ، وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ، لهن فيها أزواج مطهرة ، وندخلنهم ظيلاً طليلاً) (٤) . وقال تعالى ايضا واصفا نعيم المؤمنين بين الطلال الوارفة ، (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل مكثون ، هم وأزواجهم في ظلل ، على الأرائك متكئون ، لهن

(١) انظر سنن أبي داود ٢ : ٦٥٠ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ١٦ .

(٣) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣٤ .

(٤) سورة النساء ٤ : ٥٧ .

فَإِذَا كُفُّوا عَنْهُ ، وَكَانَ مَدِينُهُمْ ، مَا يَدْعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (١) .
 هذه الظلال الوارفة ، والعميم الرائع يوضح لنا معالم الادى الذي
 يلاقيه المحرمون في النار ، والمقارنة بينهما تزيد الصورة وضوحاً ، فالمحرمون
 لا يجدون ظلاً يقيئون تحته ، ويحتمون به من طيب النار وشررها ، فادى
 وجدوه دغماً هو ظليلٌ من دخانٍ اسود ، وحيث من نحاس يتعالى فوق
 رؤسهم .

٤ - شررها :

ولم تكن الآيات الكريمة تصوير النار ، ولطائها ، اعماً وصفت
 الشر الذي يتطاير منها ، فشر النار الذي عهده الناس في حياتهم الدنيا
 صغيراً ، قصير الامد نجده في وصف نار الآخرة صوراً تصويراً رهيباً
 لطوله ، واستمرار قدحه ، ثم لونه القاتم . قال الله تعالى : (انطلقوا
 الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظلم ذي ثلاث شعث ، لا ظليل
 ولا يفتي من اللهب ، إنها ترمي بشرر كالقصر ، كأنه جمالات
 صفر وويل يومئذ للمكذبين) (٢) .

فقد شئت شر النار بالقصر ، واختلف المفسرون في تفسيره
 تبعاً لاختلافهم في قراءته ، فمن قرأه بإسكان الصاد فسره بالبناء المشيد ،
 المسمى بالقصر (٣) وسره ابن قتبية بالقصر من قصور مياه الاعراب (٤)

(١) سورة يس ٣٦ : ٥٥ - ٥٨ .

(٢) سورة المرات ٧٧ : ٢٩ - ٣٤ .

(٣) جامع البيان ٢٩ : ٢٣٩ ، التبيان ، ١٠ : ٢٣١ ، المفردات : ٤١٤ ،

الكشاف ٣ : ٣٠٢ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

واللاحظ في التفسير الاول انه لا يتقل صورة من صور البيئة العربية ،
فالقصر - وان ذكره بعض الشعراء في اشعارهم (١) قليلا ما عرفته
البيئة العربية في فياها لواسعة ، واطاها المضرودة ، واعا سمي هذا البناء
قصر ، لان جذوع النخل ، والخشب هي اساس سائه ، وهي التي يطلق
عليها القصر كما سيأتي ذكره .

اما القصر من قصور مياه الاعداء الذي فسر به ان قتيبة الآية
الكريمة فانه لا يعطينا صورة واضحة عن قصده ، ولا يوجد في الشعر العربي
ما يصوره ، الا اذا كان المراد منه تلك العريضة التي تُسنى حول البئر
يُحْبَسُ الماء فيها ، وَيُقَصَّرُ ، وذلك انهم قالوا في صفات الثمر المعروشة
بها التي تعوى قدر قامة من اسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب
وحده ، ودنث الخشب هو العرش (٢) . ولكننا ايضا لا نجد بين هذه
الصورة وشرر النار في الآية الكريمة وجه شبه قوي ، مما يبعدها عن تفسير
ابن قتيبة السابق . اما قراءة من قرأ القَصْرَ بفتح الصاد ، فانها تعطينا
تفسيرا هو اقرب الى البيئة العربية ، من القراءة الاولى . قال ابن عباس
كالقَصْرِ كاسفل الشجر العظام (٣) . وقال ابن قتيبة ، ومن قرأ
بالقَصْرِ شبهه باعناق النخل ، ويقال بأصوله اذا قطع (٤) . وهذا يبدو
اختلاف بسيط فهل القصر لغة اعناق الابل ام اعناق النخل واصوله ؟

(١) ديوان الاعشى : ٤٣ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : (٢٤١) ، الصحاح ٣ : ١٠١٠ ، المخصص

١٠ : ٤٢ ، اساس البلاغة ٦٢٢ ، لسان العرب ٨ : ٢٠٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧ .

(٤) تاويل مشكل القرآن : ٢٤٥ ، وانظر المفردات : ٤١٤ ، الكشف

٣ : ٣٠٣ ، النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٥٦ ، وانظر اللغة في العين : (الورقة ١٥) .

الا اننا نجد في الشعر الجاهلي صورة طلائع رصمها الشعراء في اشعارهم الا وهي صورة الناقة التي يشبهونها بمجدع الخطبة (١) ، وصورة الظهائن التي وصفوها وشبهوها بمجموعة النحيل (٢) مما يرجح كون القصر ، اطلق في الاصل على النخلة ، ومنه على الناقة ، ومن ثم اطلق بصورة عامة على اصل اللعق سواء كان للشجرة ، او النخل ، او الابل (٣) . وفي كلتا الصورتين نجد دلالة واضحة للبيئة العربية ، فقد اعتاد العربي رؤية اعناق الابل الطويلة ، كما اعتاد رؤية النحيل ، وجدوعها اسامقة ، فاستمد منها مادة لتشبيهاته ، واخيلته .

ومن هنا يبدو ان التصبر الاخير اقرب التماسيح الى البيئة العربية فقله تعالى : (*لَئِنْهَا تَرَمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ*) (٤) يرسم لنا صورة لشر النار يوم القيامة ، وكيف انه يختلف عن الشرر القصير الامد في الحياة الدنيا ، لانه طويل الامد ، بعيد المدى ، ينقل الى ذهن العربي صورة اعناق الابل الممتدة الطول ، او صورة جدوع النخل الجبارة . ويتبع هذا التشبيه تشبه آخر للشرارات يقصد منه تبسيان لونها وهو قوله تعالى : (*لَهَا تَرَمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهٗ جِبَالٌ صُمَّرٌ*) (٥) . قال بعض

(١) ديوان كعب بن زهير . ١٣ ، ٨١ ، ٢١٧ ، وانظر ايضا الطرائف الادبية : ٦٩ .

(٢) انظر ديوان كعب بن زهير : ١٢٢ ، ١٩١ ، ٢٥٢ ، ديوان علقمة الفحل : ٣١ ، اراجيز العرب . ٤٤ ، الاصمعيات : ٢١٧ .

(٣) المخصص ١١ : ١٠ :

(٤) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ .

(٥) د . م .

المعبرين إنَّ معنى الجميلات الجمال (١) . فيكون معنى الآية ان الشرر الذي يتطاير بكثرة وقوة شديدة يشبه الجمال السود ، وخصَّ بها الجمال او النوق الضحمة التي شهت بالجمال اضحايتها (٢) ليدل على عظم الشرارات بالاضافة الى لونها القاتم . فاللون الاصفر كثيراً ما اطلقه العرب على لون السواد (٣) . وقد علل ابن قتيبة هذه التسمية وسبب تخصيص الله سبحانه وتعالى للجمال السود . قال : (وانما سُميت السود من الابل صمرا ، لانه يشوب سوادها شيء من صمرة كما قيل لبض الطاء اذم ، لان بياضها تعلوه كُدرة ، والشرر اذا تطاير فقط وعيه بقية من لون النار اشبه شيء بالابل السود لما يشوبها من صمرة) (٤) .

وهذا تفسير اخر لمعنى الجمالات الصفر في الآية الكريمة وهو قوهم انها حمال الصفر الضحمة ، معتمدين في ذلك على استعمال لغوي عرفه العرب . قال الخليل : (الجُسْلُ : حَبْلُ السفينة) (٥) .

(١) توير المقياس : ٣٧٧ ، تأويل مشكل الحديث : ٢٤٥ ، الممرات : ٩٦ ، الكشف : ٣ : ٢ : ٣ .

(٢) غريب الحديث : ٢٨٠ ، مقاييس اللغة : ١ : ٤٨١ ، وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٤٠ ، ٥٤ ، المقصليات : ٢٢٩ ، الحيوان : ٦ : ٧٠ .

(٣) انظر الغريب المصنف الورقة (٢٢) ، الصحاح : ٢ : ٧١٤ ، مقاييس اللغة : ٣ : ٢٩٤ ، المخصص : ٧ : ٥٥ ، ٥٥ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

(٥) عن المخصص : ١ : ٢٥٠ ، الصحاح : ٤ : ٦٦١ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث : ١ : ١٧٩ وفسر بعضهم قوله تعالى (ولا يَدْخُلُونَ الجنةَ حتى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) سورة الاعراف : ٧ : ٤٠ بأنه جبل السمينة انظر توير المقياس : ١٠١ ، الكشف : ١ : ٥٤٨ وقد ذكر الاب مار اغناطيوس =

واذا كانت صورة الشر الذي يتطاير بقوة من نار الاحرة يشبه الى حد ما صورة الحمال العليقة الممتدة ، فان تفسير الجيمالات في قوله تعالى (انها ترمي بشررٍ كاتمَصِر ، كانهُ جِمالاتٌ صُفْرٌ) (١) بالجمال السود اقرب الى البيئة العربية التي اعتمدت على الابل في حياتها اليومية اعتماداً كبيراً ، على حين نجد اهمية السعفة عند العرب لا تصل الى مستوى الضروريات ، نظراً للصحارى الواسعة التي اتعلمت فيها الحمار والانهار الدائمة ، ويؤكد هذا القول ما رآه في كتاب المخصص ، وان ما استفرقه بحث السعفة من هذه الموسوعة الكبيرة لا يتجاوز است صفحات ، على حين كاد البحث عن الجمل يشكل جزء كاملاً بذاته (٢) .

٥ - شراب اهل النار :

نصور الآيات الكريمة العطش ، واحرامان من الماء على ايها وسيلتان من وسائل التعذيب التي يعانيها المحرمون يوم القيامة . فشراب اهل النار، وتعذيبهم بالعطش صور بصورة رائعة يظهر فيها الاعجاز القرآني متجلباً ويقف امامها الانسان ذاهلاً . في اللحظة التي تصدر فيها نتيجة الحساب يبدأ عقاب المحرمين مساقون سوقاً شديداً الى جهنم ، وهم عطاشى محرومين من الماء . اما المؤمنون فانهم يحشرون الى الجنة بعزة وكرامة . قال الله = الحمل على انه لعط سرياني ، وفي هذا دلالة على بعد الكلمة عن البيئة العربية .

انظر مقال الالفاظ السريانية مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ ص ٣٤٣ .

(١) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) انظر المخصص عن الابل ٧ : ١ - ١٧٤ ، السفيينة ١٠ ، ٢٩ - ٣٣ ،

وانظر ايضاً نظام الغريب ١٣٢ - ١٥١ .

تعالى . (يومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ، وَنَسُوقُ الْكَاذِبِينَ إِلَى جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ) (١) . وقد فسروا المفسرون الورد في الآية الكريمة بمعنى العطاش (٢) . ومن المشهور ان معنى الورد في اللغة هو انبياا الماء وهو خلاف الصبر (٣) . وانما اطاق تعبير الورد في الآية الكريمة على العطاش ، لان من يرد الماء لا يبرده الا لعطش كما يقول الزمخشري (٤) الا ان الجحيم لا يرتوي بورد هم جهم ، بل تبدأ رحلة اخرى للتعبيد والعقاب . . . مع شدة وطبها المحرق - الذي مرت بها صوره - يعاقب المحرمون بلون احمر من صنوف التعذيب ، وهو حرمانهم من الماء . وقد صور هذا الحرمان بشكل محاورة جرت بين اهل الجنة واهل النار : (ونادى اصحابُ النار اصحابَ الجنة : ان اِمْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ اَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا : ان اللهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اُتُوا بِدِينِهِمْ هَرَاءً وَلَعْبًا وَعَرِثُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، هَالِيَوْمَ تَنْسَاهُمْ كَمَا تَنْسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يُمَحِّدُونَ) (٥) . فهذه الآيات الكريمة ترمز صورة رهيبية لحرمان الجحيم من الماء . وقد فهم العرب والمسلمون هذه الصورة ، واستطاعوا ان يمتثلوها بما وجدوه في بيئتهم ، ولم يكتفوا بتصور الآيات الخاصة بالحرمان من الماء بل فسروا بالعطش الآيات التي تبدو بعيدة عن

(١) سورة مريم ١٩ : ٨٦ .

(٢) اللغات في القرآن : ٣٦ . جامع البيان ١٦ : ١٢٩ ، ١٣٠ ، التبيان ٧ : ١٥٠ .

(٣) انظر جوهرة اللغة ٢ . ٢٥٨ . الصحاح ١ : ٢٥٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ١٠٥ .

المخصص ٩ : ١٥٥ ، وانظر شواهد الشعر في المفصليات : ٢٢٥ . الامالي للفاي ٢ : ٢٤٥ .

(٤) الكشف ٢ : ٢٩٢ .

(٥) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ - ٥١ .

الماء ، والعطش في مفهومها العام (١) وقد فسر النعيم في قوله تعالى (كلا لو تملكون علم اليقين كثرزون الجحيم ، ثم كثرونها عين اليقين ، ثم لننسلن يومئذ عن النعيم) (٢) . مما يعطينا صورة عن أهمية الماء عندهم وكيف أنهم أحسوا أن حرمانه عذاب لا يدايه عذاب ، وأن توفره في الحلة نعيم وثواب فالعربي الذي طالما أحس بأذى العطش والظما في بيئته الصحراوية ، ثم عرف اللذة في الحصول عليه بعد طمأ فائق . هذا العربي يستطيع أن يتصور في الآيات الكريمة مدى العذاب الذي يعذب به المحرمون في النار بحرمانهم من الماء ويستطيع أن يتصور الآيات التي تعرض عطش المحرمين ، وحرمانهم . ومن هنا جاء التأثير العظيم في نفوس العرب من مسلمين ومشركين .

لقد عانى العرب من حرمانهم الماء في بيئتهم الحارة ما عاينوا ، تلك البيئة التي يلاقي فيها الحيوان ما يلاقيه الإنسان من شدة القيط ، ولأدى فقد روى الأصمعي أنه قيل لأعرابي ما لو أن جسمك ؟ قال الأدوى والجسم . يريد أنه كثير الأسفار فهو براعي أداوته كم فيها من الماء (٣) . من الطبيعي إذن أن يحدهم متلهمين إلى الماء في مثل هذه الأجواء الشديدة الحر وإن يجدوا فيه أعظم النعيم ، وأحسنه ، يفرح العربي ويبلغ غاية سعادته إذا تيسر له شيء من الماء ، ويعتبر الحصول عليه بشارة يبشر بها ورجاء يمنه الله عليه . قال الراجز :

تَشْرِي بِالرِّقَةِ وَالْمَاءِ الرَّؤْيَى وَفَرَحَ مَكَ قَرِيبٍ قَدْ أَتَى (٤)

(١) راجع ص ١٤٩ .

(٢) سورة التكاثر ١٠٢ : ٥ - ٨ .

(٣) معاني الشعر . ٢٦ .

(٤) شرح القصائد السبع : ١٩٨ ، لسان العرب ١٩ : ٦٣ والبيت غير منسوب إلى قائله

ويحن العربي الى الماء حينئذ الى اهله ، ووطنه ، ومرتع صباه . ولا يجد اجهل من تمنيه شربة ماء يشرها بعد عطش (١) وفخروا بكرمهم الذي لا يمنعه جوع ، ولا عطش ، وانهم يجودون بما لديهم في الحالتين (٢) . ولندرة الماء عندهم صار اعظم ما يمدح به الرجل هو الصبر على تحمل العطش ، وقرنوه بالجمال ذلك الحيوان الذي احبوه لتحمله العطش الشديد في الصحارى الواسعة من ذلك ما يذكر في خبر عامر بن الطفيل حين توفي ، ويُصَبَّ حول قبره حصى ، ان احدا اناء قومه قال لهم : (تَصِبُّنَا عَلَى أَبِي عَلِيٍّ اِنْ اَبَا عَلِيٍّ هَلْ هِيَ فِي النَّاسِ بِثَلَاثَ : كَانَ لَا يَعْطَشُ حَتَّى يَعْطَشَ الْجَمَلُ ، وَكَانَ لَا يَضُلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ . . .) (٣) . كل هذا يعكس اهمية الماء في البيئة العربية ، لانهم عانوا من فقدانه ما عانوا ، فاستطاعوا ان يعرفوا لذة الماء البارد بعد لوعة شديدة وعطش مضر ، وشبهوا به الحديث الجميل الذي يترك اثرأ طيباً في نفوس سامعيه قال القطامي :

قَالَهُنَّ يَنْشُدُنَّ مِنْ قَوْلِي يُصْنِبُ بِهِ

مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْخَلْقِ الصَّادِي (٤)

واذا اراد الشاعر ان يبين شدة وجده ، وولجته بصاحبته شبهه بوجود الطمان للماء اذا حرم منه . قال امرؤ القيس :

(١) انظر الحيوان ٦ : ٨٦ ، الوحشيات : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ثمار القلوب :

٤٤٥ ، الحياصة البصرية : الورقة ٣٠٨ (أ) .

(٢) انتهى الطلب : الورقة (٢٤٧) .

(٣) الاعاني ١٥ : ١٣٩ طه لواق وانظر حول حى الماء بمجمع الامثال

٢ : ٣٤ .

(٤) ديوان القطامي : وانظر ايضا الحيوان ٥ : ٤٦ .

لَتَعْمُرُنَّكَ إِنَّمَا لِأَحَبِّ مَبْتَأٍ كَحُبِّ مُحَلَّمٍ ظَمَانٌ رَبَّيَا (١)

وانشد ابن دريد لاعرابي قوله :

وإني لأهتواها وأهتوى إقامها كما يشتهي الصادي الشراب المبردا (٢)

وشدة الشوق الذي يشعر به المحب لا يتصوره الا حراً يأكل

احشاه ، فاذا اراد المألعة في اظهار ألمه قال : انه حر لا رد فيه (٣)

وقال الثعالبي : برد الشراب يتمثل به في كل محبوب وعند كل مشتهي (٤)

وأخيراً فقد مثل الامام علي عن حب المسلمين للرسول (ص) فقال :

(كان والله احب الينا من اموالنا ، واولادنا ، وابائنا وامهاتنا ، ومن

الماء البارد على القطأ) (٥) .

هذه الصورة المحبة للماء ، وما يلاقه العرب في بيئتهم الصحراوية

الشحيحة تساعدا على تصور الجو الرهيب الذي تثيره الآيات الكريمة :

(وما دى اصحاب النار اصحاب الجنة أن اقبضوا عينا من الماء أو

ما رزقكم الله ، قالوا : إن الله حرمها على الكافرين) (٦) .

فهذه الآيات وحدها كافية لأثارة الجو الرهيب في نفس الانسان ، فكيف

(١) ديوان امرئ القيس : ٢٥٩ .

(٢) الامالي للقالبي ١ : ٣٣ ، وانظر ايضا اراجير العرب : ٦٧ ، ولييت

منسوب للاحوص الشاعر الاسلامي المعروف في الاعالي ١١ : ٢٢ وانظر ايضا

زهر الاداب ٢ : ٣٧٢ ، التنبيه على اوامام ابي علي : ٢٧ .

(٣) الجيوان ٥ : ١٩٢ ، الصاعتين : ٧٧ ، الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٦ ،

الأمالي للقالبي ٢ : ١٩٢ .

(٤) ثمار القلوب : ٤٩٩ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١ : ٧١ .

(٥) الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٧ ، ثمار القلوب : ٤٩٤ .

(٦) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ .

بالعربي الذي يرى في حرمان الماء عذاباً لا يدانيه عذاب ؟ ان الآيات الكريمة تشير في ذمه معالم بيئته القاسية التي عرف فيها أهمية الماء ، وما يهيب الإنسان من الأذى والحرمان حين يُحرم منه أو يفترقه في مجاهل الصحراء وفيافيها . . . !

انها مشاهد رهيبة تثيرها الآيات الكريمة في رسم صور العذاب بالعطش والحرمان من الماء حين يطلب اهل النار من اهل الجنة ان يفيضوا عليهم شيئاً من الماء يروي عطشهم ، ولكن الرد يأتيهم قاسياً رهيباً ، اذ لارحة لاهل النار ، ولا يفيض اهل الجنة عليهم بشيء من الماء ، حتى اذا بلغ بهم الطمأ مداه ، وَفُطِّتْ اِمْعَالُهُمْ لَهَا عَلَى الْمَاءِ ، سُقُوا شَرَاباً حَارّاً واي شراب ؟ انه شراب مُصَوَّرٌ بقدة تعابير ، كل منها يعطي صورة مفزعة ، فهو تارة الحميم ، واخرى الغساق ، ويُشْتَه مرة بامهتل ، والصدبد مرة اخرى .

أ - الحميم :

ورد الحميم في الآيات الكريمة محاطا بسياق عام يعرض عذاب جهنم الأليم ، ولظاها المحرق ، ففي سورة الدخان عرضت الآيات الكريمة طعام اهل النار الذي يعلي في بطونهم ويؤذيهم ، فيأتي الشراب ليطفي هو الآخر في بطونهم ، ويريد عذابهم (ان شجرة الزقوم طعام الأليم ، كالمهتل يعلي في البطون كعلي الحميم ، تُخَذَّرُهُ ، فاعتلوه الى سوام الحميم ثم قُصُّوا فوق رَأْسِهِ من عذاب الحميم ، ذُقْ لَكَ انت العزيز

(١) ورد في خمس عشرة آية اطر المعجم المهرس : ٢١٢ .

الكريم) (١) ، وقال تعالى أيضا : (أَذْكُ تَحْيَرُ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّا نَخْرِجُ فِي أَصْلِ الْحَمِيمِ
تَطْلُعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ، فَلَا تَسْمُ لَأَكْلُونَ مِنْهَا ، فَالْتَوْنَ مِنْهَا
الْبَطُونِ ، ثُمَّ إِنَّ لَمْ عَلَيْهَا كَشْرًا مِنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى
الْجَحِيمِ) (٢) . وفي سورة الرحمن صَوَّرَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ يَطُوفُونَ فِي جَهَنَّمَ
بَيْنَ الْحَمِيمِ ، وَالْمَاءِ الْحَارِّ الَّذِي يَبْلُغُ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ : (يُشْرَفُ
الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبَايَ أَلَاءَ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ؟ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ آتٍ) (٣) . وفي سورة الواقعة نجد وصفا دقيقا لهذا الشراب المؤذي
الذي يلجأ إليه المجرمون بعد أن يحرق الزقوم بطونهم ، فيشرَّبون من الحميم
فلا يرتوون ، بل يريد أذاهم ، وعطشهم ، ويشبهون بذلك الأبل الحميم :
(ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْتَاهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ، لَا يَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ
فَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونِ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْحَمِيمِ ، هَذَا نَزْلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (٤) . ونجد في صفة هذا الشراب
أيضا أنه يقطع الأمعاء لشدة حرارته : (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ) (٥) .

لقد فسر بعض المفسرين الحميم في الآيات السابقة بأنه الماء الحار

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١ - ٤٤ .

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .

(٥) سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

المعنى الذي تنهى حره ، وبلغ أقصى الدرجات (١) : وقال اخرون ان الحميم دموع اعين المجرمين في النار ، تتجمع في خادق فيُسْقَوْنَه (٢) . وكلا التفسيرين يعطي معنى واحداً هو أن ما يُسْقَى منه المجرمون شراب شديد الحرارة ، سواء كان مغلياً او كان دموع المجرمين الحارة . ومن الضروري تتبع دلالة الكلمة ، ومعانيها في اللغة العربي لمعرفة اليماء الذي تثيره الآيات الكريمة .

فالخر في الصحراء العربية - وقد مرت بنا صورة - جعل العرب يكثرّون من وصف شدة القبط والايام الحارة ، فسموا القبط الحميم (٣) وقالوا حُمّة الحر وشدته (٤) . وقد وردت بهذا المعنى الجسي في القرآن الكريم ايضاً حين ذُكرت اموال الباطل ، وكيف انها تُجْحَى عليها في نار جهنم ، ويكوى بها اصحابها (٥) ، ووصفت النار بالحامية لشدة حرارتها (٦) وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف (٧) .

ومن هنا اطلق الحميم على كل ما اشتدت حرارته ، فاطلق مثلاً

-
- (١) توير المقياس : ٨٩ ، مجاز القرآن ١ : ٢٧٤ ، جامع البيان ١٧ : ١٣٣ ، ١٣ : ٣٠ ، تفسير القمي : ٣٤٦ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشاف ١ : ٥١١ .
(٢) جامع البيان ٣٠ : ١٣ .

- (٣) الارمنسة لقطرب : ٤٥ ، النوادر ١ : ١٥ ، الصحاح ٥ : ١٩٠٥ ، لسان العرب ١٥ : ٤٣ .

- (٤) الصحاح ٥ : ١٩٠٤ ، لسان العرب ١٥ : ٤٢ .

- (٥) سورة التوبة ٩ : ٣٥ .

- (٦) سورة الفاشية ٨٨ : ٤ .

- (٧) مسند الامام احمد ١ : ٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢٦٢ .

على العيون الحارة التي وجدت في بعض أنحاء الجزيرة العربية وسموها
الحُمّة (١) .

ومن ثم أطلق الحميم على كل ماء حار (٢) ، أما العرق الذي يطلق
عليه الحميم (٣) فقد سمي بذلك على التشبيه ولاه لا يخرج من مسامات
جسم الانسان الا عند اشتداد الحر اما الحميم الذي هو القريب او الصديق
والذي ورد في القرآن الكريم ايضا (٤) فقد عُلّق الرأغب تسميته بأنه
يمتد للحياة دونه (٥) .

وفي كل هذه المعاني المتعددة للكلمة نجد انها تعني شدة الحر وبلوغه
اقصى الدرجات وهو المعنى الذي فسرت به الآيات الكريمة بان المجرمين حين
تشويهم النار بلطاها فيمتنون ماء يطفئون به غليلهم ويخمفون به شدة الحر
وعذاب النار ، فاذا بهم يسقون ماء يلع في غلبه اقصى درجات الحرارة
فيقطع امعاءهم ، ويزيد عذابهم .

ورود الحميم في آيتين على انه وسيلة من وسائل التعذيب الجسدية
بالإضافة الى اعتباره شرابا قاسيا (هذان خصمان اختصموا في ربهم

(١) صاحب العين عن المخصص ١٠ : ٢٣ ، جهرة اللغة ١ : ٦٤ ، الصحاح
١٩٠٤ : ٥ .

(٢) أبو عبيدة وابن السكيت عن المخصص ١٠ : ٢٣ ، جهرة اللغة ١ : ٦٤ ،
الصحاح ١٩٠٤ : ٥ .

(٣) صاحب العين عن المخصص ٩ : ١٣٩ ، جهرة اللغة ١ : ٦٤ ، المسلسل :
٢٨٧ ، المفردات : ١٢٩ وانظر الشعر في شرح ديوان لبيد : ١٣٢ ، ديوان النابغة
الجعدي : ١١ ، ديوان المزرد بن ضرار : ٤١ ، شعر المثقب العبدى : ٢٥ .

(٤) انظر المعجم المفهرس : ٢١٢ .

(٥) للمفردات : ١٣٩ .

والذين كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهِرُ بِهِ فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (١) ففي هذه الآيات نجد تصويرا معجرا رائعا لشدة حرارة الحميم ، فهو اذا صب على رؤوسهم صهر جلودهم ، وبطونهم ، ومسح ذلك بعادون الى خلفتهم الاولى ، ليعاد عذابهم ، وقوله تعالى ولهم مقامع من حديد يريد تصوير شدة حرارة الحميم الذي يصب على رؤوس المجرمين ، وقد قنعوا بالحديد ، فيذهب بحرارته رؤوسهم ، وينفذ الحميم الى بطونهم فيلذوها ، فتتشكل الصورة الكاملة لعذاب الحريق مع الشراب الحار الذي يسقوه ، ويصب على رؤوسهم .

ب - الصديد :

اما الصديد فقد وصف به الماء الذي يفاث به المجرمون في المارجين يشتد عطشهم (واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويُسقى من ماءٍ صديدٍ ، يتجرعه ، ولا يكادُ يسيغه ، وبأنيب الموت من كل مكانٍ ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذابٌ عظيمٌ) (٢)

فقد فسر الصديد بانه ما يخرج من اجساد الملعدين في النار من قبيح ودم (٣) . وهكذا عرّفه العرب في حياتهم ، وتعابيرهم

(١) سورة الحج ٢٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ١٥ - ١٧ .

(٣) تنوير المقياس : ١٦١ ، مجاز القرآن ١ : ٣٣٨ ، جامع البيان ١٣ : ١٩٥ .

التيبان ٦ : ٢٨٣ ، الكشف ٢ : ١٧٥ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٥٤ .

اللفوية (١) ، وهذا المعنى الذي فسرت به الآية الكريمة يعطي اتجاه رهيبا
 اضافة الى اتجاه العطش ، والحرقان من الماء ، لانه يوحي بالادى والالم
 الشديد ، فهو يخرج من احساد المعذبين ، وحرقهم في النار ، ومع ذلك
 لا يجدون شراباً غيره فيضطرون الى شربه ونجوعه ، ولكنهم لا يستطيعون
 احتماله ، لانه لا يشفي غالبيتهم اولا ، ولأنه يثير النقر في النفوس ثانيا
 فيتمنون الموت ، ولكنهم لا يموتون ، لانهم قد كتب عليهم العذاب
 الأزلي الدائم .

ج - المهل :

ومثل الصديد فسر بعضهم المهل في قوله تعالى : (وَفُلْ أَحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ شَاءَ فَلْيُثْبِتْ مِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ، إِنْ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَإِنْ يَسْتَنْصِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ، يَنْتَشِي الشَّرَابُ ، وَصَاعَتُ مُرْتَضَقًا) . (٢) الا ان في الآية الكريمة اتجاه آخر غير معنى الجروح والقروح ، وهو معنى المهل الذي فسره معظم المفسرين بالنحاس الذائب كما مر بها سابقاً (٣) . فهذا المعنى يريد الآية اتجاه آخر ، ذلك ان الماء الذي يُعَاث به المجرمون يغلي كغليان النحاس والمعدن ، ولشدة غليانه يحرق الوجوه ، ويشويها ، فكيف بهم اذا أُجبروا على شربه ونجوعه ! ! وهو في هذه الحالة مقر غير سائق

(١) الفريب المصنف الورقة : (١١٢) ، جمهرة اللغة ٣ : ١٩٠ ، الصحاح

١ . ٤٩٣ ، مقاييس اللغة ٣ ٢٨٢ ، المحصى باب الجراح والقروح ٥ : ٩١

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩

(٣) راجع : ص ٨٢

كالصديد والقبح ، ومثل هذا فسر بعضهم الغساق في قوله تعالى . (إن جهنم كانت مرصاداً للطاعين مآباً ، لا شين فيها ألقوا ، لا يدعون فيها نرداً ، ولا شراباً ، الا حميماً وعساقاً) (١) ، فقالوا انه ما يسيل من حلودهم من الصديد ، والقبح (٢) . وقالوا في تفسير البرد في الآية الكريمة بانه سبجانه وتعالى حثرم على الكافرين الشراب البارد الذي يعد حر السعير (٣) ، فهم لا يستقون إلا الحميم والعساق . وقد اجتمعت في هذا الشراب شدة الحرارة ، ونس الرائحة . وقال بعضهم البرد هنا النوم . ويدور ان المعنى الأول اكثر اسجماً مع سياق الآيات العام الذي يعرض شدة العطش والحرقان من الماء البارد الا الشراب الذي يزيد عطشهم ويحرق اندانهم . هذه التعابير تحتج كلها لتصور شراب أهل النار على انه وسيلة من وسائل التعذيب اضافة الى معاناتهم لخب البارد ولطاعها المحرق ومن الواضح ان اطلاق الشراب على هذا الضرب من العذاب انما صدر عن سخرية لاذعة بالمحرمين ، حين تقطع امعاؤهم عطشا ، فيعائون بماء لا يروي غلتهم ، ولا يعيدهم فائدة الماء ، ولكنهم يشربون منه ، لأنهم لا يجدون شراباً غيره ، ولان الطعام الذي يتجرعون به يزيد عطشهم ويحرق

(١) سورة النساء : ٧٨ : ٢١ - ٢٥

(٢) جامع البيان : ٣٠ : ١٣ ، الكشف : ٣ : ١٨ ، وكذا قال اللغويون انظر

شواهد الشعر في المفضليات : ٢٩ ، الوحشيات : ٢٢٦

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٩ ، جامع البيان : ٣٠ : ١٢ ، تنزيه القرآن : ٣٦١

الكشاف : ٣ : ٣٠٦

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٩ ، جامع البيان : ٣٠ : ١٢ ، الكشف : ٣ : ٣٠٦ ،

وانظر ايضاً المدخل : مجلة المجمع العلمي العربي ٩٢ : ٨ : ٤٦٠

طونهم ، فيشربون من هذا الشراب دون ان يجدوا فيه لذة الشراب
ونعيم الماء .

وعذاب العطش والحرقان من الماء صور في آية أخرى بتعبير رائع
يحمل من صورة العطش لوعة دائمة التجديد ، تنجد فيها صور في البيئة
العربية قال الله سبحانه وتعالى : (ثُمَّ اَنكُمْ اِيَّاهَا لِضَالُونَ الْمَكْذِبُونَ لَا يَكُونُ
مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ، فَالْتَوْنَهَا الطَّوْنُ . فشا ربونَ عليه من الحميم
فشا ربونَ شربَ الحميم ، هذا مُرُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (١) .

هي هذه الآيات الكريمة ترسم لنا صورة العطش الدائم ، والحرقان
الأرلي من الماء ، وشبه شربهم المتواصل الذي لا يجديهم بشرب الحميم .
وقد اختلف المفسرون في تفسير الحميم ، فقال بعضهم ان الحميم
(هي الال الظماء اذا اخذها الماء الحميم لا تكاد ان تروى) (٢) .

وقال آخرون بان الحميم هي الال العطاش ، ولم يخصصوها بالمرضى
قل ابن عباس : (وقيل كشرب الال العطاشي اذا اكلت الحمض) (٣)
وكذا قال الاغويون (٤) . وقد اعتمد المفسرون في هذا التفسير على معنى
عرفوه في بشهم ، وكثر استعماله في لغتهم وتعبيرهم ، ذلك انهم اعتادوا

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩ ، جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، التبيان ٩ : ٥٠٢

الكشاف ٣ : ١٩٥

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ - ١٩٦

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة : ١٠٧١

لسان العرب ١٦ : ١١٠ ، ديوان الشماخ : ٨٥

ان يراقبوا ابلهم في حاله صحتها ، ومرضها ، فعرفوا فيها داء اسمه الهيام وهو (داء يصيب الابل من ماء تشربه مستقفاً) (١) . وقال ابن السكيت (الهيامُ داءٌ يأخذ الابل عن بعض المياه بتهامة) (٢) . وقد عرف الجغرافيون العرب هذا الصرب من الماء في وصفهم لانهاء الجزيرة العربية فذكره "عرام" في وصفه لواد شس في تهامة وقال وهو بلد مهمة موباة ، لا تكون بها الابل ، ياخذها الهيام عن نقوع بها ساكرة لا تجري قال الشاعر :

كَأَنَّكَ تَمْرُدُوعٌ شِسٌّ مَطَرْدٍ

بِفَارِقِهِ مِنْ عُقْدَةِ التَّبَعِ هَيْمًا (٣)

أي كأنك جمل مبعود عن وادي شس مصاب باوجاع مؤلمة ، يريد ان يمارقه ، وخصت هذه المنطقة بالذكر ، لانها موباة بمرض الهيام : واذا كان هذا الماء الذي يسبب مرض الابل قد عرف بعينه في منطقة تهامة ، وعرفوا نتائجها الوخيمة على ابلهم فمن الجائز ان نجد ماء راكدا مثله في مناطق أخرى من الجزيرة العربية يسبب مرض الهيام ايضاً ، ومن هنا نجد شيوع استعمال كلمة الهيام في اشعارهم ، ووصفهم لابلهم . قال الحادرة (٤) :

(١) الغريب المصنف : الورقة (٤٠٢)

(٢) عن المحضص ٥ : ٣٧ وانظر ايضاً ٧ : ١٧٠

(٣) اسماء حبال تهامة : ٢٩ ، والبيت غير منسوب اقائله ، وانظر ايضاً

معجم البلدان ١ : ٦٧٢

(٤) الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة ايضاً اسم قطبة بن اوس بن محصن من

شعراء قيس ، شاعر جاهلي مقل ، وانما سمي الحادرة لقول زبان بن صبار الفزاري

كَأَنَّكَ حَادِرَةٌ الْمُنْكَبِينَ رِصْعَاءُ تَنْقُصُ فِي حَائِرِ

انظر ديوان المعصليات : ٤٨ - ٤٩ ، الآغا ٣ : ٧٩

أودى السفارُ برمها فتخالها هيماً مُقطّعةً حبالَ الأذرعِ (١)
 أي ذهبت كثرة الاسفار بلحوم هذه الابل ، وشحومها ، واصابها
 الهيام فقصت عروقها وقطعها ، لانها تشرب من الماء ولا تروى . وقال لبيد :
 أجزتُ الى معارفها يُشعثُ واطلاح من العبدى هيمُ (٢)
 هذه الصورة للال العطاشى المربصة قد علفت في اذهان العرب
 وشعرائهم ، فجعلوا منها مادة لا تنصب لتشبهاتهم ، واخبرتهم . قال اعرابي :
 قفا وُجْدٌ ملواح من الهيم حِلَّتْ عن الماءِ حتى جوفُها يتصلصلُ
 تحومُ وتغشاها العصي وحولها اقاطعُ أنعام تُعلُّ وتشنهُ
 بأكثر مني علةً وتعطُماً الى الماء الا ابني أتجملُ (٣)
 فصورة الابل المصابة بمرض الهيام ، المشوقة الى الماء الدائمة العطش
 الا انها محرومة بمنعها اصحابها عن الورد بالضرب والعصي ، ومع ذلك
 ترى امامها الأنعام ترد الماء وترتوى منه ، فيزيد وجدها وتشوقها الى الماء
 هذه الصورة شبه بها الاعرابي حاله في شدة عطشه الا انه اكثر صبراً
 ونجلاً من الابل الهيم . والاعرابي في هذه التشبيهات انما استند على صورة
 اعتادها في الصحراء الواسعة .

ومن هنا جاء تفسير المفسرين لقوله تعالى : (ثم انكم ايها الضالون
 المكذبون ، لا تاكلون من شجر من زقوم ، فالثور ، منها البطون ،

(١) المفصليات . ٤٧ ، وانظر ايضاً قول ربيعة بن مقروم : ١١٨

(٢) شرح ديوان لبيد : ١٠٣

(٣) الحيوان ٣ : ١٠٤ ، وانظر شواهد شعرية أخرى في ديوان عامر بن

الطفيل : ٣٢ ، ديوان شعر دى الرمة : ٥٨٨ ، تاريخ العرب للاصمعي : ١٠٣

الصحاح ٥ : ٦١٣

فشاربون عليه من الجميم ، فشاربون شرب الجميم (١) وذلك ان عطش اهل النار الشديد يجعلهم يشربون من الماء المغلي فلا يرتوون ، بل يزداد عطشهم ، وألمهم ، ومثلهم في هذا مثل الابل الهميم التي مرت بنا صورها ، والتي اعتادها العرب في يشتمهم .

اما التفسير الثاني للاية الكريمة فقد ذهب به بعضهم بعيدا عن معنى الابل العطاشي فقالوا (الهميم هي الارض السهلة) (٢) . وقال الطبري (يقال ان الهميم الرمل ، بمعنى ان اهل النار يشربون الجميم شرب الرمل الماء) (٣) . وقد استمد المعسرون هذا المعنى من استعمال لغوي للكلمة عرفه العرب ، وشاع استعماله ايضا ، وهو اطلاقهم الهميم على نوع من الرمل . قال الاصمعي (الهميم الذي لا ينالك ان يسيل من اليد من لينه) (٤) ، قال لبيد :

تَجَنَّفُ أَصْلًا قَاصًّا مُتَبَدِّئًا بِمُجُوبِ أَنْفَاءٍ يَجِبُلُ هَيْامَهَا (٥)
يقول ان هذه البقرة تدخل نفسها في جوف شجرة كبيرة ، بعيدة عن المسالك نائمة في اطراف كثبان تنال رمالها بسرعة وقال ايضا .

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩ .

(٣) جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، الكشف ٣ : ١٩٥ .

(٤) عن الغريب المصنف : الورقة ٢١٤ ، ونظر ايضا مجلس ثعلب

٢ : ٤٦٨ ، حمزة اللغة : ٣ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة : ١٠٧١

لسان العرب ١٦ : ١١٢ .

(٥) شرح ديوان لبيد ٣٠٩ ، والشطر الثاني من شواهد الخليل في العيس ١٤

والاصمعي في المخصص ١٠ : ١٤٥ .

يَزَعُ الْهَيَامَ عَنْ الرِّى وَيَمْدَهُ "بَطَحُ" تَهَائُلُهُ عَلَى الْكُثَانِ (١)
 هذا الرمل الذي يتساقط بسرعة ، ويسيل منها لادنى حركة لا يمسك
 الماء اذ مرعان ما تثقله دراته ، وتغور به ، فلا يبقى له اثر ، وهي
 صورة تشه صورة الابل الهيم التي لا يجلبها الماء شيئاً ، ففها شربت عادت
 الى حالها الاولى من لوعة العطش والتشوق الى الماء وفي كلا الصورتين
 نجد معنى ماديا وثيق الصلة بالبيئة العربية بحيث يصعب علينا تحديد دلالة
 الكلمة الاولى .

وهكذا يعرض لنا تعبير الهيم في الآيات الكريمة صورة العطش الدائم
 واللوعة المستمرة التي يعانيها المجرمون يوم القيامة ، كما يعكس لنا صورة
 من البيئة العربية . صورة الابل المريضة ، الهيام تشرب الماء فلا ترتوي ،
 وصورة الرمل المنهال الذي لا يمسك الماء ، ولا يحمطه ، وهي صورة
 تكلل بلامح عذاب المجرمين في النار حين يسقون الطعام المؤذي الذي يذهب
 بطونهم ، فيشربون فوقه شراباً حاراً يزيد عطشهم ويبهب احشاءهم .

٦ - طعامهم :

اما طعام اهل النار فقد صور في القرآن الكريم بعدة تعابير تجتمع
 كلها لاثارة جو رهيب لصنف آخر من صنوف عذاب المجرمين في النار .

أ - الضريع

قال الله تعالى : (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ حَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ، تَصْلِي

(١) شرح ديوان لبيد : ١٤٤ .

ناراً حامية ، 'تسقى من عين آية' ، ليس لهم طعام الا من 'ضريع' لا يسمين ولا يُغني من جوع' (١) . فقد سمي طعام المجرمين بالضريع ووصف بأنه لا يسمن ولا يشبع كما هو معروف في طعام الناس . وقد اختلف المفسرون في تفسيره ، فقال بعضهم : (لا ادري ما الصريع ، ثم اسمع عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيه شيئاً) (٢) ، وقال آخرون ان الصريع شجر من نار (٣) .

وقرأ فريق من المفسرين الصريع نبات عهدوه في البيئة العربية ، وعرفوا مبرانه وصفاته قال ابن عباس : (شوك يكون في البادية) (٤) وقال ابن قتيبة مفسراً الصريع بأنه (نبت يكون في الحجاز ، يقال ارطبه الشرق ، لا يسمن ، ولا يشبع ، قال امرؤ القيس :

وانعتهم طرقي وقد حال دوتهم غوارب رملي ذي الاء وشيرق
والعرب تصمه بذلك) (٥) . وقال ابن قتيبة ايضاً ان (الصريع من اقوات الانعام ، لا من اقوات الناس ، واذا وقعت فيه الابل لم تشع وهلكت هزلاً قال الهذلي يذكر ابلاً وسوء مرعاه :

وحيسن في هرم الصريع وكلها حديباء دامية اليدبر حرود (٦)

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ٦ .

(٢) هو قول الحسن الصري في التبيان ١٠ : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ واطر ايضاً

منشابهات القرآن ٢ : ١١٦ .

(٤) اللغات في القرآن : ٥٤ .

(٥) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، والنبت في ديوان امرئ القيس ١٦٩ ،

واطر ايضاً النهاية في غريب الحديث ٣ : ١٨ .

(٦) تأويل مشكل القرآن : ٤٩ .

وهذا البيت نقيس بن حويلد بن العيزارة (١) في ابيات يرثي بها
إحاه وروايته في الديوان .

وَحَيْسَنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكَلَّهَا حَذَبَاءُ دَامِيَةِ الْيَدَيْنِ جَلُودُ (٢)
وهي ارجح من رواية ابن قتيبة ، لأنها تبين صورة الابل التي شبه
بها الشاعر القوم الذين يقتاتون مالا يشبعهم ، باهم كالابل التي حسنت ،
ومنعت الا من اكل الضريع - وهو الشبرق - فهزلت وبدت عظامها ،
واقطع لبنها .

وقال آخرون ان الضريع هو الحجارة (٣) ، ولا يوجد في
استعمال الكلمة اللغوي ما يساعدنا على فهم الضريع باسمه الحجارة . اما
الذين قالوا بان الضريع شجر من نار (٤) ، فاعا ردوا بقوم على من
اعترض على وجود طعام في النار التي تحرق كل شيء .

ويبدو ان اقرب هذه التفسيرات هو قول من قال ان الضريع نت
معروف في الحريرة العربية ، وليس المقصد من هذا اطعامهم ، ضرها من
الطعام ، اما المراد السخرية بالهرمين ، ذلك لان الداس تاكل لتزيد قواها
وتشبع ، اما طعام اهل النار فانه لا يعني من جوع ولا يسمن ابداً ، وله
صورته الواضحة في البيئة العربية ، فقد اعتاد العرب الساعات المتوفرة في
بيئتهم ، وخبروا انواعها ، وما يفيد حيوانها ، وما يضره ، فكان من بينها

(١) شاعر جاهلي من بني هذيل ، والعيزارة امه ، وبها يعرف ، وهو قيس
ابن حويلد ، امرته فهم فافلت منهم ، واحد سلاحه تأبط شرا . انظر شرح
اشعار الهذليين ٢ : ٤٨٩ .

(٢) شرح ديوان الهذليين ٢ : ٥٩٨ ، وانظر ايضا الصحاح ١ : ١٠٨ ، ٤٦١

(٣) جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ .

(٤) انظر : ص ٢٤٧

ضرب خاص من النباتات اذ اُرعيت فيه حيواناتهم ساءت حالها وتدهورت محتها ، وذلك هو الشبرق اليابس الذي اطلقوا عليه اسم الضريع (١) ، ومن هنا فحروا عيولهم القوية ، واعتنائهم بها ، وكيف انهم لا يطعمونها الا الطعام الجيد لا الضريع المؤذي :

أَلَا مَتَّعْتُ كُنَالَةَ بَطْنِ وَجْرٍ نَجْرُذٍ لَمْ تُبَاحَثْ بِالضَّرِيعِ (٢)
ومن هذا البيت الذي يهزل الابل ويضعفها اطلقوا تعبير الضَّرْع على الضعف والذل بصورة عامة (٣) . لان من يضعف ، ويهزل تدل نفسه ، وتسكن ومن هنا فسر بعضهم الضريع بقولهم : (الضريعُ عني المَصْرُوعُ أي يضرعهم) .

وهذا المعنى المنظور من الاصل المادي يساعدنا على فهم الآية الكريمة وذلك انه ما دام طعام اهل النار لا يضمن ، ولا يغني عن جوع ، وانه الضريع الذي اذا اكلته الابل هزلت قواها ، فان هذا الطعام يؤدي حتماً الى ضعف قواهم وهرلهم ، وانما سمي طعاما (من حيث يستطعم) (٤)
(١) انظر الفاخر : ١٠٧ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، فقه اللغة . ٤٧

الحكم ١ : ٢٥٠

(٢) الفاخر : ١٠٧ ، والبيت منسوب لمالك بن عوف الغامدي في اساس

البلاغة : ٣٢

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، الصحاح ٣ : ١٢٤٩ ، تمام وصيح

الكلام : الورقة ١٥ ، مقاييس اللغة : ٣٩٥ ، الحكم ١ : ٢٤٩ ، وانظر شواهد

الشعر في ديوان الاعشى ٣٩ : ١٠٩ ، المعضيات : ٢٠١ ، الوحشيات : ٢٣

١٢٢ الحماسة البصرية : الورقة (ب) . وكذا وردت في القرآن الكريم

انظر سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٦

(٤) تنزيه القرآن : ٣٥٣

أو (أريد انه لا طعام لهم اصلاً ، لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس ، لان الطعام ما اشبع ، او اسمن ، وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لعلان ظل الا الشمس ، تريد نفي الظل على التوكيد) (١) .
وهذا الجوع المهزل الذي يعذب به المحرمون تضاف اليه شدة العطش ، والحرقان من الماء ، فتكتمل صورة المعذبين في النار وما يلاقونه من صنوف العذاب والأذى :

ب - الزقوم :

وهناك تعبير آخر يخص طعام اهل النار ونجد فيه وصفاً للشجرة التي يأكل المعذبون منها . قال الله تعالى : (الا عاد الله تعالى : (١)
لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، في جنات النعيم على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ... اذلك خير من لآ
ام شجرة الزقوم ؟ انا جعلناها فتنه للظالمين ، انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤس الشياطين فاهم لا يكلون منها الا الثور منها الطون ، ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ، ثم ان مرجعهم ، إلى الجحيم) (٢) . وقال تعالى ايضاً واصفاً ثواب أهل الجنة معددا نعمهم (واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة) (٣) . وقال سبحانه وتعالى واصفاً عذاب المجرمين وطعامهم : (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهل يعل في البطون

(١) الكشف ٣ : ٣٣٢

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤١ - ٦٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٦ - ٣٤

كَتَفَلِي الْحَمِيمِ ، مُخَدَّوهُ وَاعْتَلَّوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (١) فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مُقَابَلَةٌ رَائِعَةٌ بَيْنَ شَجَرَةِ الزَّقُومِ الَّتِي يَأْكُلُ الْخَائِرُونَ مِنْهَا قَتْلًا بِظَوْنِهِمْ ، وَتَعْلِي فِيهَا كَفَلِي الْحَمِيمِ ، وَبَيْنَ صُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمِينِ فِي جَانِبِهِمْ حَيْثُ الْفَاكِهَةُ الْمُنْتَوَعَةُ ، وَلَحُومُ الطَّيْرِ ، وَكُلُّ مَا نَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ .

وِطْعَامُ الْخَائِرِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ عِبْرَتُهُ بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ ، أَلَا إِنَّ الْمُعْصِرِينَ لَمْ يَقْسُرُوا لَنَا مَا هِيَ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا شَجَرَةَ بَعِينِهَا فِي بَيْتِهِمْ تَسْمَى الزَّقُومُ ، وَلَكِنْ فِي أَذْهَانِهِمْ صُورَةٌ لَهَا ، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اعْتَادُوا أَنْ يَسْمُوا كُلَّ طَعَامٍ تَقْبَلُ بِالزَّقُومِ (٢) . وَقَدْ اعْتَرَصَ دَاسٌ عَلَى وُجُودِ شَجَرَةٍ فِي الْمَارِ الَّتِي تَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَإِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ لَا يَعْرِفُهَا الْعَرَبُ فَكَيْفَ حَاطَبُهُمْ اللَّهُ سَمَّاهُ وَتَعَالَى بِمَا يَجْهَلُونَ ؟ قَالَ الْقَاصِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنُ أَحْمَدَ رَأْدًا عَلَى هَؤُلَاءِ : (وَجَوَابًا أَنَّهُ إِذَا وَصَفَ حَاطَبًا صَحَّ التَّخْوِيفُ بِهَا ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَعْلِي الْحَمِيمِ) (٣) . وَقَالَ أَيْضًا (وَرَبِّمَا قَبْلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكِيدُونَ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ) كَيْفَ يَصِحُّ التَّوَعُّدُ بِمَا لَا يَعْرِفُ مِنْ جَمَلَةِ الْأَشْجَارِ ؟ وَجَوَابًا أَنَّ لَفْظَةَ الزَّقُومِ مَعْرُوفَةٌ بِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ فِي الْكَرْبَةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَجَارَ أَنْ يَتَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهَا) (٤) . رَوَى أَنَّهُ لَمَّا نَرَأَتْ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةَ بِذِكْرِ الزَّقُومِ لَمْ يَعْرِفَهُ الْعَرَبُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا شَجَرٌ لَا يَنْبَغُ بِأَرْضِنَا فَمَنْ مِنْكُمْ يَعْرِفُهُ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ

(١) سُورَةُ الدَّحَاانِ ٤٤ : ٤٣ - ٤٨

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ ١٥ : ١٦١ ، الْبَهَايَةُ فِي غَرْبِ الْحَدِيثِ ١ : ١٢٨

(٣) تَزْوِيهِ الْقُرْآنِ : ٣٥١

(٤) ن - م

من افريقيا الزقوم بلغة افريقيا الزبد والتمر . فقال ابو جهل باجارية
 هات نمرأ وزيداً نرد قمه ؟ فجعلوا يأكلون وينزقمون ويقولون : ابهذا
 يخوفنا محمد في الآخرة ؟ حين افقه تعالى في آية أخرى الزقوم بقوله
 (انها شجرة تخرج في اصل الجحيم) . ومن هذه الرواية يتبين لنا
 ان العرب لم يعرفوا شجرة بعينها تسمى الزقوم . واذا كان هذا الأفريقي
 - ان صحت الرواية - قد ادعى انها عندهم التمر والزبد ، وان أبا جهل
 استغل قوله للسخرية من الرسول الكريم (ص) فقول الأفريقي هذا
 يؤكد لنا جهل العرب في بيتهم بالزقوم ، أما دلالتها على الطعام الثقيل
 او المكروه فاعما عرفت بعد رول الآيات الكريمة :

وتأتي بشاعة الزقوم من الآيات التي تليها ، ونصفها وصفا رهيباً نضع
 سخرية أبي جهل في صورة شاحنة سرعان ما تتلاشى لتحل محلها صورة
 الرهبة من هذه الشجرة (أدلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم ، انا
 جعلناها فتنة للظالمين . انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، تطلعها
 كأنه رؤوس الشياطين ، فأنهم لآكلون منها والثور منها الطون) (٧) .
 وتشبيه طلع شجرة (الزقوم برؤوس الشياطين اثار نقاشاً بين المفسرين
 فقال بعضهم الشياطين هنا الحيات وذكر هلما ابن قتيبة حين قال :
 (والشياطين حيات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر . قال الشاعر ذاكراً ناقته .

تُلايَعِبُ مثنى حضرمي كأنه

تمعج شيطان بلدي يخروخرو قفيري (٤)

(١) تنزيه القرآن : ٣٢١ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٧٨ .

(٤) لم ينسب ابن قتيبة الى قائله ، وكذا قال الجوهري في الصحاح -

يعني زماما ، شبه تلويه بتلوي الحية . وقال آخر :

عَجِيزٌ تَحْلِفُ حَبِيْءٌ أَحْلِفُ

كَمَلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرِفُ (١)

والحماط شجر ، والعرب تقول ذلك اذا رأت منظراً قبيحاً كأنه

شيطان الحماط ، يريدون حية تاري في الحماط (٢) :

وتفسير المفسرين هذا صادر عن معرفتهم ضرباً خاصاً من الحيات

اطلقوا عليه اسم الشيطان كما ورد في كتب اللغة (٣) .

وقال آخرون : ان رؤس الشياطين شجر معروف في البيئة العربية ،

وذكر الاصمعي انه يسمى الصوم (٤) ، واطلق عليه بعضهم اسم الاسن

وقالوا عنه انه شجر يشع ، منكر الصورة ، يقال لثمره رؤس الشياطين ،

وهو الذي ذكره النابغة ،

تَحِيدُ عَنْ اسْتَنْ سَوْدٍ أَسَافِلُهُ

مثل الأمام الغواصي تَحْمِلُ الْحُزْمَا (٥)

— ٥ : ٢١٤٤ ، وهو منسوب لطرفة بن العبد في الحيوان ٤ : ١٣٣ ، والبيت غير

موجود في ديوانه .

(١) البيت غير منسوب وانظر ايضا التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٢) تاويل مشكل القرآن : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وانظر ايضا ادب الكاتب :

٢٢١ ، جامع البيان ٧٣ : ٦٤ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشف ٢ : ٦٠٣ .

(٣) الغريب المصنف : الورقة (١٧٩) ، الصحاح ٥ : ٢١٤٤ ، مقاييس

اللغة ٣ : ١٨٤ :

(٤) عن الكامل للمبرد ٣ : ٨٢١ ، وانظر ايضا جامع البيان ٧٣ : ١٦٤ ،

التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ٨١٨ ، الحيوان ٤ : ٣٩ ، ٦ : ٢١١ ، الصناعتين ،

٨٥ : والبيت في ديوان النابغة ١٠٣ .

وهناك تفسير آخر يجمع التفسيرين السابقين ، وهو اقرب التفسير الى الناحية الادبية يرى بأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يصور بشاعة شجرة الزقوم فشه طلعها برؤس الشياطين لان الناس رسموا في اذهانهم صورة منكورة لها ، واول من ذكر هذا التفسير - فيما قرأت من مصادر - هو ابو عبيدة حين سئل في مجلس الفصل بن الربيع عن قوله تعالى : (طلعها كأنه رؤس الشياطين) (١) (بان الوعد والوعيد اما يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس :

أَبْقَتْ لُنِي وَالتَّشْرِفِيْ مَصَاجِمِيْ وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ (٢)
وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم أوعدوا
٤ (٣) :

وقال الجاحظ معللا هذا التشبه ايضا بانه سبحانه وتعالى (قد جعل في طلاع جميع الامم استقباح جميع صور الشياطين ، واستسجاجة ، وكراهية واجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك) (٤) . وقال ايضا رادا على من انكر هذا التشبه لان الناس لم يروا الشيطان ، ولا وصفت لهم صورته فقال : (قلنا : وان كنا نحن لم نر شيطانا قط ، ولا صور رؤسها لنا صادق بيده ، ففي اجمالهم عن صرب المثل بمسح الشيطان ، حتى

(١) سورة الصافات ٣٨ : ٦٤ .

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس : ٣٣ .

(٣) معجم الادباء ٧ : ١٦٧ ، وذكر انه بعد ان رأى استحسان الفضل لقوله واستحسن السائل ايضا عزم على ان يضع كتابا في القرآن الكريم ثم وضع كتاب مجاز القرآن ، الا ان الملاحظ انه لم يذكر هذا التفسير في مجازه
(٤) الجيوان ٤ : ٩٤ .

صاروا بضغون ذلك في مكابح احدهما ان يقال : هو اقبح من الشيطان،
والوجه الاخر ان يسمى الحميل شيطانا على جهة التنظير . . . ففي اجماع
المسلمين العرب ، وكل من لقبناه على صرب المثل بقبح الشيطان دليل على
انه في الحقيقة اقبح من كل قبيح والكتاب انما ازل على هؤلاء الذين قد
ثبت في طبائعهم بغاية الثبوت (١) .

ويبدو هذا التفسير اقرب النفاسير الى الناحية الادبية ، ذلك لانهم
جروا في تشبيهاتهم على ما عهدته ادبائهم ، وتمثلته احيائهم ، وللشياطين
في ادبائهم صورة واضحة الملامح للبشاعة والقبح ، وتعكس لنا هذه الفكرة
لادارة يرونها الجاحظ عن امرأة اخجلته ، وذاك انها اتته يوما وهو على
باب ديرة فقالت له : (لي اليك حاجة ، واريد ان تمشي معي ، فقامت
معها الى ان اتتني الى صانع يهودي فقالت له : مثل هذا ، والصرفت
فسألت الصايغ عن قولها فقال : انها انت الي بفص وأمرتني ان انقش
لها عليه صورة شيطان فقالت : يا مني ما رأيت الشيطان ، فانت بك ،
وقالت ما سمعت (١) (٢) واذا كانت هذه البادرة تعكس لنا روح
البادرة والنكتة التي عرف بها الجاحظ ، والتي استدل بعضهم بها على بشاعة
خلقه ، فان فيها انعكاساً بصورة الشيطان كما تمثله الدهن العربي ، ومن
هنا شبهوا به كل شيء كربه المظفر بشع الصورة (٣) . كما سموا كل خبيث
مهلك بالغول (٤) . ومن هنا ايضاً نفهم سبب تسميتهم ذلك الضرب من

(١) الحيوان ٦ : ٢١٣ وانظر ايضاً تاويل مشكل القرآن : ٣٠٢ ، الكامل

للمبرد ٣ : ٨١٨ - ٨٢١ ، جهرة اللغة ٢ : ١٥٠ .

(٢) صرح العمون ٢٥٠ : ٢٥٠ .

(٣) الحيوان ١ : ٣٠٠ ثمار القلوب : ٦٠ .

(٤) الصجاح ٥ : ١٧٨٦ ، لسان العرب ١٤ : ٢١ .

الحيات بالشياطين ، لان رؤسها كرمة المظر ، او لانها شديدة الاذى ، وكذلك القول في النسات الذي اسموا ثمره بالشياطين لشاعة منظره ومصدر تفسير القائلين في وصف شجرة الزقوم بان طلوعها كأنه رؤس الشياطين او رؤس الحيات .

اما التفسير الجامع لكل هذه الصور فهو الذي مر بنا سابقاً بان طلع شجرة الزقوم شبه في القرآن الكريم رؤس الشياطين الحقيقية . لان كفار قريش حينما استهزأوا واستهانوا بشجرة الزقوم زلت الآيات بعدها لتصف صورة هذه الشجرة الملعونة بانها ليست كما تتصورها اذهانهم انما هي بشعة مؤذبة كصورة الشياطين التي تخيلتها اذهانهم ، ومع ذلك فان التفسيرين الاولين يضيفان على شجرة الزقوم اتجاه اخر للشاعة ، والرهة مقترنا برؤس الحيات المسكرة ، ورؤس ثمار الشجر البشع الصورة المسماة بالشياطين .

ومما مرّ بنا نجد ان طعام اهل النار وصف في كل الآيات الكريمة بانه ليس كالطعام الذي اعتاده الناس ، فهو لا يسمن ، ولا يشبع ويتجرعه المجرمون على مضض لانهم محبسون على اكله (انّ لدينا أكنالا ، وجحيماً وطعاماً ذا عَصَّةٍ وعذاباً أليماً) (١) ، وهم في هذه الحالة كأنهم قد حرم عليهم الطعام ، اذ كيف تستطيع النفس ان تدنو من طعام هسهه صفته واداه ؟ ومن هنا جاء قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم . ولا طعام الا من غسيل) (٢) في نفي وجود الطعام لاهل النار الا ما يخرج من جروحهم من الدّم ، والصدید (٣) . وقال ابن عباس : أن الغَسِيلين

(١) سورة المزل ٧٣ : ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٦٨ تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، الكامل للمبرد

٢ . ٤٥ ، تنزيه القرآن : ٣٥٣ الكشف ٣ : ٢٦٦ .

هنا معناه اخار (١) وكذا قال اللعويون (٢) وطبيعي ان يكون الصديد الذي يخرج من اذانهم حاراً ، لان كل ما يحيطهم هو اللهب ، واسطى المستعمر بالاضافة الى ان شرابهم شديد الحرارة معلى . ولا يمكن ان يفهم ان العسلين صرب آخر من الطعام ، وان المعسبين في النار على طبقات ، ومنهم من يأكل الزقوم ، ومنهم من يأكل الفستلين ، ومنهم من يأكل الصريع ، كما ذهب بعض المفسرين (٣) ، وذلك لان الفستلين ليس ضرباً من الطعام ، وانما يريد به شيء وجود الطعام الذي يسمى ، ويشع كما هو مصور في الزقوم ، والصريع . فليس لهم طعام الا من الصديد الذي تعمره اجسادهم ، وفي ذلك تشع لحظهم .

ويلاحظ في كل التعابير التي تحدثت عن طعام اهل النار في القرآن الكريم انها اقتصر على وصف مشاعة الطعام ، ولو قارنا هذه الآيات بالآيات التي تخص الشراب والتي ورد ذكرها سابقاً لوجدنا في الطائفة الاولى تصويراً لبشاعة الطعام الذي يكره على استساغته المحرمون دون الحديث عن عناء الجوع ، والحرمات من الطعام ، على حين نرى الآيات التي تخص الشراب تحدثت عن العطش وما يلاقه المعتذرون من اذى حرمانه . ولعل خير ما يعمل به هذه الطائفة القرآنية هو تخرج العربي ، واباؤه الذي يحول دون وصف جوعه ، وما يلاقه من حرمان الطعام ، او ما يسهل وصفه . قال الاستاذ جميل سعيد في حديثه عن وصف الطعام عند العرب : (على اننا حين ننظر في الشعر العربي - ولا سيما الجاهلي منه - نجد اشعراء قد كتبوا احساسهم بالجوع كتباً ، وفخروا به وجعلوا التصريح بهذا الاحساس امرأ

(١) انبغات في القرآن : ٥٠ ، وانظر ايضاً مشاهات القرآن : ١٠٦ .

(٢) الصحاح ٥ : ١٧٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ٧ .

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ الكشاف ٣ : ٣٣٢ .

يخفى الإنسان منه ، ويلازم عليه . . والشعراء الاسلاميون تابعوا الشعراء الجاهلين في هذا ، وعدوا شكاية الجوع منقصة توجب اللوم (١) . على ان هذا القول لا يعني ان العرب لم يعانون من شدة الجوع ما عانوه من العيش ، ذلك لأننا نعرف ان الجزيرة العربية أرض حذب وفقر في معظم اجرتها وقد كثرت فيها المجاعات ، واشتدت فيها الحاجة الى الطعام في كثير من الاحيان ، ومن هنا ذكرت هذه المجاعات في اشعارهم في موضوع محرم (٢) حين يفضلون ضيعهم وجارهم على أنفسهم عند المسغبة ، وانهم لا يبتنون الى الطعام ، وان كانت بهم حاجة اليه يؤثرون به غيرهم عن أنفسهم (٣) ، كما همحوا اعداءهم بحهم الطعام (٤) :
هذا الابهاء النفسي يجعل العربي يألف من ذكر جوعه ، وحاجته الى الطعام بل نراه يفخر بتحملة الجوع : قال الشنفرى في لاميته المشهورة :

(١) الوصف في شعر العراقي : ٤٠٠

(٢) وهذا لا يعني اعدام ذكر الجوع في الشعر الجاهلي في غير موضوع التمخر ، فقد وجدت اشارات اليه ، الا انهم لم يقصدوا فيها اظهار ألمهم من الجوع ، والحاجة الى الطعام انظر في هذا أعجب العجيب : ٣٢ ، ٣٦ وشعر السليك في أمثال العرب : ١٤ .

(٣) انظر ديوان عروة بن الورد : ٦٢ ، انتهى الطلب : الورقة (٣٤٦) في شعر عروة بن الورد ايضاً ، ديوان عبقة الفحل : ٥٢ ، ٧٢ ، ديوان عدي ابن زيد : ١٤٧ ، وانظر ايضاً أعجب العجيب : ٢٠ ، مجالس ثعلب : ١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، امالي الزجاجي : ٢٠٤ ، أسماء المغتالين : ٢٤٢

(٤) انظر ديوان المزرد بن صرار : ٥٠ - ٥١

أَدِيمُ مِطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أَمِينُهُ
 وَاضْرِبْ عَمَ الذِّكْرِ تَصَفْحاً فَأَدَهْلُ (١)
 ومثل هذا قول أبي حراش الهذلي (٢) :
 وَاتِي لَأُتَوِي الْجُوعَ حَتَّى تَمَلِّي
 فَيَلْهَبُ لَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي ، وَلَا جَرَمِي (٣)
 أَرْدُ شَجَاعَ الْمَوْتِ قَدْ تَنَمَّيْتَهُ
 وَأَوْثَرْتُ عَبْدِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطُّعْمِ

فهو هنا يهخر بأنه لا يبالي بالجوع الذي يؤديه ، وربما بنفسه عن
 الحصول على الطعام الذي يدنس سيرته ، وإياه ، وإنما يتغلب على جوعه
 ويؤثر عبده ، وعياله بما لديه من الطعام . هذا هو المثل الأعلى الذي رسمه
 العربي لنفسه حين ترفع عن ذكر حاجته إلى الطعام ، أو وصف ألمه
 من شدة الجوع ، وهو يخفف عن وصفه لعطشه ، وشدة تشوقه إلى الماء
 كما مر بنا سابقاً (٤) . ومن هنا لم نتحدث الآيات الكريمة عن حرمان
 المحرمين من الطعام الذي يشعهم جرياً على عادة العرب في تخرجهم من
 الحديث في هذا الموضوع ، على حين نرى عكس ذلك في الحديث عن
 المطش الذي صورته الآيات الكريمة أروع تصوير ، وذلك جرياً على عادة

(١) اعجب العجب : ٣٢

(٢) هو خويلد بن مرة من بني هذيل من مضر . شاعر محضرم وفارس
 قائمك مشهور بالعدو فكان يسبق الحيل . اسلم وهو شيخ كبير توفي
 نحو ١٥ هـ . انظر الشعر والشعراء ٢ : ٥٥٤ ، الأغاني ٢١ - ٣٨ فما بعدها ، الإصابة

١ ، ٤٥٧ ، خزانة الادب ١ : ٢١٣ ، الإصابة ١ : ٤٥٧

(٣) الأشباه والنظائر : ١٥٧

(٤) انظر ص ٢٣٢

العرب في وصف شدة العطش الذي عاينوه في أسفارهم ، وأوقات الماحرة الحارة وسنجد هذه الفكرة أيضاً في الحديث عن شراب أهل الجنة وطعامهم (٥) .

٧ - صنوف أخرى من العذاب :

وبالإضافة الى وسائل التعذيب التي مرت بنا صورها نجد في القرآن الكريم صوفاً أخرى تعرض جرائم جديدة للتعذيب الجرمين في النار وتنعكس فيها أيضاً بعض ملامح البيئة العربية .

أ - للسلاسل والأغلال :

والسلاسل والأغلال من الصور التي تؤكد الآيات الكريمة وجودها حيث يقيد المعتدون : (إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا) (٢) . ووصفت الآيات الكريمة هذه القيود بأنها تغل أعناق الكافرين فيسحبون بالنار على وجوههم : (الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِأَرْسِلْنَا بِهِ رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ يَقْتُلُونَ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ وَالسَّلاسلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ) (٣) . وقال تعالى أيضاً : (وَإِنْ تَعِجَبْ فَعِجْبٌ قَوْلُهُمْ : إِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّمَا لَفِيَ خَلْقٌ حَدِيدٌ ؟ أَوَلَيْكَ الدِّينُ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأَوَلَيْكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَأَوَلَيْكَ

(١) انظر ص : ٣٠٧

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ٤

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٧٠ - ٧٣

أصحاب النار هم فيها خالدون (١) . والاعلال جمع غل : وهي الحديد التي تجمع يد الأمير الى عنقه (٢) . اما السلاسل فهي جمع سسنة وهي حلقة مستظمة من جهة الطول مستمرة (٣) . وكذلك قولهم في الاصفاذ (٤) . هذه القيود الرهيبية تثير في النفس تساؤلا ما اذا كان العرب يعرفون القيود ، والسلاسل ؟ . ام انهم بمجرد سماع الآيات الكريمة يستطيعون تخيلها من الجو الرهيب الذي يرسمه سياق الآيات العام . واذا بحثنا عن هذه الصورة في البيئة الجاهلية وجدناها واضحة كل الوضوح فقد ذكر الشعراء بقائلهم ، ويطولونهم التي ينتصرون فيها على أعدائهم ويكبّلونهم بالأغلال ، وقد كررها الشعراء الفرسان في اشعارهم ، وكيف انهم يعرّدون من القارات ، وقد كلوا أسراهم بالاصماد ، وانقيود . قال عنترة :

تركتنا ضارداً بين عانٍ مُكَبَّلٍ وتبين قتل غاب عنه التوائع (٥)
وقال أيضاً :

وعسداً بالشهاب وبالسايا وبالأسرى مُكَبَّلٍ بالصيفاد (٦)

(١) سورة الرعد ١٣ : ٥ وانظر ايضاً سورة سبأ ٣٤ : ٣٣

(٢) الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٣

(٣) النبيان ٩ : ٩٥ ، وانظر اللفظة في الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان

العرب ١٣ : ٣٦٧

(٤) القصص : الورقة ١٧ ، الصحاح ١ : ٤٩٥ ، لسان العرب ٤ : ٢٤٣

(٥) ديوان عنترة : ٤٥

(٦) ن . م : ٥٥ وانظر ايضاً ٦٤ ، ٧١ ، ٩٧ ، ديوان سلامة

ابن جندب : ١٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ، النقائض : ١ ، ٧٦ ، ١٥٣ ، اسماء

المقتالين : ٢٢٧

وقال يزيد بن عمرو بن الصق (١) في يوم المروت (٢) معتمرا
 وَضَرَجْنَا عَيْدَةً بِالْعَوَالِي فَأَصْحَحَ مُوْتَقاً فَبِنَا أَمِيرَا (٣)
 ويحمد ذكر القيود مصورا في جاب شعري آخر ، حين وصفها
 الشعراء الذين عانوا نقلها واحسوا بوطنها الشديد على أيديهم ، واقدامهم
 قال المهلهل بن ربيعة ذاكرة القيود التي أوثق بها فحالت دون حراكه :
 واليك اشارةً المُجْتَلِ عَنِّي لَا يُؤَاتِي الْعُنَاقَ مَسٌّ فِي الْوَرِثَاقِ (٤)
 وقال ابو عجمي الضمعي ، وقد اوثق بالحديد والسلاسل التي حالت
 دون حركته وسيره قال :

اِذَا قُمْتُ عَنِّي الْحَدِيدُ وَأُغْلِقْتُ مَصَارِعَ دُونِي قَدْ نَصَبَ الْمُنَادِيَا (٥)

(١) يزيد بن عمرو بن الصق من وجوه قيس . ذكر انه كان يحضر
 مجلس ابن جفصة ، وهو الذي اسر رؤبة بن روماس احا المذر لاهمه . انظر
 الأغانى ١ : ١٣٨ معجم الشعراء : ٢٣٧

(٢) هو يوم بين بني تميم وعامر بن صعصعة . وكان سببه انه التقى قنن
 ابن عتابة الرباحي وبجير بن عبد الله العامري بمكاط . فقال بجير لقنن :
 ما فعلت فرسك البيضاء ؟ قال هي عندي وما مؤالك عنها ؟ قال : لا ، انها تجتث
 في يوم كذا وكذا . فابكر قنن ذلك وتلاعنا وتداعيا ، فكانت بعدها عارات
 وامرى بين الطرفين . انظر الكامل لابن الاثير : ٢٦٤ . ٢٦٥

(٣) التفاضل ١ : ٧٢ .

(٤) اسماء المعتالين : ٢٠٨ . وانظر ايضا شرح ديوان عنزة : ٩٧ ،
 ديوان عدي بن زيد : ٢٤٠ ديوان التابعة الجعدي : ١٠٣ : ديوان الخنساء :
 ١٢ . ٢٢ وانظر ايضا الشعر والشعراء ٢ : ٥٨٣ ، امثال العرب : ٦٢ ضرب
 الحديث ١ : ٣٢٢ - ٣٢٤

(٥) ديوان : أبي عجمي ٦٧

فصورة القيود والسلاسل الواضحة الملامع في البيئة العربية تتمثل في
الذهن العربي حين يتلو الآيات الكريمة : (خَذُوهُ فَعُتْلُوهُ ، ثُمَّ
الْجَحِيمَ صُتْلُوهُ ، ثُمَّ فِي سِلَاسَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) (١) . ففي هذه الآيات الكريمة تتابع
مشاهد التعذيب ، والعقاب ، حيث يوثق المجرمون بالسلاسل ،
والأغلال تلف أحسادهم فلا يطيقون الحركة ، ثم تتلصق هذه الصورة
لتحل محلها صورة أشد رهمة ، ورعباً ، وهي صورة الأصفاد التي يوثقون
بها : فنلهم لفأ ، لأن سياق الآيات العام يساعدنا على تصور هذه الرهبة
حين يوجه الخطاب إلى الملائكة بأخذ المجرمين عنوة وقوة (٢) ، ونضيق
وثاقهم بالسلاسل والقيود .

أما تحديد طول السلسلة التي يقيدها المجرمون في النار : والتي ذكرت
الآيات الكريمة أنها سبعون ذراعاً ، فقد ذهب فريق من المفسرين إلى
العدد الحقيقي فقالوا : (سبعين ذراعاً من ذراع الملك) (٣) . وروي
عن نوف البكالي (٤) أنه قال : كل ذراع سبعون باعاً كل باع أربع مائة
بينك وبين مكة ، وهو يومثل في مسجد الكوفة (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤

(٢) ويؤكد معنى القوة في أخذ المجرمين قوله تعالى : (يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ

بِالْوَاثِي وَالْأَقْدَامِ) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١

(٣) تنوير المقياس : ٣٦٦ ، جامع البيان ٢٩ : ٦٣

(٤) هو نوف بن فضالة البكالي . كان أماً لأهل دمشق ذكره ابن

حيان في الثقة وقال : كان راوية للقصص استشهد مع محمد بن مروان في انصافمة

ونوفي نحو سنة ٥٩٥ هـ الظر تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٩٠

(٥) جامع البيان ٢٩ : ٦٣

هكذا فهم بعض المفسرين طول السلسلة وتحديدها ، إلا ان الذي يتتبع الاستعمال اللغوي للعدد سبعة ، والأسلوب القرآني الكريم يجد انه سبحانه وتعالى نهج في بيانه البلاغي منهج العرب في أساليبهم ، وتعايرهم فقد ذكرت السبعة والبعون في التضعيف ، والتكثير وهكذا وردت في القرآن الكريم (١) ، والحديث النبوي الشريف (٢) في مواضع عديدة لا يراد منها العدد حقيقة ، وإنما مجازاً على سبيل المثل والكثرة لا العدد والحصص .

ومن الذين اشاروا الى هذه الناحية الازهري بقوله : (وأرى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان تستعير لهم سبعين مرة ، من يعفر الله لهم) (٣) ، في باب التكثير والتضعيف ، لا باب حصر العدد ، ولم يرد الله عز وجل ان زاد على السبعين عفر لهم ، ولكن المعنى ان استكثرت من الدعاء ، والاستغفار للمنافقين ، لم يعفر الله لهم) (٤) . وقال الزمخشري مؤكدا هذه الفكرة : (وجعلها سبعين ذراعاً ارادة الوصف بالطول كما قال (ان تستعير لهم سبعين مرة) (٥) : يريد مرات كثيرة ، لأنها اذا طالت كان الارهاق اشد) (٦) .

(١) المعجم المفهرس : ٣٤٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٤٣ :

(٣) سورة التوبة ٩ : ٨٠ :

(٤) عن اسان العرب ٨ : ١٠ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٨٠ .

(٦) الكشف ٣ : ٣٦٤ .

ب - طلاء القطران :

قال الله تعالى : (يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ سَبْعُ سَبْعٍ) .
 قاله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سراًيبلهم
 من قطران ، وتغشى وجوههم النار ، ليجزي الله كل نفس ما كسبت .
 إن الله سريع الحساب (١) .

فهي هذه الآيات نجد وصفاً للملابس أهل النار ، وكيف أنها تضيء
 صوراً وهيئة أخرى تزيد ملامح العذاب هولاً ورعباً .

فالسرايب هي القمص كما قال المفسرون (٢) واللغويون (٣) .
 والقطران فيه ثلاث لغات قطران ، قطران ، قطران (٤) : وقد احتلف
 المفسرون في تفسيره فقال بعضهم أنه الغناء الذي نهأ به الأبل الجربى (٥) .
 وقال بعضهم بل هو الصهر المذاب (٦) . وبمثل هذا التفسير الأخير

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٨ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، مجاز القرآن ١ : ٣٤٥ .

(٣) جوهرة اللغة ٣ : ٣٠٥ ، الصحاح ٥ : ١٧٢٩ ، لسان العرب ٦ : ٣٥٦ .

وانظر شواهد الشعر في ديوان عامر بن الطفيل : ١٤ ، شرح ديوان李白 : ٣٥٨ ،

المفصليات : ١٤٥ ، الوحشيات : ٢٢٦ ، وانظر ايضاً الصناعتين : ٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ ، الكشف ٢ : ١٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ .

(٦) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٦ .

قال من قرأ قَطْرًا (١) أي من صفر مذاب قد ناهى حره (٢) ومع ان القراءةين تقدم لنا معنى مشتركاً واحداً وهو السائل المذاب الشديد الحر سواء كان من صفر مذاب ، أو من الهاء الذي تنهأ به الابل فالذي يبدو ان القراءة الاولى واعتبار الكلمة اسماً واحداً (القطران) هي الأرجح ، لان أكثر القراء عليها (٣) . ولانها تقدم لنا صورة واضحة الملامح للبيئة العربية ، شديدة الصلة بحيوانها ، وذلك ان ابلهم كثيراً ما كانت تصاب بالجرب فاضطروا الى معرفة دواء يعالجوها به فكان الهناء أو القطران . وقد قالوا عنه (انه عصارة الابل ، والارز ، ونحوها ، يطبخ فيتحلب منه ، ثم تنهأ به الابل) (٤) . وقال ابو حنيفة : (رعم من ينظر في كلام العرب ان القطران هو عصير الصوبر ، وان الصنور هو اسم لوزة ذاك ، وان شجرته به سميت صنورا) (٥) . ولا يهمننا في هذا الباب اختلافهم في استخراج مادة القطران (٦) . وانما المهم معرفة صفة القطران ، ثم دلالاته على البيئة العربية ، ومعرفة العرب له قال علقمة الفحل واصفا ناقة :

(١) وهذا المعنى ورد القطر في قوله تعالى : (حتى اذا جعلناه نارا وقال اتوني افرع عليه قَطْرًا) سورة الكهف ١٨ : ٩٩ .

(٢) تنوير المقياس : ١٩٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٧ . وانظر ايضا ادب الكاتب : ٢٢١ لسان العرب ٦ : ٤١٧ .

(٣) التبيان ٦ : ٣١٠ .

(٤) لسان العرب ٦ : ٤١٦ ، الاجمل حمل شجر العرعر ، انظر الصحاح ٤ : ١٦٤٣ .

(٥) لسان العرب ٦ : ٤١٧ .

(٦) قد يكون هذا الاختلاف صادرا عن اختلافهم في استخراج هـ فيصنعه =

قَدْ أَدْبَرَ الْعُرْ عَنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا

من ناصع القطران الصيرف سيم (١)
يقول قد ذهب الجرب عن هذه الناقة ، ولكن بقايا القطران مازال
مطبياً على جسدها ، ومع اننا لا نستخلص من هذا البيت صفة من صفات
القطران ، الا انه يعكس لنا دلالة في الذهن العربي ، ومعرفة العرب له
قال الزعشمي مفسراً القطران ، ذاكراً صفاته بانه : (ما يتحلب من
شجر يسمى الابل يَبْطَبِخُ فتُهاً به الابل الجربى ، فيحرق الجرب بحرّة
وحده ، ومن شأنه انه يسرع في اشتعال النار ، وقد يستمرج به وهو
اسود اللون ، نتن الريح ، فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
كالسراويل وهي القصص انُجمع عليهم الاربعة : لدع القطران ، وحرقة ،
واسراع النار في جلودهم ، واللون الوحش و تنن الريح) (٢) . فالزعشمي
هنا يجمع كل الابعاءات التي تدل عليها كلمة القطران ، وهو شديد الحر
تطلى به اجساد الكافرين ، فتسرع النار اليها وتحبطهم من كل مكان .
وقول الزعشمي بانه اسود اللون مسجّم مع صفة ابحرّمين يوم القيامة ،
وانهم يكونون سود الوجوه (٣) ومن هنا يبدو ان قوله تعالى : (وترى
المُجرمينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ ،
وَتَنفَسِي وَجوهَهُمُ النَّارُ ، لِيَجْزِيَ اللهَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، انْ

= بعضهم من مادة ، ويصنعه اخرون من مادة اخرى .

(١) ديوان علقمة المحل : ٦ ، وانظر ايضا شرح ديوان كعب : ١٦٠ ،

والنظر ص ٨٤ .

(٢) الكشف ٢ : ١٨٥ .

(٣) انظر ص ١٣٩ فما بعدها :

الله سريع الحساب (١) لا يراد به وصف لباس حقيقي لاهل النار (٢) وإنما رسم صورة رهيبة لعذاب النار ، حيث تطل أجسادهم بمادة يسرع فيها طيب النار ، وتحرق جلودهم حتى يصل اللهب الى داخل ابدانهم . وقد عبر عن هذه الصورة بصيغ القطران الذي ينقلنا الى صور اعتادها العرب في بيئتهم . واطلاق اسم السراويل على هذه المادة يريد من هول الوصف ، ذلك لان الناس قد عهدوا الملابس تقيم اذى الحر ، والبرد (٣) ، فإذا بالمجرمين في النار يُسَرَّبَلُونَ بمادة لا تمنع عنهم الاذى ، بل تزيد في سرعة اشتعال اجسادهم ، واداهم . هذه المادة اعتادها العربي في بيئته ، وأليف ان يطلي بها ابنة الجوى ، فعرف صفتها ، وخبر شدة حرارتها ، فكيف به اذا قيل له انها ستكون بمثابة السراويل للمجرم يوم القيامة .! وبمثل هذا التعبير جاء قوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُبْصَتُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ، وَالْخُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كُلَّمَا ارَادُوا انْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ حَمَمٍ اُعِيدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَرِيقِ) (٤) فكان شمول النار واحاطتها باجساد الكافرين تشكل لباسا لهم .

انها صورة رهيبة تكمل جوانب العذاب حين تجتمع مع لظى النيران ، والقبود والأصفاد التي تشل حركتهم ، فلا يستطيعون الهرب ، أو التخلص

(١) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

(٢) تلخيص البيان : ٢٣٨ .

(٣) وبهذا المعنى ورد اللباس في قوله تعالى (وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ ، وَسُرَابِيلَ تَنَفِّكُمُ بِأَسْكُمْ . . .) سورة السجدة ١٦ : ٨١ .

(٤) سورة الحج ٢٢ : ١٩ - ٢٢ .

من العقاب ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب الدائم . (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَسْذُقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١) .

الفصل السادس

الثواب بالجنة

١ - وصف طبيعتها

٢ - اعتدال جوها

٣ - أنهارها وشرابها

أ - أنهار الماء

ب - أنهار اللبن

ج - أنهار الخمر

٤ - صنوف أخرى من النعيم

أ - لباسهم

ب - أساور الذهب والفضة

١ - وصف طبيعتها

لقد مرّت بنا سابقاً صور العذاب في النار . ودلالاتها على البيئة العربية ولقارنها الآن بـصور المعيم التي يثاب بها المؤمنون . والنار الحامية التي يعذب بها المجرمون ، وسقون من شرابها النار المحرق ، تقابلها صورة الجنة العالية والعيون والأنهار الحارّة ، والعرش الحميلة المنصوبة . قال الله تعالى :
 (وجوه يومئذ حاشية ، عاملة ناصّة ، تتصلّى ناراً حامية . تُسقى من عَيْنٍ آتية ، ليس لهم طعام إلا من صُرّيع ، لا بُسْيسُ ولا بُغْي من جُوع وجوه يومئذ ناعمة ، لِنَفْسِهَا راضية ، في جنة عالية ، لا تسمع فيها لاعبة ، فيها عينٌ جارية ، فيها سُرُرٌ مرفوعة ، وأكوابٌ موضوعة) (١)
 وفي سورة التّكوير نجد العرص المربع لمشاهد القيامة المتتالية من اضطراب السماوات والأرض ، ثم موقف الحساب ، والقضاء حيث يصدر بعدها قرار الحكم في النار أو الجنة . (إذا الشمسُ كبُورت ، وإذا النجومُ انكدرت ، وإذا البحالُ سُيِّرت ، وإذا العِشَارُ عُطِّلَت . . . وإذا المؤودَةُ سُئِلَت بأيّ دَب قُتِلَت ؟ وإذا الصحفُ نُشِرت ، وإذا السماءُ كُشِطَت وإذا اللحيمُ سُمِّرت ، وإذا الجنةُ أزيلت . . .) (٢) وقد ورد ذكر الجنة في (١٢١) آية (٣) على أنها المثوى الأخير للمؤمنين ، وتقابلها النار قرار المجرمين الأبدي .

(١) سورة العاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة التّكوير ٨١ : ١ - ١٣ .

(٣) انظر المعجم المفهرس ١٨٠ - ١٨١ .

وقد فسرت اللجنة بأنها البستان المخفوف بالشجر ، المتكاثف بالخيل (١) وكذلك قال النغريون (٢) . وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى . قال امرؤ القيس :

تَبْصُرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنِ
سِوَالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمِي شَعْبَعِبِ
عَلَّوْنَ بِانْطَاكِيةَ فَوْقَ عَقْمَةِ
كَنْجِرْمَةٍ تَخْلِي أَوْ كَنْجَنَةٍ يَثْرِبِ (٣)

لمجموعة الطعائن في سورها ، وارتفاعها ، تشبه عند الشاعر مجموعة الخيل ، أوجمة يثرب بحيلها وأشجارها العالية ، مما يعطينا صورة واضحة لدلالة الحنة في الذعر العربي ، وإطلاقها على البستان المتكاثف الأشجار . وكذلك فسروا الفردوس بالجنة (٤) ، إلا أنهم اختلفوا في أصلها (٥) .

(١) معاني القرآن الورقة ١٨ (ب) تفسير الحمسمائة آية : الورقة ٥٠
البيدع : ١٣٧ التبيان ٦ : ٢٤٦ : حقائق التأويل ٥ : ٢٤٦ : الكشف ١ : ١٩٨
(٢) الصحاح ٥ : ٢٠٩٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٥٣
(٣) ديوان امرؤ القيس : ٤٣ ، ٥٨ ، ١١٥ ، شرح ديوان عنترة
٨٠ : المفصليات : ١٠٦

(٤) جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨
(٥) قال بعضهم إنها عربية مأخوذة من الفردسة وهي السعة . انقراء عن
لسان العرب ٨ : ٤٣ - ٤٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٣ ، المغرب : ٢٤١ ،
وقال بعضهم بل هي رومية - جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨ ،
الاتقان ٢ : ١٣٩ ، شفاء العليل : ١٩٩ ، وذهب آخرون - وهو الأرجح -
إلى أنها كلمة توافقت فيها اللغات القديمة السامية والشرقية بصورة عامة انظر ذيل =

وإذا قارنا صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم بالبيئة العربية استطعنا ان نتصور الانحاءات الجميلة التي توحىها الآيات الكريمة في الذهن العربي ذلك لاننا نجد للزرع ، والأشجار بصورة عامة أهمية عظيمة في حياة العرب وتعايرهم وتفكيرهم ونظراً لتعلقهم بصور النخيل فقد أداروها في اشعارهم وتشبيهاتهم فكثيرا ما وصموا الصعائن في ارتماع هواجهم ، واختلاف ألوانهن ، وشبهوها بالنخيل ، وطلعه المختلف الألوان . قال امرؤ القيس :

فَتَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا
 حَدائقَ دَوْمٍ أو سَفِيَا مُقَيَّرَا
 أو المكَرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنْ
 دَوْبِرَ الصَّغَا اللَّاتِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا
 سَوَامِيَّ حَبَابِ اثِثٍ فُرُوعُهُ
 وَهَاتِلِينَ قَنَوَانَا مِنَ الثُّبْرِ أَحْمَرَا

فسرعة الاصعان ، وسيرها في الصحراء الواسعة تشبه صد اشاعر النخيل التي تتعالى سامقة في السماء . وتفتنوا بوصف الناقة وشبهوها بهدجلة في امتداد صلبها . (١) كل هذه التشبيهات تعطينا صورة لأهمية الشجر ، والنخيل في الذهن العربي (٢) ، وكيف انها وجدت في بينتهم وحبوها كل الحب ، الا ان وجودها كان محدود النطاق اذ افترقت اليه =
 الالفاظ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٣ ص ٢٣٦ ، الدخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م ١١ ج ٢

(١) راجع في هذا تشبيه شرر النار بالجماليات ص ٢٢٨

(٢) لقد بلغ تعلقهم بالأشجار ان بعضهم قدسها وعيدها . انظر الميثولوجيا

عند العرب : ١٠٩ فما بعدها

كثير من المناطق ، نظراً للبيئة الصحراوية التي تفتقر في كثير من اماكنها الى العشب اضافة الى الشجر والتحليل .

هذه الصورة تعكس في الدهن العربي نعيم الجنة ، وحملها الطبيعي الرائع الذي طالما ناقت اليه نفوسهم فوجد في وصف الجنة الحيل ، والاشجار المتداية القطوف الوفيرة الاثمار ، والاعباب : (ولئن حاف مقام ربك جنتان ، فبأي الآم ربكما تكذبان ؟ ذواتا أفنان ، وبأي الآم ربكما تكذبان ؟ . فيهما عينان تجريان ، وبأي الآم ربكما تكذبان ؟ فيهما من كل فاكهة زواج ، وبأي الآم ربكما تكذبان ؟ ومن دونهما جستان فبأي الآم ربكما تكذبان ؟ . مدهامتان ، وبأي الآم ربكما تكذبان ؟ . فيهما عينان بضاحتان ، وبأي الآم ربكما تكذبان ؟ . فيهما فاكهة ، ونخل ، ورمث . . .) (١) وقال تعالى معداداً نعم الجنة الكثيرة ، وناقهة المشوعة ، والطعام اللذيذ ، وانظّل الوارف الحميل مع وفرة المياه ، والحل ، والاشجار : (واصحاب اليمين ، واصحاب اليمين ، في سدر مخضود ، وطلح مسنود وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ، ولا ممتوعة) (٢) . لقد احب العرب العشب الذي قرعاه ما شبتهم ، واحبوا المطر ، وترقبوه لأن في انعدامه افتقاراً للعشب وموتاً لحبوانهم ، وما شبتهم . ولما كان لون العشب احضر فقد تعلقوا بهذا اللون ، واعتسروه احب الألوان الى نفوسهم ، « هو لون الشباب المحب ولذلك قيل اذا توفي الرجل شاباً قد احتضر (٣) . ذلك لأنه توفي في ريعان شبابه كالفصن حين يكون

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٦ - ٥٣ ، ٦٢ - ٦٨

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٣٣

(٣) الصحاح ٢ : ٦٤٧ ، لسان العرب ٥ : ٣٢٧ .

على أحسن حال ، واحمله ، أيام خضرته ، ونصارته .
 أما إذا ارادوا الدعاء على قوم ، فانهم يدهون عليهم بالجدب ،
 والحرمات من الحصب فيقولون : اباد الله حضراءهم (١) . لأن الخصرة
 مقربة بالخبر والتعيم ، وإذا ارادوا التعبير عن دوام المحبة قالوا (الامر
 بيننا اخضر اي جديد لم تخلق المودة بيننا) (٢) . ومن هنا قال ذو الرمة
 واصفا الوصال بالخصرة :

أزربُ ممي والوصلُ أخضرُ ولم يعبرُ وصلتها المغبرُ (٣)
 فأيام الوصال وصفها بالخصرة لحالها ، واقتربها بالحدة والسهجة
 أما وصف الاشخاص بالخصرة ، فقد ذهب بعضهم الى ان المراد به الفخر
 وهم اذا ارادوا مدح الرجل نعتوه بالاحصر (٤) كقول اللّهي (٥) .
 وأنا الأخضرُ من يعرّمي أخضرُ الجادة في بيت العرب (٦)
 ويبدو ان هذا البعث لا يراد به الفخر من حيث دلالة اللون على

(١) الفراء عن لسان العرب ٥ : ٣٢٩ ، ادب الكاتب : ٥٠ ، مجمع الامثال

١ : ١٠٩ .

(٢) اساس البلاغة : ٢٣٦ .

(٣) ديوان شعر ذي الرمة : ٢٠٢ ، اراجيز العرب : ١٠ .

(٤) احساس الشعراء العرب بالالوان والاصوات ، مجلة كلية الادب

العدد الاول لسنة ١٩٥٦ ص ٨ ، الوصف في شعر العراق : ٩٧

(٥) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي ثعلبة احد شعراء بني هاشم وكان

ممن قدم على عبد الملك بن مروان ابصر المعارف : ١٢٦ ، الاغانى ١٥ : ٨٠ - ١٠
 المؤلف والمختلف : ٤٩ .

(٦) الحيوان ٣ : ٢٤٨ ، المؤلف والمختلف : ٤٩ ، اساس البلاغة : ٢٣٦

لسان العرب ٥ : ٢٨ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٧ .

العمرة ، والخير ، وأما أريد به لون الشرة . قال ابن قتيبة معلقا على البيت : (الخضر السواد أراد الأدمة) (١) .

وروى ابن منظور تعقيبا على البيت (يقول ان لون العرب السمرة) (٢) وقال المبرد شارحا ابياتا لحسان ، ورد فيها ذكر خضر بني خلف قال : (يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس) (٣) (البيت) . وقال (فهذا على القول الاول . وقال اخرون شبههم في جودهم بالبحار ، لما يرى من لون الخضر في مياهها) (٤) . وكون الشاعر مدحهم لأنهم شبههم بالبحار التي وصفت بالخضر عبر واضح المعنى ، ألا إذا أريد به اللون القاتم الذي يرى في مياه البحر حين تبرد ، وتضطرب شدة . ومن هنا يبدو لنا ان الشاعر أراد الفخر بكونه من العرب الحماص الذين لم تشبههم حمرة الاعاجم (٥) . وهذه التسمية هي التي نعت لنا وصفه جل من قائل الجنة بالدمية : (ومن دونها جنتان ، فباي الاء ربكما تكذبان ؟ مدها متان) (٦) . وذلك وصف لخضرتها بانها لشدة رباها ، ونضرتها

(١) المعارف : ١٢٦ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٣٢٥ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٢١٧ .

(٤) م . ن .

(٥) واطلاق الخضر على السمرة او السواد ناتج عن طبيعة الالوان ، وصعوبة تحديدها وقد مر بنا سابقا ان اللوق العربي اعتبر البياض المشوب بالصفرة اجمل الالوان واحلاها انظر ص ١٤١ .

(٦) فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .

تبدو زاهية ، وتقرب الى لون السواد . قال الجاحظ . (واحسن الخضرة ما ضارع السواد . قال الله عز وجل ومن دونها حبتان ، ثم قال لما وصفها وشوق اليها مدهاتان) .

هذا اللون اخضر الى نفس العربي هو الذي يتمثل في الدمن عند قراءة الآيات الكريمة التي تخص ثواب الجنة ، واشجارها ورياضها .
وهناك آيات اخرى تجسد صورة الخضرة المحبة الى نفس العربي ، وذلك ان لون ثياب اهل الجنة وصفت بالخضرة دون الالوان الياقية لما لهذا اللون من انحاء جميل في نفوس العرب ، ودوقهم العام . قال الله تعالى (اولئك هم حباتُ عدن تجزري من تحتهم الانهار ، يُحَلِّقُونَ فِيهَا مِنْ اَساورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَيُلبَسُونَ ثِيَابًا خضراءَ مِنْ سُندُسٍ واستبرق، متكئينَ فيها على الارائكِ نعيمَ الثوابِ ، وحسبتُ مرثعًا) (١) .
وقال تعالى (متكئينَ على رفرفٍ خضرٍ) (٢) هذا اللون الجميل المحب نجده في وصف ملابس الملوك ، وذلك انهم كانوا يوشونها باللون الاخضر (٣) . كما نجد في وصف الملابس ان بعضها لا تكون الا خضراء اللون (٤) . مما يعكس لنا اهمية هذا اللون ، وحسب النوق العربي له (٥) .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣٦ .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ ، وانظر الكشاف ٣ : ١٩١ .

(٣) أطر ديوان النابغة الذبياني : ١٢ .

(٤) انظر في هذا مقال الأنسجة في مجلة الأبحاث ج ٤ كانون الأول السنة ١٤

١٩٦١ ص ٥٦٦ ، ٥٧١ .

(٥) انظر في هذا مقال البيئة العربية في القرآن الكريم مجلة البيئة السنة الأولى

العدد ١٠ - ١٩٦٣ - ١٣٨٢ هـ .

ومن هنا يتضح لنا ان الخصرة في القرآن الكريم تحسيد للدوق العربي الذي احبها وشعب بها ، لأنها تمثل في نظره الخير ، والرفاهية ، واخياة الدائمة . وكل هذه الصور ترسم في الدهن عند قراءة وصف الجنة ، وطبيعتها المشرقة الزاهية .

٢ - اعتدال جوها

ان لطى النار ، وحرها الشديد تقابله في الجنة صورة معاكسة إذ وصف جوها بالاعتدال ، وطيب اهواء : (لايتبرون فيها شمساً ، ولا زَمْهَريراً) (١) أي اهم في الجنة في جو معتدل لا يعانون الحر الشديد الذي يعانيه أهل النار ، ولا البرد القارص المؤذي . وفي هذا رد لاعتراض الزرادشتية الذي مر بنا ذكره (٢) . فكما نفي عن الجنة الحر الشديد الذي عاناه العرب ، فكذلك نفي عنها البرد الشديد القارص ، وهو أبصاً مما عاناه العربي في بيئته لأن بلاد العرب لم تكن أرض مموم وحر فقط ، اما عانت البرد والحر على اختلاف فصول السنة ، وان كانت صور الحر أوضح ملامح في الشعر الجاهلي من صور البرد ولعل مرد ذلك الى ان الحر يصحبه عطش مصر . يؤلم العربي ويؤذبه أما في البرد فقد اكتسوا بوصف شدة البرد ، وحاجتهم الى الدفء .

ومعرفة العرب للبرد هو الذي أوحى لبعض المفسرين تفسير العساق في قوله تعالى : (لايتذوقون فيها برّءاً ، ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً) (٣)

(١) سورة الانسان ٧٦ : ١٣ .

(٢) أنظر ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٢٥ .

وذلك لأبهم قالوا بأن ما يسقاه أهل النار إنما هو شراب لا يستطيعون ذوقه لشدة رده (١) . مما يدل على أن العرب عانوا من أدى البرد ، مثلما عانوا الحر ولظاه حتى همموا أن البرد يمكن أن يكون وسيلة من وسائل التعذيب يوم القيامة .

لقد عرفت الطائف باعتدال هوائها ، وطيب جوها ، ومع ذلك فقد ذكر أن درجة البرودة تصل فيها أحياناً إلى درجة يجمد فيها الماء (٢) ، وكذلك الحال مع باقي جبال الحيرة العربية قال المقدسي . (وأما ما كان من ناحية الجبال فهي باردة) (٣) ، وسميت آكام بلاد الأزدي (آل قراس لكثرة ثلجها) (٤) .

وكما وجدنا صورة الحر وصحة الملامح في الشعر الجاهلي ، فكذلك نستطيع أن نجد فيه وصفاً لشدة البرد ، ورياحه القارصة . قن حاتم الطائي :
أوقيدَ فأنَّ الليلَ ليلٌ قرٌّ والريحُ باموقيدُ ربيعٌ صرٌّ (٥)
وقال آخر (٦) :

إذا كانَ الشتاءُ عادُ فيثوني فأنَّ الشَّيخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ (٧)
ومن هنا كثرت وصفهم لنار الاصطلاء ، وقرتهم منها ، وحبهم لدفعها

(١) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشاف ٣ : ١٨ .

(٢) صورة الأرص : ٣٢ ، أحسن التقاسيم : ٧٩ ، آثار البلاد : ٩٨ ، قطعة

من كتاب في الحفرافية ، الورقة ٦٦ (ب) .

(٣) أحسن التقاسيم : ٧٠ .

(٤) مدح البلدان ٤ : ٤٦ ، معجم ما استعجم ١ : ٩٢ .

(٥) ديوان حاتم الطائي : ٥٩ .

(٦) حقائق التأويل ٥ : ٢١٧ ، ولم أعثر على نسبة البيت .

(٧) ثمار القلوب : ٤٦٠ .

ومما يحكى في هذا الباب ان اعرابياً اشتد عليه البرد ، فأصاب نارا ، فدنا منها ليصطي وهو يقول : (اللهم لا تحرمنيها في الدنيا والآخرة) (١) . ومع ان الطامع الاسلامي واضح في هذه الحكاية الطريفة ، فان لها دلالتها على البيئة العربية وقت الشتاء وكيف ان البرد يشتد فيها الى درجة يتمنى فيها المصطي النار في دنياه وآخرته ! ومن هنا وصموا أذى البرد الذي تعالسه حيواناتهم (٢) .

ومع ذكرهم لصور البرد ، ومعاناتهم له في البيئة العربية إلا انه لا يبلغ مبلغ تصويره الحر الشديد ، ومعاناتهم العطش فيه ، ومن هنا كان تحويق القرآن الكريم بالحر اضعاف ما خوف بالبرد .

ومن هنا يستطيع العربي ان يمثل الصورة المشرقة للجنة في انعدام الحر ، البرد الشديدين ، ويستطيع ان يتصور السعادة المتناهية التي يتأب بها المؤمنون في الجنة .

٣ - انهارها وشرابها :

أ - انهار الماء .

والى جانب المحصرة المحسة ، والأشجار الجميلة نجد في وصف الجنة صورة أخرى تزيد المشهد روعة وحالا ، الا وهي صورة الأنهار الجارية

(١) ثمار القلوب : ٤٦٠

(٢) ديوان جبران النود : ٧ شرح اشعار الهذليين ١ : ٦٨ ، المفضليات :

١٢٦ ، ١٧٧ اسماء المفتالين : ٢٤٢ ، الحيوان ٥ : ٧٥ ، الأزمئة والأمكنة

٢ : ٢٤٢ ، أواجيز العرب : ١٠٩

الوفرة المياه . وقد وردت في (٣٨) آية (١) . كلها تصف الجنة التي تجري من تحتها الأنهار (وَيَبْشُرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ حُضُنًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كلما رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ قَالُوا : هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلَ ، وَاتَّوَابَهُ مُتَشَابِهًا ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢) . وقال تعالى ايضاً : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا . تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) (٣) وفي سورة محمد (ص) نجد صورتين متعاقتين احدهما صورة الجنة التي تجري فيها الأنهار وقد عدد الله سبحانه وتعالى انواع هذه الأنهار بعضها من ماء صاف وبعضها من لبن ، او نحر ، او عمل كلها اعدت لينعم بها المؤمنون . هذه الصورة تقارن بأحرى بلها ، وهي صورة العذاب وما يلاقه المجرمون في النار حين يسقون الماء الحميم الشديد الحرارة ، فتقطع اعمارهم (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَعْقَرَةٌ مِنْ رُبِّهِمْ كُنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) (٤) .

وإذا بحثنا الماء في القرآن الكريم في غير الآيات التي تخص القيامة

(١) انظر المعجم المفهرس ٧١٩ - ٧٢٠

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٥

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣٥

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٥

نجد له أهمية كبيرة ، فقد ورد في (٣٤) آية (١) تصور الماء على انه من العم العظيم التي اصبغها الله سبحانه وتعالى على البشر ، فهو أساس الحياة : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (٢) ومع ذلك نجد شح الماء ، وقلته في البيئة العربية ، وحيثما نقرأ نجد ذكر الماء ، والعطش ذلك ان الصحراء العربية لا توجد فيها انهار دائمة الجريان ، وانما وديان تسير فيها المياه وقت الامطار ، وسرعان ما تنلشى ، وتعود (٣) . فلا يوجد في مكة مثلاً ماء جار اهدأ (٤) . الا ما يجتروونه من الآبار والعيون (٥) . فالمدينة حياتاً على السيول وقت الامطار ، وعلى الآبار سائر السنة (٦) . اما جدة فان اهدأ في تعب دائم ، من الماء كما يقول المقدسي (٧) . اما سائر اجريرة العربية فان اعتمادها الكلي على الأمطار التي قسدت تشح احياناً فتركهم في يأس من الحياة والمراعي (٨) . وقد

(١) المعجم المفهرس : ٦٨٤

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٠

(٣) صورة الأرض : ٢٧ ، وانظر أيضاً هذا العالم : ٣٣٣ . اما ما يذكر عن سد مأرب والمياه التي تجري في انهاره ، فانما احتضر العرب هذه الانهار ليوصلوا اليها السيول التي تسيل من الجبال . انظر الاعلاق النفيسة : ١١٢ ، احسن التقاسيم : ٩٥

(٤) اسماء جبال تهامة : ٤٤

(٥) البلدان : ٣١٦ ، صورة الأرض : ٢٩ المسالك والممالك : ١٣٤ ،

معجم ما استعجم ١ - ٢٦٩ ، معجم البلدان ٤ : ٦٢٢

(٦) البلدان : ٣١٢

(٧) احسن التقاسيم : ٧٩

(٨) هذا العالم : ٣٣٣

تخلو بعض المناطق من الآبار ، والعيون ، فتتعدم فيها الحياة (١) . وحول الماء وحجر الآبار دارت الأساطير العربية ، وكلها تصور التقديس الذي احيط به الماء (٢) .

وقلة المياه ، والحرمات منها عرصت العرب في كثير من أسفارهم الى الخطر المحدق حيث يعانون من أذى العطش والظمأ ما يعرضهم الى الهلاك . ومن هنا أوجدوا طريقة يقسمون بها الماء ، وذلك انهم يضعون حصاة في اناء ، ثم يصب فيه من الماء قدر ما يعمر الحصاة ، فيعطاه كل رحن منهم ، واسموا هذه الحصاة بالمقنة (٣) وهذه الطريقة تطلعنا على شع الماء في بيئتهم الى درجة يقسمونه فيها ، بقدر ما يعمر الحصاة . واذا كانت البيئة العربية قد حرمت الأنهار ، وشحت بها المياه فمن الطبيعي ان يكون اعتمادهم الكلي على الأمطار ، ومن هنا صارت لهم خصبة عظيمة في تقع مواقع المطر ومعرفة السحاب المطر ، أو الحادع (٤) . فاذا انقطع عنهم المطر واحتبس فان هناك قروصاً

(١) صورة الأرض : ٣٤ ، جزيرة العرب لسيري : ٢١

(٢) المثالب : الورقة ٣٠ - ٣١ ، المحق : ٤١٣ فما بعدها ، المحاسن والأضداد : ٧٨ ، المحاسن : ٤١٥ ، ثمار القلوب : ٤٤٤ . وقد خص العرب القدماء الماء بأحاديث طويلة ، قدحوا الماء الزارد ، وذكروا منافع الماء وميروا به العذب والردى كل ذلك نتيجة حبهتهم به . انظر الدلائل والاعتبار : ٦١

المحاسن : ٤٧٠ مختصر البلدان : ٢٢٠ أحسن التقاسيم : ١٠١

(٣) امثال العرب . ٦١ ، الغريب المصنف : الورقة (٢٤٨)

بجانب العلماء : ٢١٦ ، ٢١٧

(٤) انظر الأشباه والتضائير ١ : ٥٥ ، أمالي القاضي ١ : ٨٤

عديدة يقدمونها لاستئزال المطر ، ومنها صلاة الامتنعاء (١) ، أو الزبران التي يوقدونها (٢) ومن ها عد بعضهم الكواكب التي لا يمحرون عدها رهة منها ، وحقوا (٣) كما عهد آخرون المحوم التي اذا طلعت عليهم توقعوا نرول الأمطار ، وكثرة الخيرات (٤) .

ومن هنا نرى أي صورة جميلة ، تلك التي ينقلها لنا الاعرابي حين يشبه صوت حبيته بانقطر الذي يسمعه الراعي بعد سنين طويلة محبة وقد أصاخ سمعه ، وملأت الفرحة قلبه في انتظار المطر :

وَحْدَيْتُهَا كَالْقَطْرِ بِسَمْعِهِ رَاعِي مَنِينَ تَتَانَعَتْ تَجْدِي
فَأَصَاحَ بِرُجْرٍ أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَيَقُولُ مَنْ قَرَحَ حَيًّا رِبَا (٥)
ومن ها كان دعاؤهم للميت ان يسقي قبره المطر (٦) : كما نجد

(١) انظر صحيح مسلم ٣ : ١٢١٢ : الأرمة والانباء : ١٣٦ ،
بلوغ الأرب ٢ : ٣٠١

Envy of Religion . Art Religion of the Semites (2)
1 : 669

(٣) من ذلك عبادتهم للذبران انظر بلوغ الارب ٣ : ٢٣٩ : الميثولوجيا
عند العرب : ٧٨

(٤) من ذلك عبادتهم للتريا انظر بلوغ الارب ٢ : ٢٤٠ ، الميثولوجيا
عند العرب : ٨٤ ، ١٠٠

(٥) الأشاء والنطائر ١ : ٥٥ ، الامالي للقالبي ١ : ٨٤ وانظر
ايضاً المنازل والديار : الورقة ٣٧ ، اسرار البلاغة . ١٢٤

(٦) ديوان الخشاء : ١٥ ، امالي اليزيدي : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤
الاشاء والنطائر : ٦

في ذكر إيمانهم أنهم كانوا يقسمون بالمطر ، وعثر المطر (١) . وقال الجاحظ : والماء قد يكون للقسم كقول الشاعر :

عَضَيْتِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى
ويقولون لو علم فلان إنَّ شربَ البارد يصع من مروءته لما دافقه (٢)
وقال طفيل مقسماً بالماء .

وَلَا أَقُولُ وَجَمَّ الْمَاءُ دُونَكَسِرٍ مِنَ الْحَرَارَةِ إِنَّ الْمَاءَ مَشْغُولٌ
ولأهمية الماء في نفوسهم سمو بعض الأشخاص باسم ماء السماء (٣) .
ونجد أهمية الماء في البيئة العربية متمثلة في الشعر العربي في كافة أعراسه ،
فتجده في الفخر والمديح والفرل وغيرها من فنون الشعر ، فإذا أراد شاعرهم
الفخر ، فأنما يعجز بشرب قومه الماء الصافي على حين يشرب غيرهم الكدر
قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وَأَنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفَوُا وَيَشْرَبُ غَيْرُهُمَا كَدْرًا وَطَبَا (٤)
ويعجز شاعرهم بأنه يمنع نفسه لذة الشراب ، لأنه يؤثر رقيقه

(١) من ذلك قولهم لا ومقطع القطر ، أنظر الأملاني للقياسي ١ : ٥٠ ، إيمان
أعرب : ٢٠ ، وتروى لا ومقطع القطرة . أنظر المخصص ١٣ : ١١٨ ، المزهري ٢ : ٢٦٢
(٢) الحيوان ٥ : ١٤٨ ، وقد علق محقق الكتاب على قول الجاحظ بقوله :
(والحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به ، وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة) ويبدو
أنه حتى في حالة كون الماء مقسم عليه فإن له دلالة على أهميته في البيئة العربية .
والبيت غير منسوب ، وانظر أيضاً مختصر البلدان : ٢٢٢ .

(٣) الحيوان : ١٤١ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع : ٤٧٥ .

(٤) شرح القصائد السبع : ٤١٩ .

بالشراب فيه ، مما يظهر لنا قلة الماء ، وحاجتهم إليه ، قال أبو دؤاد (١) :
 لا يحافُ التَّدِيمُ حَتَّى عَلَى الكَأْسِ ولا يَحْدَرُ الصَّدِيقُ حَقْوِي
 أَمْنَعُ النَّفْسَ لَدَةَ المَاءِ طَمَآنَ إذا لمْ يَسْأَلْ قَبْلَ رَهِيْقِي (٢)
 أما في الهجاء الذي نعكس فيه مثل الفجر والمدح ، فمجددهم إذا
 أرادوا هجاء شخص شهوه بالماء انكدر المالح

لو كَتَّ مَاءٌ كَتَّ لَا عَذَبَ المَذَاقِ وَلَا مَسَاسَا (٣)
 ومن إثبات الماء ووروده صدرت عن العرب أمثال عديدة تعكس
 كلها أهمية الماء (٤) . وأثره العظيم في نفوسهم ولغتهم ، ومن هنا لو أن
 الماء تعابيرهم ، واكتسب به ألفاظهم فقالوا : (صغ له ماء ، وفلان ليس
 في وجهه ماء) (٥) .

هذه الصورة المحبة للماء ، والأهمية العظيمة التي نجدتها في حياة العربي
 هي التي تحدد لنا الصورة الرائعة للجنة التي أعدها الله للمؤمنين ، وأجرى

(١) هو أبو دؤاد الأبادي احتدموا في اسمه فقال بعضهم هو جاريتي بن
 الخجاج ، وقال غيرهم هو حنظلة بن الشرفي . شاعر جاهلي كان من وصاف الحبيل
 وكان في عصر كعب بن أمية الأبادي الذي أثر نصيبه من الماء رفيقه اسمرى
 فمات عطشاً . أنظر الشعر والشعراء ١ : ١٦١ ، الأعاني ١٥ : ٩١ ، حراة الأدب
 ٤ : ١٩٠ .

(٢) الحماسة البصرية : الورقة ١٧٢ (ب) .

(٣) ديوان السموال . ٩٣ ، ديوان النابعة الجمعدى : ٧ شرح القصائد التاسع :
 ٢٧٣ ، الأملاني للقالى ١ : ٣ ، ثمار القلوب : ٤٤٥ ، الجبال والأمكنة : ٦٦ .

(٤) أمثال العرب : ٢٢ .

(٥) ثمار القلوب . ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، وانظر في هذا ، الماء في الأدب العربي : ٧ .

فيها الأنهار لواسعة ، والمياه الوفيرة ، وكما استطعنا من قبل ان نتصور مدى
التصور المعجز الذي رسمته الآيات الكريمة للعطش . (ونادى أصحاب النار
أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ، أو نمارز فككم الله ، قالوا ان
الله حرمهما على الكافرين) (١) . فمع ان آيات الكريمة تصور لنا العطش
المؤلم الذي يعانيه أهل النار ، فيتمنون قليلاً من الماء ، فإنا من ناحية الأخرى
نعكس لنا نعيم الجنة ، فتجتمع الصورتان لتكمل الإعجاز الرائع في تصور
عذاب النار ، ونعيم الجنة . فصورة الجنة الوارفة الظلال المتنوعة الأشجار
مع الأنهار الوفيرة والعيون المتفجرة ، تقاسمها صورة النار ولظاها ، والحرمات
من الماء .

وصورة الأنهار الجارية هي التي تكمل صورة الطهنة الرائعة في القرآن
الكريم وقد ذكر هذا الرمحي بقوله . (ولولا ان الماء الحار من لعمنة
والنذة الكبرى ، وان الجمان والرياح وإن كذبت آتت شي . وأحسه لانروق
المواطر . ولا تنهح لأنفس ، ولا تجلب الأربحية والنشاط حتى يجري فيها
الماء . والا كان الأنس الأعظم فائتاً والسرور الأوفر مفعوداً . وكانت
كتنايل لاروح فيها . وصور لاحياة لما جاء الله بذكر الجنات مشوعاً
بذكر الأنهار الحارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيتين لاند لأحدهما
من صاحبه) (٢) .

وفي الآيات التي وردت فيها احنة غير مقترنة بالأنهار مجدها مقرونة
بالعيون المتفجرة بالمياه الى جانبها صورة أخرى هي صورة المحرمين مع الماء الحار
قال الله تعالى : (هذه جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْدَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ، بِطُوفُونَ فِيهَا ،

(١) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٢) الكشف ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ .

ومن "تحييم" ان ، فأى الآم ربكما تكذبان ٩ "ولين" خافاً مقام ربك
 حستان ، فأى آلام ربكما تكذبان (١) . وقال أيضاً (من أنالك
 حديث العاشية ، وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصية ، تصلى بارأ حامية
 تسقى من عين آية ، لبس لم طعام إلا من صريع ، لايسمن ولا يعي
 من جوع ، وجوه يومئذ ناعمة ، ليسعها راضية ، في حنة عالية ،
 لاتسمع فيها لاغية ، فيها عين جارية" (٢) .

وإذا كانت عبود وآبار الحياة الدنيا معرضة للجفاف والنفاذ ، فإن
 عيون الجنة وفيرة المياه دائمة التفجير (عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها
 تفجيراً) (٣) . فاقتران عين الجنة بالمصدر (تفجيراً) تبين مبرتها ، وجمالها
 بأنها دائمة التفجير غير مقترنة بزمن معين .

وفي كل هذه الآيات ترسم في الذهن الصورة اخصبة للماء ، والجمال
 الذي تثيره الآيات الكريمة في تصوير أهار الجنة ووفرة المياه فيها (٤) .
 وقد وصفت كؤوس شراب أهل الجنة بأنها ممزوجة بطعم الزنجبيل
 قال الله تعالى : (ويطاف عليهم بآية من فضة وأكواب كانت قواريرا
 فواريرا من فضة قدروها نقديرا ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها
 زنجيلاً عساً فيها تسمى سلسيلاً) (٥) فالزنجبيل مما ينت في بلاد العرب
 بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض وأحوده ما يؤتى به من الزنج

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة العاشية ٨٨ : ٢ - ١٢ .

(٣) سورة الانسان ٧٦ : ٦ .

(٤) أنظر في هذا مقال البينة العربية في القرآن الكريم مجلة البينة السنة الأولى

العدد العشر ١٩٦٣ ص ٣٣ فابعدها .

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

أو بلاد الصين (١) . وكانت العرب تستمد طعمه ، وتستطيبه . قال الطوسي (الرنجيل صرب من القرفة طيب الطعم ، يلذع اللسان ، يربي بالعل ، يستدفع به المصار إذا مزج به الشراب فاق في الالداد . والعرب تستطيب الرنجيل جداً قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَرْفُلَ وَالرَّنْجِيلَ بَاتَا مَعَهَا وَأُيُوسًا مَشُورَا (٢)
فالرنجيل مما استلذته العرب ، واستطاعت ، وقد اشتهر به رقيق المرأة في تغزيم بها ، قال امرؤ القيس .

كَأَنَّ الْمُدَامَ بِأَنْبِيَاءِهَا وَصُوبَ الْغَمَامِ بِمَاءِ عِلِّهَا
وَطَعْمَ السَّقَرِ حُلَّ الرَّنْجِيلِ عِلَّهَا ، وَبَصَافِي الْقَسَلِ (٣)
وقال الأعشى متعزلاً :

كَأَنَّ طَعْمَ الرَّنْجِيلِ وَتَمَا حَا عَلَى أَرِي الدُّسُورِ تَمَلُّ (٤)
أما رائحة الشراب فإنه معطر بالكافور قال الله تعالى : (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيراً ، إِنَّ الْأَرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَنِئْنَا بِشَرَبِهَا عَادُ اللَّهِ يُمْسِجُونَهَا تَمْجِجًا) (٥) . قال الطوسي : (كان مزاجها كافوراً قبل ما يُشتمُّ من

(١) نسان العرب ١٣ : ٢٣٢ . وقبل أن الكلمة أعجمية . انظر شفاء

الغليل : ١٤٠ وقد قال فؤاد حسنين الرنجيل (بقلة يقال لها فلفل الماء الدنجيل في العربية مجلة كلية الآداب ، جامعة مؤاد الأول ما يو ١٩٤٩

(٢) التبيان ١٠ : ٢١٤ . والبيت للأعشى في ديوانه : ٩٣ مع اختلاف

في الرواية ، وانظر أيضاً الكشف ٣ - ٢٩٨

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٩٨

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٧٧

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ٤ - ٦

ريحتها لا من جهة طعمها ، والكافور في اللغة صرب من الطيب (١) .
وقد ذكر ابن دريد انه ليس معربي محض مستدلاً بقولهم " الكافور"
والقافور" (٢) . وليس في هذا القول دال قاطع على اعجمية الكلمة
ذلك لان هذا نباتاً معروفاً بعينه يسمى الكافور قال الليث : (الكافور
تث له "كود" ايضاً "كشور" الافحون) (٣) . فمن الجائز ان يكون
الكافور مستخرجاً منه .

ومن هنا نرى ان القرآن الكريم بعد ان وصف وبرة المياه ، وتنوع
الشرب الابدید الذي ينعم به المؤمنون في الجنة ، وصف لنا طعمه بانه
محوط بنعيم الرزجيل الذي احبه العرب واستطابته نفوسهم ، ثم ان رائحته
طيبة كطعم الكافور الذي اعجبوا به واستلدوا رائحته .

ب - أنهار اللبن :

وربى جانب انهار المياه التي تجري في الجنة نجد وصفاً آخر لانهار
من اللبن والحمر ، قال الله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ
فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ
وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) (٤)
وذكر اللبن ضمن انهار الجنة يثير صورة في الذهن العربي ، صورة

(١) حمزة اللغة ٢ : ٤٠١ ، الصحاح ٢ : ٨٠٨ ، لسان العرب

٤٦٦ : ٦

(٢) حمزة لغة ٢ : ٤٠١ ، وانظر ايضاً المعرب : ٢٨٤ - ٢٨٦

(٣) لسان العرب ٦ : ٤٦٦

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥

البيئة التي عاشها العربي . واللبن من منتجات حيواناتهم ، وهو شرابهم
المفضل الا ان شح البيئة العربية ، والكثرة ، والزرع في اكثر ايام السنة
كان يؤدي الى قلة الحيرات ، وانعدام اللبن في اثنائها ، ومن هنا نجد
ندرة اللبن - وخاصة في الشتاء - فتدث من ندرة نفقات جديدة
يبحثها الشاعر في فحره وحامسه ، فقد حصوا بشرب اللبن اعز من في
منازلهم : الضيف والفرس .

اما الصيف فقد عرفنا عادة العرب ، وما حتمته البيئة العربية
الشحيحة من تعود الكرم وبذل المال ، والفس له ، فكما يؤثرون
الصيف واللبن وتلك سمة من سمات الكرم . قال الحارث بن حذرة مخاطباً
صاحبه ليقيم اللبن الخالص للاضياف :

لَا تَكْسَحِ الشُّوْلَ بِاعْيَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ الْإِنْسِجِ
وَأَصْغَبَ لِأَصْبَاهِكَ مِنْ رُسُلِهَا وَأَلَّ شَرَّ النَّسْرِ الْوَالِجِ (١)

وقال الخطبة

قَرَوَا جَارَكَ انْعِيَانِ مَا حَصَرْتُهُ
وَقَصَّرَ عَنْ تَرْدِ الشَّرَابِ مَشَاهِرُهُ
سَنَامًا وَمَحْضُفًا أَنْتَ الْهَمَّ فَكُنْتَ

عظامُ امرئٍ ما كانَ يَشْتَعُ طَائِرُهُ (٢)

يقول لقد قلصت مشاهير جارك عن رد الماء ، فلم يقدر على شربه
لشهوة النفس ، وانه لشدة هوائه اذا وقع عليه طائر وهو ميت لم يشع من
(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ ، وانظر ايضاً ١ : ٣٩٨ ، وانكسح ان ينضج
الضرع بالماء البارد ثم يصربها بالكف صعدا . اراد فشر اللبن ما حقن في الصرع .
(٢) ن . م ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ ، والبيت الاول غير موجود في ديوان
الخطبة : ١٧٧ .

قمة لحمة ، وهرله ، فكونه منشوقا الى اللبى بدرجة عانت نفسه الماء ، لما
يدلنا على تعلق نفس العربي باللبن ، واهميته في حياته .

١٠١ في الهجاء : هم كانوا يعكسون هذه الباحية التي اعتبروها من
اهم صفات المدح فقاوا عن المهور انه يخص نفسه باللبن ، ولا يسقيه
اهله وجيرانه . قال الشاعر :

وَيُشْرَتُهُ مُحَضًّا وَيُسْقِي ابْنَ عَمِّهِ

سجاحاً كأقرب الثعالب أورقا (١)

والسجاح الذي ملق حتى تغير طعمه .

اما سقي الفرس اللبن ، انا نجد صداة واصحا عند شعراء الهروسة
الذين دولوا الفرس حيتهم ، وزل في نفوسهم منزل العزيز الكريم وذلك
لكونها الاساس الذي يعتمد عليه العربي في اندفاع عن شرفه ، وقيلته
حين يقار عبه ، ومن هنا اعتنوا الخيول اعتناءهم باولادهم ، وسأهم
بل حاووزوا ذلك الى تفصيله على عيالهم جميعاً . قال عتبة بن شداد : (٢)

نَفْسُ بَكِّ سَائِلًا عَنِّي فَمَا سِيَّ وَجُرُوءَ لَا تَرُودُ وَلَا تُعَارُ

مُفَرِّقَةَ الشَّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَرَاءَ الْحَيِّ يَتَنَمَّهَاهَا لِيَهَارُ (٣)

لَهَا لَصِيفِ أَصْبِرَةٍ وَجِلِّ وَبَبٍ مِنْ كَرَامَتِهَا عِزَارُ (٤)

(١) المعاني الكبير ١ : ١٠ .

(٢) شرح ديوان عتبة ٧٨ والشعر منسوب الى شداد بن معاوية العمري

انظر امثال العرب : ٣٦ .

(٣) لقد خص الشتاء هنا لانه زمن الحمل ، والجلب ، فالكرم فيه امدح

اي انها للركوب لا للنمل .

(٤) الاصبرة من العنم والابل التي تروح وتعدو على اهلها لا تعزب عنهم

والحمل بالكسر العير ، واليب المسنة من الابل ، وانظر ايضاً شرح اشعار =

وفي الشتاء حين تهزل الماشية وتجف الباشا يخصصون الفرس للآلئ
المخصص ويعتبرون غيرهم بسوء صياتهم الخيل ، واذلالهم لها (١) . يقول
مالك بن نويرة :

أَعْلِلُ أَهْلِي عَنْ قَلِيلٍ مَتَاعِهِمْ

وَأَسْقِيهِمْ مَحْضَ الشَّوْلِ وَالْحَيَّ هَاتِفُ (٢)

فهو هنا يقول بأنه يحرم أهله شرب اللبن ، ويعطهم ، ويلهيم ،
يسقي فرسه اللبن الشول الحاصل ويخصها به . وتبلغ بذرة اللبن أحيانا
إلى درجة لا يسقي الرجل عياله إلا ما فضل من شرب الفرس قال متمم
ابن نويرة

قَالَ صَرِيحُ الشَّوْلِ الْأَمْوُءُ رَهُ وَالْحُلُّ فَهُوَ مَرَبٌّ لَا يُنْخَلَعُ (٣)

يريد بأنه يسقي فرسه اللبن نحص ، وما يبقى سؤره لا يردده عليه
بل يشربه هو وأهله .

ومن هنا نجد في أحاديث الشعراء ، وأشعارهم اشادات إلى أن النساء
كانوا يلوون أرواحهم بحرماتهم اللبن ، ويخصصهم الفرس سه ، وهم في
أشد الحاجة إليه أيام الحمل ، والجدب . فيذكر عترة زوجته ، ولومها
له ، مظهرا قلة أكتراثه بابنها ، وتوقعها ، ويذرها بالهجران أن استمرت
على لومه :

= الهدليين ١ : ١١٣ ، الشعر والشعراء ١ : ٢٢٧ .

(١) انظر الخيل ١٢ تحفة عقد الحيات : ٢٢٣ ، وانظر هذا في أحاديث عترة
الاعاني ٨ : ٤٤٣ ط دار الكتب .

(٢) الخيل : ١٢ ، حلية الفرسان . ١٨٢ ، والشول من اللبن ما أتى عليها
من حلها سبعة أشهر فخف لبثها .

(٣) المقصليات ٥٢ .

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ

فَيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ

إِنَّ الْعَبْقُورَ لَهُ ، وَأَنْتِ مَسُومَةٌ

فَتَأْوِيهِ مِمَّا شَتَّتْ ثُمَّ تَحْوِي (١)

ويقول لأعرح المعنى (٢) ذكرأ زوجته ولومها لا يثارة الفرس عليها

بشرب اللبن :

أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَرَالُ تَنْجَعُ تَلُومُ وَمَا تَدْرِي عِلَامُ تَوَجَعُ

تَلُومُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَ الْوَرْدَ لِقَمَةٍ وَمَا تَسْتَوِي وَأَنْتِ دُؤَسَاءُ تُفْرَعُ (٣)

ويجد أهمية اللبن في الحديث النبوي الشريف ، وذلك أنه كان (ص)

يحب اللبن (٤) وأنه أوصى بانداءه عند شرب اللبن . قال : (إذا أكل

أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيراً منه ، وإذا شرب لبناً

فليقل ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجري من

الطعام والشراب إلا (اللبن) (٥) . فالرسول (ص) أوصى هنا أن يدعو الإنسان

ربه إذا أكل الطعام بأن يرفقه خيراً منه ، على حين أنه إذا شرب اللبن

لم يطب خيراً منه ، وإنما يدعو الله أن يزيده منه ، لأنه لا يوجد طعام ولا

شراب يكفي الإنسان ، أو بعينه مثل اللبن .

ومن الطبيعي أن يكون اهتمامهم باللبن صادراً عن كونه من أهم

(١) ديوان هنترة : ١٩ .

(٢) هو عدي بن سويد بن ربيعة الأعرح الطائي المعنى وقيل اسمه سويد بن

عدي وهو محصرم أنظر معجم الشعراء : ٢٥١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣٤٩ .

(٤) المحامس : ٤٠٩ ، الطب النبوي : ٨٥ .

(٥) سنن أبي داود ٢ : ٣٠٤ ، سنن أبي ماجه ٢ : ١١٠٣ ، الطب النبوي : ٨٥ .

منتجات حيوانهم ويبدو ان هناك سبباً آخر هذا الاهتمام ، ذلك لأن الناس عندهم يمثل الفطرة ، فهو أول ما يسبق منه رصيعهم ، وحيوانهم بالفطرة فاذا رصع رضيعان من ثدي واحد ربطتهما اللبن بالاحوة الطبيعية . وان اختلف نسبهما وأصلهما .

واللبن هو الخير الطبيعي الذي يلائم الاسابية في وجودها . وقد دار لفكر العربي حول هذه الفكرة بحسب الدين وبقدرته ، حتى تبلورت في ذهنه فكرة الخير المطلق ، وارتبط اللبن باليمن والبركة فقاموا ايمس من انفس (١) ، لهذه الدلالة المقترنة بالخير الدائم . ومما يروى ان رسول الله (ص) قال عن عمار بن ياسر - (أبو اليقظان على الفطرة لن يذعها حتى يموت ، أو ينسبه المهرم) (٢) . وعنه (ص) انه قال عن عمار أيضاً بأن آخر شربة يشربها من الدنيا شربة لن ، وانه قد شرب اللبن قبل مقتله فصدق قول الرسول الكريم (٣) . ويمكن أن نقرن بين الروايتين بأن عمار بن ياسر عاش حياته على الطبيعة والسيفقة ، فكان اللبن قوام طعامه وشرابه ، حتى ختم حياته المفطرة باللبن الذي يمثل شراب الفطرة ، وفارقه الى اجنة حيث بقي هناك شراب الخير الطبيعي الدائم .

ومن هنا نتضح لنا الصورة الجميلة لأنهار الناس في الجنة بالاصادة الى كوبها توفر لهم اشراب المعصل اللذيذ ، لأنها تؤكد لهم فكرة الخير المطلق والبركة الدائمة التي تطلل المؤمنين ، لأن اللبن شراب الفطرة . الشراب الميمون المبارك الذي يحذونه في الجنة متوفر ، بل يتمتعون أبطارهم بمشهد جريه في أنهار حينة رائعة .

(١) أساس البلاغة : ٨٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ح ٣ ق ١ : ١٨٨ .

(٣) د . م : ١٨٤ ، مسند الامام أحمد ٤ : ٣١٩ .

ج - أنهار الخمر

أما أنهار الخمر التي ذكرتها الآيات الكريمة . (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ
يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) (١) . فإنها تعطينا
صنفاً آخر من أصناف شراب أهل الجنة ، وإذا عدنا إلى البيئة العربية وحدها
للحمرة صدى عميقاً في نفوس العرب وحياتهم (٢) .

فقد ذكرت الحمرة في الشعر العربي ، ذكرها الشاعر ليتمر في كأسه
أحزابه ، ويدفن فيها قلبه . وقد نعى الشعراء بشرها ، ووضعوا تأثيرها
البحري على نفوسهم . قال عمرو بن كلثوم :

الْأَهْبِي بِصَحْبِكَ فَاصْبِحِيَا وَلَا تَبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِيَا
مُشَّةً شَعَةً كَأَنَّ الْخَصِي فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيَا
تَجُورِيذِي الْمَنَامِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا (٣)

وقد فخرُوا بشرها . قال طرفة بن العبد :

وإن تبغي في حُلْمَةِ القوم تلغي

وإن نقنصني في الخوايت تصطد

(١) سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

(٢) أنظر في هذا تطور الحمريات : ٢٨ فما بعدها .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١١٧ ، وانظر أيضاً ديوان ابن مقبل ٢٨٧ ،

٢٩٢ ، ديوان حميد بن ثور : ٥٩ ، شرح أشعار الهدليين ١ : ٤٨ ، ٤٩ .

مَنْ تَنَاتِي أَصْحَبَكَ كَأْسًا رَوِيَّةً

وإن كنتَ عنها عايباً فأعزِّ وازدَرِ (١)

ووصفوا أواني الشراب وكؤوسه . قل عترة بن شداد واصمأ زجاجة

الخمر :

وَلَقَدْ شَرَيْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بَعْدَ مَا

رَكَدَ الْمَوَاجِيرُ بِالشُّوفِ الْمُعْلَمِ

زُجَاجَةٍ صُمِرَاءَ دَاتِ أُسْرَةٍ

قُرِئَتْ بِأَزْهَرٍ فِي الشَّمَالِ مُعْتَمِ (٢)

وقد شبهوا ريق المرأة بالخمرة (٣) . ولم يكنفروا بوصف مجالس الخمر

بل يجد عدهم نظرات تأملية باللون بها شرم الخمر ، وانغماسهم في المذات .

يقول طرفة بن العبد مخاطباً الدين بلومونه على كثرة شربه ، ولطوه ، بأنه

مادام لا يستطيع دفع مبيته فان عبه أن يسادر الى شباع رغبات نفسه ،

ذلك المية التي تهدده في كل لحظة في بيته الحربية المتطاحنة :

إِلَّا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الْوَحْشِي

وإن أشهد اللذات هل أتت مُحَلِّي

فإن كنتَ لا تستطيع دفعَ منيقي

فَدَعْني أَبَادِهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

فَلَدَرْتِي أُرُوها مَنَى فِي حَيَاتِهَا تَخَافُ شَرْبَ فِي الْحَيَاةِ مُصَرِّدِ

(١) ديوان طرفة ٤٧ ، جمهرة اشعار العرب : ١٣٨ ، ونظر ايضا ديوان

الماءعة الجعدي . ٨٦ .

(٢) شرح ديوان عترة : ١٤٨ ، ديوان علقمة الفحل : ٦٩ .

(٣) ديوان جبران العود : ١٥ ، ديوان سلامة بن جندل : ١٤ ، شرح

اشعار المدليين ١ : ١٤١ ، جمهرة اشعار العرب : ٨٥ ، ١٤١ .

كـرـيـمٌ يُروى نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ

سَتَعْلَمُ إِنْ مَتَا عَدَا أَيْتَا النَصْدِي (١)

أما البيضة التي حُتِمَتْ عَلَى الْعَرَى هَذَا الضَرْبِ مِنَ الْعَيْشِ حِينَ
اعورته الاستقراء ، والأمان . فكان العربي فيها مهدداً في كل لحظة بغارة
معاجئة تشككه بأذى الناس إليه ، أو تقتله . ومن هذا عكفوا على شربها وقصوا
لبائهم وأبياتهم ينهلون منها قُلْ أَنْ نَصْدِيَهُمْ يَدُ الْظُرُوفِ الْقَاسِيَةِ . يقول
الاستاذ جميل سعيد (فاقبله تصبغ وكل شيء فيها هديء ثم غمي ، وهذا
هي قد اعير عليها ، وفقدت نعمها ، ورحلتها ، فلا يبقى أمامها إلا أن تبحث
عن الخمر تفرق فيها أحزانها) (٢) .

وحاء الإسلام ومعه نظام دقيق لإصلاح البشرية ، ودفع دفعة الحياة
بالعص ، والتفكير ، دون الانهماك بالمذات والكائنات ، ولم يشأ الله سبحانه
وتعالى أن يحرم الخمر على المسلمين فجأة ، بل كثر مشيئته الربانية في
معاملة النفوس البشرية بالرفقة ، والطف ، فكان تحريم الخمر على مراحل
بدأت بذكر أثم الخمر ، وأنه أكثر من معها (٣) ، وأنه لا تحوز الصلاة
في حاله السكر (٤) ، وأخيراً كان لتحريم المطلق لشرب الخمر ، وحدث

(١) ديوان طرفة : ٥ ، حمهرة أشعار العرب : ١٤١

(٢) الوصف في شعر العراق : ٦٢ ، وانظر أيضاً تطور الخمريات : ٢٩ ،

فأبعدها .

(٣) قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ

كَبِيرٌ ، وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) سورة البقرة ٢ : ٢١٩ .

(٤) قال الله تعالى : (وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا

مَا تَقُولُونَ) سورة النساء ٤ : ٤٣ .

شارها (١) . ومع ذلك نجد في وصف أهار الحنة ان فيها أهاراً من الخمر وان هذه الخمرة تقدم بكأس بيضاء جميلة ، ووصفت بأنها ليست كخمر الدنيا . (أولئك لهم رزقٌ معلومٌ فواكهٌ وهم مُكرّمون ، في جراتِ النعمِ على سرُّرٍ مُتقَابين ، يُطافُ عبيهم بكأسٍ من معينٍ ، بيضاء بدةً للشاربين ، لافِها عولٌ ولا هم فيها يترفون) (٢) قال ابن عباس مفسراً الغول بأنه (وجمع لطر ، وذهب العقل والأدى) (٣) . ونقل الطبري عن ابن عباس أيضاً بأنه فسر الغول هنا بالصداع (٤) أما أو عبيدة فقد خص الغول بأنه ما يعتل العقل ، ولم يعمه على وجع البطن ، والآنم قال : (ليس فيها غول) والغول ان تغتال عقولهم قال الشاعر :

وما زالت الكأسُ تتعائساً ونذهبُ الآونَ بلاولِ (٥)

وقال الرمنشيري : (الغول ما عاله يعولُه ادا أهلكه وأفسده ، ومنه الغول الذي في تكذيب العرب ، وفي أمثالهم الغضب غول الحليم) (٦) .

وفي الاستعمان النعوي ما يؤكد هذا المعنى فانقول (المهلكة ، وكل

(١) قال الله تعالى : (الخمرُ والمنيسرُ والأنصابُ والأركانُ وحسٌ

من عملِ الشيطانِ فاجتنبوه) سورة المائدة ٥ : ٩٠

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٢٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ٥٣ ، وكذلك قول الخليل كما نقله ابن سيدة في

المخصص ٥ : ٧٤ ، وانظر أيضاً التبيان ٨ : ٤٩٦ ، وهو معنى أكدته آيات أخرى

بقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا يترفون) سورة الواقعة ٥٦ : ١٩ ، فقيل ان

معنى يصدعون يصيبهم الصداع اطار مجاز القرآن ٢ : ٢٤٩ ، الكشف ٣ : ١٩٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ١٦٩ ، جامع البيان ٢٣ : ٥٣ .

(٦) الكشف ٢ : ٦٠١ .

ما أهلك الإنسان وهو عول (١) - قال طفيل العموي :

ولا أحاليفٌ جاري في حليتيه ولا ابن عمي عاتني إذا عول (٢)

أي أصابني داهية أهلكتي ، ومنه سميت الصحراء العبدية المرابي بالهول (٣) . لأنها تغتال الإنسان بمجاهلها ، وبهذا تكون الآية الكريمة قد نمت بتعبير واحد معظم عيوب الحمر . وذلك أن المدعين في الجبة لا يصيبهم صداع ، ولا ألم في بطونهم ، إذ لا يؤذيهم الحمر ، ولا تهاكهم ، إعا هي حر من صرب آخر أعدت للمؤمنين في الجبة .

ويتبع هذا البيت وصف آخر للحمر الحسة ، وهو أنها لا تتزف إذا شربوها ، (لا فيها عول ، ولا هم عنها يتزفون) (٤) . قال ابن عباس مفسراً هذا التعبير بقوله : (يزفون يتعدون ويقال ولا هم يسكرون ولا تصدع رؤسهم) (٥) . وقال أبو عبيدة (لا يسكرون) (٦) . وقد ذكر الطبري أن سبب الاختلاف في تفسير الريف هو اختلافهم في قراءة الكلمة قال : (والصواب في ذلك أن أهل الحنة لا ينفذ شراهم ولا يسكرهم شرهم أباه فيذهب عقولهم) (٧)

فالحمر حين حرمت في الحيافة الدنيا على المسلمين ، إنما حرمت

(١) فقه اللغة : ١٩ ، المخصص ٦ : ١٢٨ ، لسان العرب ١٤ : ٢٠ .

(٢) ديوان طفيل : ٣١ ، وانظر أيضاً المفصليات . ٥٩

(٣) المخصص ١٠ : ١١٥ ، وانظر شاهد الشعر في محاسن ثعلب ١ : ٨ ،

١١٨ ، ١٠

(٤) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧

(٥) تنوير المقياس : ٢٧٧

(٦) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٩

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٥٥

لعيوبها ، ومضارها . وقد عرف العرب عيوبها من قبل ، وبعد ذكرها في الحديث عن أيام فوهم ، ووصف مجالس شرايهم . قال علي بن زيد :
 إِذَا غَشَّقَتْهُ حُمْرَاءُ صَافِيَةٌ وَالْخَمْرُ وَهْلٌ بِهِمْ شَارِبَهَا (١)
 أي ان الخمر تذهب بذب شاربها فيهم ، ولا يستطيع التفكير الصحيح .
 قال أبو ذؤيب واصفا مجلس الدمامي ، منهم كثرة شربهم بدون ، وكان
 رؤسهم جراحاً :

تَرَى شَرِبَهَا حُمْرَ الْعَيُونِ كَأَنَّهُمْ أَصَاوِي إِذَا مَا سَارَ فِيهِمْ سَوَارِهَا
 وَالْأَصَاوِي جَمْعُ آسٍ وَأَسِيَان . يريد كأن شربها بهم جراح في
 رؤسهم قد دُرِيت . شبه السكرى بذلك لا يكسار أعينهم ، (٢)
 وقد تفقد الحمر لب الانسان ، وتفكيره ، مما يؤدي به الى مشاكل
 عديدة (٣) . ومن هنا نرى الشعراء في اشعارهم ان تذهب الخمرة عقولهم
 قال صخرة بن شداد :

عَازَا سَكْرَتُ فَاَنْتَنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَرِعْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يَكْمَلْ
 وَدَا صَحْوَتُ لَهَا أَقْصَرُ عَنْ تَدْيٍ

وَمَا تَعَلَّمَتْ تَحْمِلِي وَتَكْتَرُمِي (٤)

ومن هنا نرى أي اعجز عظيم ذلك الذي نجده في الآيات الكريمة حين
 نصف نحر الحية ، وانهارها الحارية ، بان نحرها حالص المتعة قد سميت
 عنه كل عيوب نحر الحياة الدنيا . فهي لا تسكر ، ولا يصيب شاربها
 الصداغ ، أو أي ألم كان ، ثم ان نحر الجنة مخلوط بالمسك قال الله تعالى :

(١) ديوان علي بن زيد : ٤٨

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٢٢ .

(٣) انظر ديوان أبي عجم : ٦٧

(٤) شرح ديوان عنترة : ١٤٩

(إنَّ الأعرارَ لَميَّ تعبٍ ، على الأرائكِ يَنطُرونَ . تَعْرِفُ في
 وحودِهِم نَصْرَةَ الميمِ ، يُسَقونَ من رَيحٍ مَحْثومٍ ، حَتَامُهُ يَمْسُكُ
 وفي ذلك فليتنافسِ المتنافسون) (١) . فحمر الجينة صاوية مخلوطة
 بلساك ، وهو طيب لرائحة (٢) . وكان العرب ينطبقون به (٤) . ويحفظ
 عادة في قوارير ، وهو من أطيب الثعبي الذي يباع ، ثمان عالية كما يقول
 الأندلسي حواد عبي (٤) .

ج - انهار للعسل .

واخيراً فهذه انهار من عمل تجري الى جانب انهار المياه واخمر
 واللبن ، واداً كان العمل شرايا متوقفاً في كثير من امينات ، فان معرفة
 نظرة العرب اليه تشكل لنا صورة لاهميته في ديتهم ، ونفوسهم ، فقد
 ذكر وحود العمل في بعض انحاء الجزيرة العربية حتى صدر من أهم مواد
 تجارتهم ، قال ابن المجاور : (كان لبني سليم في الجاهلية نحل عظيم
 يشتريه الحجاج ، وأهل الحجاز ، وبعض أهل اليمن) (٥) . اما في باقي

(١) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦

(٢) وقد قال الجوهري انه فارسي معرب . انظر النصحاح ٤ : ١٦٠٨ ،
 المعرب : ٣٢٥ ، لسان العرب ١٢ : ٣٧٧ وصيغة الكلمة لا نوحى بكونها
 اعجمية ، الا انهم ذكروا انها مادة متوفرة في الصين ، وانبتت ، موجودة في
 قرون طلباتها انظر آثار البلاد : ٧٩

(٣) ديوان الاعشى : ٥٥

(٤) تاريخ العرب لحواد علي ٨ : ٩٣ ، ١٣٥

(٥) صفة بلاد اليمن : ١٥

انحاء الجريرة العربية ، فقد ذكر العسل في اشعار الشعراء ، فوصفوا
 الاماكن التي يكثر فيها ، ووصفوا معاناة المشتار في اشتهاره العسل (١) .
 ولم يحب العرب العسل لأنه شراب حلو محسب ، بل لانهم اعتقدوا
 فيه مالا يعتقدون بغيره من انواع الشراب ، وذلك انهم اعتبروه من
 الادوية التي يعالجون بها امراضهم ، بالاصابة ان كونه شرابا لذيذا حلوا
 وقد اكد القرآن الكريم هذه الحاجة بذكر نبيهم الله الوفيرة التي انعمها على
 عباده ومنها العسل (وأوحى ربك الى السحرة ان اتحدوا من الخصال
 بوثناً ، ومن الشجر ، ومما يعرشون ، ثم كيلي من كثر الثمرات
 فاسلكي سؤل ربك ذللاً ، يتخروح من بطونها شراب مختلف
 ألوانه ، فيه شفاء للناس . ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٢)
 كما اوصى به الرسول الكريم (ص) بقوله (عليكم بالشفائين العسل
 والقرآن) (٣) . وقد طلق الرسول (ص) قوله هذا في حياته ، فقد
 روي انه كان يشرب كل يوم قدح عسل ممزوج بالماء عن الريق (٤) .
 وروي عن عائشة انها قالت : (كان احب الشراب الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم العسل) (٥) . وقالت ايضاً (ان الذي صلى الله عليه وسلم
 كان يحب الحلوى والعسل) (٦) .

وهذا الاهتمام بالعسل مرده الى الفكرة التي رسخت في اذهانهم ،

(١) شرح اشعار الهدليين ١ : ١٤١ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ٢ : ١١٤٢ ، الطب النبوي : ٦٩ .

(٤) الطب النبوي . ٧٠ .

(٥) ن . م : ٦٩ .

(٦) المحاسن : ٤١٥ ، سنن الدارمي ٢ : ١٠٧ ، الطب النبوي : ٦٩ .

وجربوها في حياتهم ، باعتبار العسل شفاء لكثير من الامراض . هذا من
 «حية ومن الناحية الاخرى ، فان طعمه الحلو يجعل الشارب يستزيد منه ،
 ويستلذه ، ومن هنا تغزلوا بالمرأة وشبهوا ربة بها بالعسل . قال النابغة الذبياني :
 كَانَ مَشْمُولَةً صِرْفًا بِرَيْفَتِهَا مِنْ تَعْدٍ رَقْدَتِهَا اَوْ شُهُدَ مُشْتَارِ (١)
 وقالوا في مديح الرجل ، وورثته بأنه كالعسل الخالص في لبيته ،
 وعموم نفعه . (٢) وكان شاعرهم اذا ذكر العسل استطرد الى وصف النحل
 اندي يحجمه ، والى وصف ما يعاينه المشتار حين يجمع العسل ، معترضاً
 نفسه الى ادى النحل ، لاجل الحصول على هذا الشراب اللذيذ (٣) .

ومن هاتين الناحيتين حياء اهتمام القرآن الكريم بالعسل ، فذكرت
 انحر العسل الحاربه في الجنة لتريد منعة المؤمنين بعد الحساب ، تلك المنعة
 انني تشترك فيها الناحيتان التمسية في كون العسل شفاء ، وعافية ، والمادية
 بكونه شراباً لبذا يتمتع به المؤمنون الى جانب النعم الاخرى التي يوفرها
 الله سبحانه وتعالى في الجنة :

هذه هي صورة الانهار المتعددة التي تجري في الجنة ، فيتمتع بشرها
 ومطرها المؤمنون ، واداً قارناً هذه الصورة بصورة التعذيب بالعطش
 وجدنا فرقا شاسعاً بين الصورتين ، فرقا بين من يتوسل ، ويتمنى شربة
 ماء صاف ، وبين المؤمن الذي يجد امامه نعيماً متوهراً من حر ولب وعسل .
 وقد اورد القرآن الكريم هاتين الصورتين معا ليزيد ملامح كل صورة
 وضوحاً ، ويبان : («وَجُورَةُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» ، تصلى
 (١) حيوان النابغة : ٥٠ ، جمهرة اشعار العرب : ٧٩ ، وانظر ايضا الغريب

المصنف : للورقة (٩٨) .

(٢) جمهرة اشعار العرب : ٢٧٥ ، الشعر والشعراء : ١٠٧ .

(٣) اشعار الغدليين : ١ : ٤٨ - ٤٩ .

ناراً حامية ، تُسقى من عَيْنِ آتية ، ليس لهم طعام إلا من ضريح
لا يُسَمِن ولا يُفْثِن من جوع ، وجوه يومئذ ناعمة ، لعلها
راضية ، في حنة عالية ، لا تسمع فيها لائحة ، فيها عين جارية
فيها سرور مرفوعة واكواب موضوعة (١) . وقال تعالى ايضاً :
(مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن ،
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ،
وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة
من ربهم ، كس هو خالد في النار وسقوا ماء حمياً فقطع
منه الماء) (٢) . وتكرر لحظة الأنهار مرة بعد مرة يزيد جمال الآية
ويرسخ الصورة الرائعة للأنهار ، والشراب المتوفر في الجنة ، حتى اذا
اكتملت هذه الصورة جاءت صورة المحرمين الخالدين في النار الذين
لا يسقون الا الحميم الحار الذي يقطع امعاءهم ويحرق بطونهم .
وتحيط الأنهار المتوفرة في الجنة الاشجار والسخيل بظلالها الوارفة ،
وجوها المعتدل الطيب . اما العطش والجحيم من الماء ، فتحيطه صورة
النار ، ولظاها المحرق وصنوف عذابها . وهذا تتجلى صورتان فتعمر
الراحة ، والسعادة نفس المؤمن حين يقرأ وصف الجنة ، على حين يقشع
جسده ، وتملكه الرهبة حين يقرأ وصف عذاب النار (٣) .

(١) سورة الفاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة محمد ٤٧ : ١٥ - ١٦ .

(٣) من حديث الماء في الادب العربي : ٨ ، وقد املت الحديث عن طعام
اهل الجنة ، لان دلالة على البيئة العربية غير واضحة كما مر بها في الحديث عن طعام
اهل النار انظر ص ٢٥٧ اما ذكر اشجار العاكهة المتنوعة فانها تدخل ضمن الحديث
عن وصف الجنة واشجارها الوارفة . انظر ص ٢١٤ .

٤ - صنوف اخرى من النعيم :

أ - لباسهم :

لقد مر بنا وصف الوان لباس المؤمنين في الجنة ، وكيف انفسا اقترنت بالخصرة احب الالوان الى نفوسهم . اما نسيجها فهو من الحرير الناعم الخالص (ان الله يُدْخِلُ الدين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ، ان الله يفعل ما يريد . . .) يُحَلَّوْنَ فيها من اساور من ذهب ، ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير (١) . وقال تعالى (وجزاهم بما تصروا الجنة وحريرا ، مُتَكئين فيها على الارائك ، لا يروون فيها شمساً ، ولا رَمْهاً ريرا) (٢) .

واذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا الحرير قد شاع استعماله في العصر الجاهلي خاصة عند الاغنياء منهم . اما النساء فقد كثر وصف ملابسهن المصنوعة من الحرير (٣) . ولبسه الرجال ايضا الى درجة بالغوا فيه ، حتى جاء الاسلام فاراد ان يحد من هذا الترف فحرم لبسه على الرجال دون النساء (٤) . ومن هنا اباحه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في الجنة ، فالحرير محرم على الرجال في الدنيا ، لانه يمثل الترف المبالغ فيه ، اما في الجنة فان الله سبحانه وتعالى لا يحرم عباده هذه النعمة .

(١) سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ١٢ .

(٣) المفضليات : ٤١١ . للشعر والشعراء ١ : ٣١٧ .

(٤) سنن ابى داود ٢ : ٣٦٩ ، ٣٧٢ .

ب - أساور الذهب والفضة

وهاك صورة أخرى تعرضها الآيات الكريمة للنرف الذي ينعم به المؤمنون في الجنة تلك هي صورة ترتبهم بأساور الذهب والفضة (يُحَلِّكُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْرًا) (١) وقال تعالى أيضاً : (عَالِيَتَهُمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَاسْتَرَقُّ ، وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِصَّةٍ ، وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُورًا) (٢) . وللقارىء ان يلاحظ ان الآية الكريمة لا تحدد لبس الأساور بالنساء دون الرجال ، وانما قد يفهم منها ان الرجال يحلون بها أيضاً . ومن هنا نتساءل ما اذا كان الرجال في الجاهلية يتحاون بالحلي والأساور؟ ان ما وصل إلينا من المصادر لا يعيننا على فهم هذه الصورة إلا اننا نجد في الحديث النبوي ما يعكس لنا ذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى الرجال ، وشدد في منع لبس الذهب والتحنم به (٣) وأباح هم الفضة لأنها أقل زخفاً من الذهب . وهاك حديث شريف يقول : (من أراد ان يسوّرَ حبيبه بسوار من نار ، فليسوره بسوار من ذهب) (٤) . ولا يمكن ان يوجه هذا الحديث الى منع لبس المرأة الذهب والأساور لأن حكم الاسلام معروف فيه ، وقد أحل لها لبس الذهب على أن تؤدي

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ٢١ .

(٣) سنن أبي داود ٢ : ٤٠٦ ، مسند الامام أحمد ١ : ١٦٩ ، ٢ : ٣٣٤ ،

٣٧٨ .

(٤) مسند الامام أحمد ٢ : ٣٣٤ ، ٣٧٨ ، ٤ : ٤١٤ .

زكاته (٥) . إلا أننا يمكن أن نفهم أن بعضهم كان يتصور في الإسلام فشدد
الرسول (ص) بمنع هذه الخلية ، لأنها تجعل لأبها في ترف مبالغ فيه ،
قد يبعده عن العمل المجدي ،

(٥) سنن الترمذي ٣ : ٢٩ ، سنن ابن ماجه ٢ : ١٢١ ، مسند الامام أحمد
١ : ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

الخاتمة

واخيرا وبعد ان مرت بنا فصول الرسالة تبين لنا ان صور الحساب التي وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم قد تجلت لنا بصورة واضحة في هذا البحث ، ويتبين لنا انه سبحانه وتعالى عرض لنا يوم الحساب في مشاهد متتابعة ما ان يكتمل مشهد حتى يليه اخر يكمل صورته ويقدم ساعة الحساب مرحلة جديدة انتهاء من ساعة التعبير حتى ساعة القضاء ثم الثواب ، والعقاب ، وفي كل مشهد من هذه المشاهد وجدنا صورة عديدة متحركة تجتمع كلها لتشكل لنا ملامح الموقف وفي كل تعبير نجد جانباً من البيئة العربية .

واذا استعرضنا هذه التعابير نستشف منها اهمية البيئة العربية في وعرة بعض الالفاظ دون غيرها نجد ان الامور التي كانت لها علاقة وثيقة بحياة العربي قد دارت حولها الالفاظ في ممراتها اكثر من غيرها .

فالجزيرة العربية صحراء مترامية الاطراف في معظم اجرائها ، كادت تحرم من المياه في كثير من المناطق . ومن هنا نجد ان القرآن الكريم اولى هذه الناحية اهميتها العظيمة ووجدناها واضحة تمام الوضوح في مشاهد القيامة - فالخمرمون يساقون الى النار عطاشي محرومين من الماء (ص ٢٣٠) وهي اول وسيلة من وسائل التعذيب بالنار . وتنتجلى هذه الصورة اكثر في التعابير التي تصور شراب أهل النار (ص ٢٣٠ فما بعدها) والايات التي تعرض وصف الجنة ووفرة المياه فيها ، والانهار الجارية فيها ٢٨٢ فما بعدها . هذه الاهمية العظيمة للماء تأثر بها المصرون ايضا ففسروا بعض التعابير التي تدور بعيدة عن معنى الماء في سياقها العام كقوله تعالى (نخشى الخمرين يومئذ زرقا) سورة طه ٢٠ : ١٠٣ (وانظر ص ١٤٩) . وهناك

تعايير لها علاقة بالماء ، وصفاته كالكلدة (ص ٩٢) والقصر (ص ٢٢٧) ولما كانت الانهار الحاربه قلدة تكاد تنعدم في البيئة العربية لما وحدانية التعابير التي تخص السقية الا تعبرا واحدا يخص حياها (ص ٢٢٩) وهناك تعابير عكست لما صورنا من الصحراء العربية كالسراب (ص ٦٧) والكثيب المهمل (ص ٧٨) وتداعي الكثيب (ص ٢٩) ثم مور التراب (٨٦) والرمال الميم السهلة (٢٤٩) . اما النسات فقد اولاه القرآن الكريم اهمية كبيرة في تعابير عبيدة كالضرة (١٥٩) والمطر وهو شق النسات وحروجه من الارض ٨٩) واخيرا في اوضح مشهد يعرض لنا صمة الجنة وحصرها المحسة واشجارها المتنوعة (ص ٢٧٣) فاعدها .

أما التعابير التي تخص الحيوانات فوجدنا ان مجموع الالفاظ التي مر بحثها قد وفرت حول الحيوانات التي لها علاقة كبيرة في حياة العربي . فالعبر حيوان الصحراء المعتاد احبه العربي ولازمه في اسفاره ، ورحلاته ، وارجاء مساجاة الصديق . هذا البعير وفرت حوله التعابير سواء كان في خلقه اوصفاته ، او ما يعرض له من عوارض من ذلك تعبير الفاقة : الساهية التي قال بعضهم انها مشتقة من فقر ائف البعير حين يمر (ص ١٢٢) وكذلك تعبير المطر في قوله تعالى (اذا السماء امطرت) سورة الامطار ٨٢ : ١ التي نهم منها فطر ناب البعير اذا شق (٨٩) . لو قوله تعالى (انها ترمي بشرر كالقصر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ الذي فسره بعضهم بانه اعناق الابل (٢٢٧) او قوله تعالى (كانتا بحالات صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ ، بأن شرر النار بشه اجمالة وهي الساقة الصخمة (٢٢٩) وفي صفة الناس يوم القيامة (مهطعين مقعبي رؤسهم) (سورة القمر ٥٤) بان الاهطاع مشتق من اهطاع البعير اذا كان في رأسه ميل حلقة (٨) او المور في قوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) (سورة

الطور ٥٢ . ٩) بان المور هو الاضطراب من مارت الناقة اذا سارت
ونثر التراب على جانبها (٨٦) أو قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يلطم
البحر من) (سورة الروم ٣٠ ١٢) من ابلاس الناقة اذا اصابتها عارض
فتألمت ويشت (ص ١١٦) وفي صفة البحر حين يشربون فلا يرتوون
(فشاربون شرب الخمر) (سورة الواقعة ٥٦ : ٥٦) بان الخمر الابل
المعاش المريضة اما ما يطلق به البعير حين يصاب بالحرب او ايام
الشتاء الباردة فقد ورد في تعبيرين هما المهمل (ص ٢٤١) والفطران (ص ٢٦٥)
هذه هي التعابير التي حصت الابل اكثر من غيرها من الحيوانات
على حين نجد بعض الحيوانات لم يرد حولها الا تعبير واحد او تعبيران
كالدث (١٠٤) والحبات (١٠٥) والكلاب (١٠٥) وغيرها من
الحيوانات التي قلت اهميتها عن البعير كما وجدنا نفاير حصت بها الدابة
بصورة عامة كالعدل (ص ١٧٩) والبس (ص ٧٢) والصور الذي
فسر بالقرن (ص ١٨) والماقور المقترن بنقر الخيل (ص ٢٣) .
اما الناحية الاجتماعية فقد وفرت حولها تعابير عديدة عكست لنا
جوانب من الحياة العربية فالعبارات مثلا كانت سائدة في المجتمع العربي
بماحيي بها الحي فيعلو الصريح ، ويبدأ القتال ومن ها وجدنا في التعابير
القرآنية الفاظا لها دلالتها على هذه الناحية كالداعي (ص ٣١) والمنادي
(ص ٤١) والهمس الذي فيه انحاء صفة ليلة الهمس التي يخشى فيها
السير من هولها (ص ١٣٨) والرجة التي قربت بركة السهم (ص ٦٢) و
الابلاس وجوه القوم عند الحروب وبأسها (ص ١١٧) ثم المور في مور الدماء
بعد القتال (ص ٨٧) والسلاسل والقيود التي تعكس لنا جوانب الاسر
(ص ٢٦٠) واخيرا مايتبع القتال من اسر وفداء ودية (ص ١٧٨)
وعدل (ص ١٨٢) .

وهناك تعابير خصت طعامهم وشرابهم كاليس الذي يذكرنا بالسياسة
(ص ٧٢) واللبن (ص ٢٩٢) ، والعمل (ص ٢٧٨) ، وغيرها مما
ذكرناه في فصول الرسالة .

أما الذوق العربي فقد وجدناه في عدة تعابير واضحة غاية الوضوح
وذلك في تصوير الآيات الكريمة لصفة وجوه المؤمنين يوم القيامة وكيف
إنها تكون على اللون الذي أحبه الذوق العربي وهو البياض (ص ١٣٩)
على حين تكون وجوه الكافرين على اللون الأسود الذي كرهه العرب
وتشاءوا منه (ص ١٤٢) وكذلك وجدنا في صفة المجرمين حين يحشرون
زرقاً بما يحمله تعبير الزرق من إجماعات دالة على الذوق العربي ، وكرهه
للزرق وتشاؤمه منها إذا كانت في العيون (ص ١٥٠) ثم فكرة التشاؤم
والتساؤل التي وجدناها واضحة تمام الوضوح في تصوير نتيجة القضاء باستلام
للتناجح باليمين وما تحمله من معاني التفاؤل والبركة ، أو بالشمال بما تحمله
من معاني الشر والتشاؤم (ص ١٩٢) .

ومما مر بها نتضح لنا أهمية البيئة العربية في توجيه تفكير العربي وفي
وفرة بعض التعابير دون الأخرى تبعاً لأهميتها في شؤون حياته ومن هنا
أيضاً تبين لنا أهمية هذا البحث في تعميق الدراسات اللغوية لأنه يعطينا
من المعاني والإجماعات الرائعة عند قراءة الآيات الكريمة مالا نفهمها حين
قراءتها لها قل تطبيق هذا المنهج فيتجلى لنا أسلوب القرآن الكريم المعجز
مما يقرب النفوس إلى النص القرآني فنفهم منه معاني عميقة رائعة .

ومن دراستنا لهذه التعابير ودلالاتها على البيئة العربية ، وما تعكسه
الآيات الكريمة من إجماعات رائعة مقترنة بالحياة العربية ، من هذه التعابير
نستخلص حقيقة واضحة أخرى وهي أن المشاهد التي عرضها الله سبحانه
وتعالى إنما صورها بكلام العرب وأساليبهم البلاغية وقنونهم في التعبير ويؤكد

هذا قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . سورة ابراهيم ١٤ : ٤ . وقال تعالى ايضا (انه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) سورة الشعراء ٢٦ : ١٩١ - ١٩٥ . فصور القيامة التي اراد الله سبحانه وتعالى ان يرسمها لنا وصفها بتعابير لها دلالتها على البيئة العربية ، ليستطيع الدهن تخيلها ، وإلا فان الترهيب والترعيب يكون حينئذ بامور لا يفهمها العرب حيث نزل فيهم القرآن الكريم ، فلا يرهبون النار ، ولا يتشوقون الى الجنة .
واخيراً اقول ان بحثي هذا ماهو الا بداية لدراسات اخرى ارجو ان اوفق بالقيام بها ، او تلفت هذه الدراسة غيرى فيقوم يبحث في مجال آخر من مجالات القرآن الكريم التي لم تبحث من قبل .

والله الموفق والمعين

المراجع والمصادر

- أ - المخطوطات
- ب - المطبوعات
- ج - المقالات
- د - الكتب الأجنبية

١ - المخطوطات :

- ١ - تفسير ابن ابي حاتم الرازي او محمد عبد الرحمن بن حاتم محمد بن ادريس الرازي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ دمشق امكتنة الطاهرية برقم ٧٣١٢ .
- ٢ - تفسير الخمسة آية من القرآن - مقاتل بن سليمان الخراساني ١٥٠ هـ المتحف البريطاني برقم Or. 6033 .
- ٣ - تمام فصيح الكلام ابن فارس او الحسين احمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ هـ . عدد مكتبة المتحف العراقي رقم ٢١٩٤ .
- ٤ - التهذيب في قلعة ح ١ - الأزهري ، او منصور . عدد معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٨٣ .
- ٥ - المحاسة المصرية - صدر الدين علي بن ابي المرح بن الحسن المصري . اسطنبول - رافع ماشا رقم ١٠٩١ (نشر هذا الكتاب في حيدر آباد الذكر في الوقت الذي تم فيه طبع هذه الرسالة لم يتسن لي مقابله مع المخطوط) .
- ٦ - الزينة - محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن بهران الرازي . عدد . مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦ .
- ٧ - العين - القسم الثاني - الخليل بن احمد الفراهيدي . عدد مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٠٩ .
- ٨ - المريب المصنف او عبيد القاسم بن سلام . عدد مكتبة المتحف العراقي برقم ٦٢٨ .
- ٩ - المصباح - ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ٢٩١ هـ عدد

معهد الدراسات الإسلامية العليا برقم ١٧٣ .

١٠ - قطعة من كتاب في الجغرافية مجهول (من أهل القرن
السادس للهجرة) عداد . مكتبة معهد الدراسات الإسلامية
العليا برقم ٣٢٤ .

١١ - المتألف - ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ٢٠٤ هـ
عداد مكتبة معهد الدراسات الإسلامية العليا برقم ١٢٤

١٢ - مسائل منورة - العاصم بن إبراهيم الرسي - ٢٤٦ هـ - نسخة
مصورة عن مخطوطة المتحف البريطاني 233

١٣ - مسائل نافع بن الأرقم - (سأها عبد الله بن عباس عن معاني
كلمات من القرآن الكريم) . دمشق ، المكتبة الطاهرية برقم
٧٨٤٩ (١١٣ المجلد) .

١٤ - معاني القرآن - الإصحاح ، إبراهيم بن السري - ٣١١ هـ .
نسخة مصورة عن مخطوطة جامعة الدول العربية رقم ٢٤٨٠٢٤٧
تصوير .

١٥ - منتهى الطلب في أثمار العرب - محمد بن المدرك بن محمد بن
ميمون ، القاهرة دار الكتب المصرية رقم ٥٣ س .

١٦ - زهرة الميول والمواطر في الاشياء والبطائر . ج ٢ - ابن الحوري
جمال الدين أبو العرج عبد الرحمن بن محمد بن علي - ٥٩٧ هـ
مكتبة الأوقاف يعداد مجموع رقم ٦٥٧٦ .

ب - المطبوعات :

١٧ - آثار البلاد وأخبار العباد ألفزويي ، دكريا بن محمد بن محمد - ١٢٨٣ م . دار صادر - دار بيروت . بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .

١٨ - أدب الكاتب - إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٧٦ هـ تحقيق ماكس غريوت - بيدر . مطبعة بريل ١٩٠٠ .

١٩ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي : حلال الدين عبد الرحمن ٩١١ هـ . مطبعة مصطفى الثاني الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٠ هـ | ١٩٥١ م .

٢٠ - أحسن التفسير في معرفة الأقاليم - المقدسي محمد بن أحمد بن أبي بكر ٣٧٥ هـ ديعوبه مطبعة بريل ١٩٠٦ .

٢١ - أخبار الزمان - اسمودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ٣٤٦ هـ . مطبعة عبد الحجد أحمد حفي بمصر ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م .

٢٢ - إرجيز العرب - البكري محمد توفيق الصديق . القاهرة ١٣١٣ .

٢٣ - رشاد الأريب إلى معرفة الأديب : لمروفي بمحم الأديب أو طبقات الأديب - ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي البغدادي - ٦٢٦ هـ . تحقيق د . س . مرحليوت ، مطبعة هندية بيلوسكي بمصر ١٩٢٣ - ١٩٢٥ .

٢٤ - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - الفسطاني ، د . س . محمد بن أبي عبد الملك - ٩٢٣ هـ .

٢٥ - الأرملة - قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير - ٢٠٦ هـ . نشر

في مجلة المجتمع العلمي العربي دمشق ج ١ كانون الثاني المجلد
الثاني سنة ١٩٢٢ م .

٢٦ - الأرملة والأمة . المروقي ، أبو علي الأصفهاني - ٤٥٣ هـ
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٣٢ هـ .

٢٧ - الأرملة والأموال . ابن الأحدثي ، أبو سعد إبراهيم بن سماعيل
٦٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق . وزارة الثقافة
والإرشاد ١٩٦٤ م .

٢٨ - أسس البلاغة . لمختصري ، أبو القاسم حارث بن عمر - ٥٣٨ هـ
دار ومطابع الشعب بالقاهرة .

٢٩ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير . عز الدين أبو الحسن
علي بن محمد بن عبد الكريم الحراري ٦٣٠ هـ ، تصحيح مطبعة
مصطفى وهي . طهر بن ، المطبعة الإسلامية ١٢٨٠ هـ .

٣٠ - أسرار البلاغة - الخرجاني ، عبد القاهر - ٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ ،
تحقيق أحمد مصطفى المراعي . القاهرة . مطبعة الاستقامة
١٣٥٢ هـ | ١٩٣٢ م .

٣١ - سباه جمال تهامة وسكانها - عزام بن الأصح السلمي (القرن
الثالث الهجري) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة .
مطبعة أمين عبد الرحمن ١٣٦٣ هـ .

٣٢ - سباه لفتايل من الانصراف في الحاحلية والإسلام - بن حبيب ،
محمد بن حبيب البغدادي - ٢٤٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون
- مجلة بؤادر المخطوطات المجموعة السادسة والسابعة ، القاهرة مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ | ١٩٥٤ م .

٣٣ - الاشياء والبطائر من اشعار المتقدمين والجاهلية والمختصرين -

الحالديان ، ابو بكر محمد بن هشام ٣٨٠ هـ ، وابو عثمان سعيد
ابن هشام ٣٩٠ هـ ٣٩١ هـ - تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ،
الساورة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م

٣ - الاشفاق - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن ٣٠١ هـ ،
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - نشر مؤسسة الحلبي
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

٣٥ - الاشتقاق - الاصمعي ، و سعيد عبد الملك بن قريب ٢١٦ هـ ،
تحقيق سليمان طاهر - نشر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
م ٢٨ ج ٤٤٣ - سنة ١٩٥٣ م ، م ٢٩ ج ٢٠١ سنة ١٩٥٤ م .

٣٦ - الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني ، حمد بن عبي
ابن محمد ٨٥٢ هـ - المكتبة النحارية الكبرى ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م

٣٧ - الأصمعيب - الأصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب - ٢١٦ هـ
تحقيق احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون - دار المعارف
١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

٣٨ - الاصم - ابن الكلبي ، ابو النضر هشام بن السائب ، ٢٠٤ هـ ،
تحقيق احمد ركي - القاهرة المطبعة الأميرية ٩١٤ م .

٣٩ - احمد العجب في تخرج لامية العرب - الزعشمري ، ابو القاسم
محمود بن عمر ٥٣٨ هـ - قسطنطينية - مطبعة الخوئب ١٣٠٠ هـ .

٤٠ - الاعلاق النبوية - ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (كان حياً
عام ٢٩٠ هـ) - بغداد ديقويه - لندن مطبعة ريل ١٨٩١ م .

٤١ - اطانة الأمة تكشف الغمة - المقرئ ، احمد بن علي بن عبد

- القادر - ٨٤٥ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ .
- ٤٢ - الامامي الاصمعياني ابو الفرج علي بن الحسن بن محمد الفريسي
٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م . مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ .
- ٤٣ - الامام - اس الفوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز
٣٩٧ هـ ، تحقيق علي فودة . مطبعة مصر ١٩٥٢ م .
- ٤٤ - لامالي - لرحاقي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق -
٣٤٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون بالقاهرة . مؤسسة
العربية الحديثة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٤٥ - لامالي ابو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي -
٣٥٦ هـ ط ٢ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م .
- ٤٦ - امالي المرتضى - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي
العلوي - ٤٣٦ هـ ، تحقيق محمد ابو الفصل اراهيم - دار احياء
الكتب العربية ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- ٤٧ - امالي البريدي - البريدي ، ابو عبد الله محمد بن القاسم - ٣٩٠ هـ
مطبعة دائرة المعارف المتمايزة بحيدر آباد الدكن ١٣٦٧ هـ .
- ٤٨ - مثال العرب - الفصائل النسي توفى نحو ١٦٨ هـ - قسطنطينية ،
مطبعة الجوائب ١٣٠٥ هـ .
- ٤٩ - اسماء الزوائد على سماء البحلة - الفعطي ، جمال الدين ابو الحسن
علي بن يوسف ، تحقيق محمد ابو الفصل اراهيم - القاهرة دار
الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٠ م - ١٩٥٥ م .
- ٥٠ - اسان لاشراف - البلاذري ، احمد بن يحيى ٢٧٦ هـ تحقيق
محمد حيد الله - دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

- ٥١ - ايس الخلاء في شرح ديوان الخفاء ، تحقيق لويس شيخو
اليسوعي . بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٦ م .
- ٥٢ ابدن العرب في الحاهلية - المجيرى ، ابو اسحق ، ابراهيم بن عبد الله
الكاتب تحقيق عبد الدين الخطيب ط ٢ . المطبعة السلفية بمصر
١٣٨٢ هـ .
- ٥٣ سيرة الوعاة في طبقات اللمويين والنحاة - السيوطي ، حلال الدين
عبد الرحمن ابى ابي بكر . ٩١١ هـ . القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ٥٤ البلدان - اليعقوبي ، احمد بن ابي يعموب - ٢٨٤ هـ نشر ديعوبه
ليدن مطبعة بريل ١٨٩١ م .
- ٥٥ - بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب - الألوسي ، محمود شكرى ، تحقيق
محمد طحج الاثرى ط ٣ . دار الكتاب العربي بمصر ١٣٤٢ هـ .
- ٥٦ - البيان والتبيين - الجاحظ . بو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ
تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٨٠ هـ - ١٣٨١ / ١٩٣٥ م - ١٩٣٦ م .
- ٥٧ - تاج العروس من جواهر القاموس - الزبيدي ، عبد الدين بو
العيسى السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي - ١٢٠٥ هـ . المطبعة
الخيرية المنشأة بمحالية مصر ٣٠٦ هـ .
- ٥٨ تاريخ بغداد او مدينة السلام - الخطيب البغدادي ، احمد بن
ابى بكر . ٤٦٣ هـ ، تصحيح محمد حامد القلي . القاهرة مطبعة
السعادة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .
- ٥٩ - التاريخ الجغرافى في القرآن الكريم - السيد مطهر الدين نادى .
القاهرة .

- ٦٠ - تاريخ العرب قبل الاسلام - الاصمعي ، عبد الملك بن قريش
٢١٦ هـ تحقيق محمد حسن آل ياسين - سداد مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ /
١٩٥٩ م .
- ٦١ - تاريخ العرب قبل الاسلام - حواد علي . مطبعة المجمع العلمي
العراقي ١٩٥٣ | ١٩٥٩ م .
- ٦٢ - تاريخ الموسيقى العربية - فارسي ، هـ . ح ، ترجمة حسين نصار
ومراجعة عبد العزيز الاهوازي . مكتبة مصر بالقاهرة .
- ٦٣ - تاريخ البيهقي - البيهقي ، احمد بن ابي يعقوب - ٢٨٤ . ايدن
مطبعة ريل ١٨٨٣ م .
- ٦٤ - تأويل مشكل القرآن . اس فقيه ، ابو محمد عبد الله بن مسلم .
٢٧٦ هـ ، تحقيق احمد مصر - القاهرة ، دار حياء الكتب العربية
١٣٧٣ هـ | ١٩٥٤ م .
- ٦٥ - التبيان في تفسير القرآن - الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن .
٤٦٠ هـ . تحقيق تادريك الطهراني المجلدي . المطبعة العلمية
١٣٧١ هـ | ١٩٥٧ م .
- ٦٦ - تطور الحريات في الشعر العربي - حميد سعيد القاهرة ١٩٤٥ م .
- ٦٧ - التفسير الميسر للقرآن الكريم - فتى الشاطبي ، عائشة عبد الرحمن .
دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- ٦٨ - تفسير قراب الكوفي ، الكوفي ، قراب بن ابراهيم (عاش في القرن
الثالث) . النجف المطبعة الحيدرية .
- ٦٩ - تفسير القرآن الكريم - النجاشي ، ابو محمد سهل بن عبد الله -
٢٨٣ هـ . تصحيح لجنة ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٧٩ هـ .

٧٠ - تدقيق البيان في محاربات القرآن - الشريف الرضي نحو ٤٠٦ هـ
تحقيق محمد عبد العلي حسن . القاهرة . دار احياء الكتب العربية
١٩٥٥ م .

٧١ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني ، ابو النضر احمد بن
علي - ٨٥٢ هـ . حيدر آباد ، الدكن . مطبعة دائرة المعارف المتماينة
١٣٢٥ هـ . ١٣٢٧ هـ .

٧٢ - التنبية والزر - المطلي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن
القاهرة ١٩٤٩ م .

٧٣ - نزهة القرآن عن المطاعين - عماد الدين ابو الحسن عبد الحار
بن احمد ٤١٠ هـ . المطبعة الخالية بمصر ١٣٢٩ هـ .

٧٤ - توير انقياس من تفسير ابن عباس - الفيروز ردي ابو طاهر
محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ . القاهرة . مطبعة الاستقامة ١٩٦٠ م .

٧٥ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - النعالي ، ابو منصور عبد
الملك بن محمد ٤٢٩ هـ . القاهرة ١٩٠٨ م .

٧٦ - جامع البيان عن تأويل القرآن - الطبري ، ابو جعفر محمد بن
حريز ٣١٠ هـ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

٧٧ - الجامع الصحيح او سنن الترمذي - الترمذي ، ابو عيسى محمد بن
عيسى ٢٧٩ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة : مطبعة مصطفى
البابي الحلبي ١٩٣٧ م .

٧٨ - الجان والامكنة والمياه - لرعشري ، ابو القاسم محمود بن عمر
٥٣٨ هـ تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم . المحف ، المطبعة
الحيدرية .

- ٧٩ - جزيرة العرب - يري ، حان جاك ، ترجمة محدة هاجر ، وسعيد
العز - بيروت ، المكتب التجاري - ١٩٦٥ .
- ٨٠ - جزيرة العرب في العرون العشرين - حافظ وهبة ، ط ٤ ، القاهرة
مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ م .
- ٨١ - صحراوية العالم ج ١ - الدكتورة دولت حمد صادق ، الدكتور محمد
السيد علام ، الدكتور جمال الدين الدماصوري ، القاهرة ، مكتبة
الأنحوت المصرية ١٩٥٩ م .
- ٨٢ - حمرة اشعار العرب - العرشي ، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب
المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٨٣ - حمراء اللغة - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الاردني -
٣٢٩ هـ مطبعة دائرة المعارف الثمانية بحيدر آباد الدكر ١٣٥١ هـ .
- ٨٤ - الحاوي في الطب ج ٢ - الرزي ، ابو بكر محمد بن زكريا -
٣١٣ هـ ، مطبعة دائرة المعارف الثمانية بحيدر آباد الدكر .
- ٨٥ - حقائق التدوين - الشريف الرضي . النجف ١٩٣٦ .
- ٨٦ - الخمسة - البحتري ، ابو عبادة ، تحقيق كمال مصطفى . المكتبة
التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ م .
- ٨٧ - حلية العرسان وشمار الشجعتن - ابن هديل الأسدي ، علي بن
عبد الرحمن ، تحقيق عبد العلي حسن . دار المعارف بمصر
١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .
- ٨٨ - الحيوان - الحافظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ ، تحقيق
عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وولاده
١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م .

٨٩ - حراة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية -
العمادي عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ هـ ، بولاق المطبعة الأميرية
١٣٩٩ هـ .

٩٠ - الخصائص - ابن حني أبو الفتح عثمان بن حني ٣٩٢ هـ ، تحقيق
علي البحار - القاهرة ، مطبعة دار المكتبة المصرية ١٣٧١ هـ -
١٣٧٦ هـ | ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .

٩١ - الجبل - أبو عبيدة ، معمر بن اسحق بنحو - ٢١٠ هـ . مطبعة
دائرة المعارف العثمانية . حيدر اباد لكهنؤ ١٣٥٨ هـ .

٩٢ - دائرة المعارف الإسلامية - (مترجم) مادة جهنم ، وحررة ترجمة
احمد الشنتاوي وآخرون .

٩٣ - درة التزليل وعرة التأويل خطيب الاسكافي ، أبو عبد الله
محمد بن عبد الله - ٤٢١ هـ ، تحقيق عبد مطي السقا مطبعة
السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ | ١٩٠٨ م .

٩٤ - دروس في البلاغة ونظونها - حبل سعيد - متعدد ، مطبعة المعارف
١٣٧٠ هـ | ١٩٥١ م .

٩٥ - لدلائل والاعتبار على خلق والتدبير خاخط - أبو عثمان حمرون
محرر - ٢٥٥ هـ ، تصحيح محمد رغب الطوح - مطبعة حلب
١٣٤٦ هـ | ١٩٢٨ م

٩٦ - ديوان ابن الدمية ، عبد الله بن عبيد الله . تحقيق احمد راتب
الماح القاهرة مطبعة المدني ١٣٧٨ هـ | ١٩٥٩ م .

٩٧ - ديوان ابن مقل - من معبد تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق ،
وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٣٨١ هـ | ١٩٦٢ م

٩٨ - ديوان أبي محمد الثقفي وشرح - العسكري ، أبو هلال الحسن
ابن عبد الله بن سهل ، تحقيق عمر السويدي ، لندن ، مطبعة
بريل ١٣٥٣ هـ / ١٩٦٦ م .

٩٩ - ديوان الأعشى الكبير - الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح
وتطبيق محمد محمد حسين ، المطبعة القمودية

١٠٠ - ديوان مري ، العيس - مري ، العيس ، تحقيق محمد أبو الفص
إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .

١٠١ - ديوان نادر بن برد - نادر بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور .
القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٠ -
١٩٥٧ م .

١٠٢ - ديوان نادر بن أبي حارم - نادر بن أبي حارم ، تحقيق الدكتور
عزة حسن - دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٥ م .

١٠٣ - ديوان حران المود لميري - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٠ / ١٩٣١ م .

١٠٤ - ديوان جرير - تحقيق كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت
١٩٦٠ م .

١٠٥ - ديوان حاتم الطائي - دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

١٠٦ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري - دار صادر - دار بيروت
١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

١٠٧ - ديوان الخطيب - شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ،
تحقيق نهار أمين طه ، القاهرة مصطفى الباني خلي وأولاده
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

- ١٠٨ - ديوان حميد بن ثور الحلاي - تحقيق عبد العزيز الميحي القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .
- ١٠٩ - ديوان سحيم عبد بي الحساس - تحقيق عبد العزيز الميحي .
القاهرة دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م
- ١١٠ - ديوان سلامة بن حنبل - تحقيق الأب بولس شيخو اليسوعي .
انطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٠ .
- ١١١ - ديوان السموث - مع ديوان عروة بن الورد (- دار صادر ،
دار بيروت . بيروت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ١١٢ - ديوان شعر دو الرمة - دو الرمة ، عيلا بن عمة العسوي ،
علي تصحيحه وتسميته كاريل هنري هيس مكارني ، مطبعة كلية
كبرج ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م .
- ١١٣ - ديوان الشهاج - الشهاج بن ضرر الصحافي المطهاني ، تحقيق
احمد الشفيطي - مطبعة السعادة مصر ١٣٢٧ هـ .
- ١١٤ - ديوان طارق بن العبد - تحقيق الدكتور علي الجدي ، مكتبة
الانكلو لمصرية ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- ١١٥ - ديوان الطرمح - الطرمح ، بن حكيم بن مر الطائي (طبع
مع شعر طليل العسوي) تحقيق كرككو لندن ١٩٤٧ م .
- ١١٦ - ديوان طاهر بن الطيف - تحقيق كرم البستاني ، دار صادر .
دار بيروت . بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .
- ١١٧ - ديوان عبيد بن الارص - تحقيق كرم البستاني . دار صادر .
دار بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- ١١٨ - ديوان عدي بن زيد العبادي - تحقيق محمد حيار المعيد . بغداد

وزارة الثقافة والارشاد ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١١٩ - ديوان عروة بن الورد - تصحيح الشيخ ابن أبي شنف . طبع

بالجزائر ١٩٢٦ م .

١٢٠ - ديوان الفرزدق - تحقيق كرم السبكي . دار صادر ، دار بيروت

١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

١٢١ - ديوان القطامي - تحقيق إبراهيم السامري ، واحد مطلوب بيروت

دار الثقافة ١٩٦٠ م .

٢٢٩ - ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد .

القاهرة مطبعة المدني ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

١٢٣ - ديوان المررد بن صرار العطفاني . تحقيق خليل إبراهيم العطية

بغداد ، مطبعة اسعد ١٩٦٢ م .

١٢٤ - ديوان المفصليات - الأباري ، ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار

٣٠٤ هـ ، تحقيق كارلوس بنفوق لايل . بيروت مطبعة الآباء

اليسوعيين ١٩٢٠ م .

١٢٥ - ديوان الناسة الديلمي - تحقيق وشرح العشاي . دار صادر ،

دار بيروت ، بيروت ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

١٢٦ - ديب الأمازي والموادر - الممددي ، ابو علي إسماعيل بن القاسم -

٣٥٦ هـ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٦ م .

١٢٧ - رسالة في بيان انحمار القرآن - الخطابي ، ابو سليمان احمد بن

محمد بن ابراهيم ٣٨٨ هـ - ضمن ثلاث رسائل في انحمار القرآن -

تحقيق محمد خلف الله ، محمد رعلول سلام . دار المعارف مصر .

١٢٨ - رسالة في المعاد - ضمن رسائل الحافظ ج ١ ، تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون • القاهرة • مكتبة الخديجي ١٣٨٤ هـ
١٩٦٤ م •

١٢٩ - زهر الآداب وثمر الآداب - الحصري الفيرواني ، ابو اسحاق
ابراهيم بن علي ٤٥٣ هـ • تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد •
• شرح ركي مبارك • مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م •
١٣٠ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - الرازي ، ابو حاتم احمد
ابن حمدان ٣٢٢ هـ • تحقيق حسين بن قيس الله احمداقي •
القاهرة ١٩٥٧ م •

١٣١ - شرح البيوت شرح رسالة ابن ريدون - ابن سنان ، حسان الدين
محمد بن محمد • ٧٦٨ هـ • المطبعة الأميرية بمصر ١٢٧٨ هـ •
١٣٢ - سنن ابن ماجة - ابو عبد الله محمد بن يزيد القرويني - ٢٧٥ هـ •
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي • دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ •
١٣٣ - سنن ابي داود - ابو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الازدي -
٢٧٥ هـ • تحقيق احمد سعد علي • مطبعة السامي الحلبي واولاده
بمصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م •

١٣٤ - سنن الدارمي - الدارمي • ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
ابن الفضل بن بهرام ٢٥٥ هـ • عي طبعه محمد احمد الدهان •
دمشق • مطبعة الاعتدال ١٣٤٩ هـ •

١٣٥ - سنن النسائي - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي ٣٠٣ هـ •
المطبعة المصرية بالأزهر •

١٣٦ - سيرة النبي ابن هشام • ابو محمد عبد الملك ٣١٣ أو ٢١٨ هـ •
تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد • مطبعة حجازي •

١٣٧ - شجر الدر في مدح الكلام ، سماعى المختلفة - بو الطيب عبد
الواحد بن علي للعوي ٣٥١ هـ . تحقيق محمد عبد الحواد دار
المعارف بمصر ١٩٥٧ م .

١٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية من ذلك تحقيق محي الدين عبد
الحيد . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١ م .

١٣٩ - شرح شعار هذليين - تحقيق عبد الستار احمد فراج . القاهرة
مطبعة المدنى .

١٤٠ - شرح ديوان الحامسة - مرروقي . ابو علي احمد بن الحسن
٤٢١ هـ . اعشاء احمد امين وعبد السلام هارون . القاهرة مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .

١٤١ - شرح ديوان زهير بن ابى سلمى شرح نعلب ابى العباس احمد بن
بجى بن يزيد الشيباني ٢٩١ هـ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة
والنشر ١٩٦٤ م .

١٤٢ - شرح ديوان علقمة العجى تحقيق حمد صقر . القاهرة ، مطبعة
المحمودية ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .

١٤٣ - شرح ديوان عنترة بن شداد - تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف
شاهي . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى .

١٤٤ - شرح ديوان كعب بن زهير - القاهرة . الدار القومية للطباعة
والنشر ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١٤٥ - شرح ديوان يزيد بن ربيعة لعاصري تحقيق احسان عباس .
الكويت ١٩٦٢ م .

١٤٦ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - اس الأنباري ، ابو بكر

محمد بن القاسم ٣٧٨ هـ ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون بدر
العارف ١٩٦٣ م .

١٤٧ - شعر طفيل بن عوف الصدي - تحقيق ف . كركنو ، لندن ١٩٢٧ م
١٤٨ - شعر انثب العدي تحقيق محمد حس آل ياسين . مطبعة المعارف
١٩٥٦ م .

١٤٩ شعر الناعة الحمدي تحقيق عبد العزيز رباح . دمشق ، المكتب
الا-لامبي ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ

١٥٠ - الشعر والشعراء - إس قنية ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بيروت
دار الثقافة ١٩٦٤

١٥١ - شعاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الخفاجي ، شهاب
لدين محمد بن محمد ١٠٦٩ هـ . القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .
١٥٢ - الصاحبي في فقه اللغة وسر العرب في كلامها - ابن فارس ،
بو الحسين احمد ٣٩٥ . القاهرة ، مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ /
١٩٠٠ م .

١٥٣ - الصراح (تاج اللغة وصحاح العربية) - الجوهرى : اسماعيل بن
حامد ٣٩٣ هـ ، تحقيق احمد عبد المتور عطار . دار الكتاب العربي
بصر ١٣٧٦ - ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م

١٥٤ - صحيح مسلم - مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار احياء الكتب العربية ١٣٧٤ -
١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .

١٥٥ - سفة بلاد اليمن ، ومكة وبصر الحجار (او تاريخ المتبصر) -
اس المحاور تحقيق اوسكر لوفجرين . لندن مطبعة بريل ١٩٥٤ .

١٥٦ - صفة حرية العرب الحمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد بن
يحيى - ٣٣٤ هـ ، تحقيق محمد بن عبد الله بن بلهد النحدي .
مطبعة السعادة بحصر ١٩٥٣ م .

١٥٧ - المساعدي المكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل -
٣٩٦ هـ . تحقيق علي محمد الجدي ، محمد ابو الفصاح ، ابراهيم
دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م

١٥٨ - سورة لادرس . بن حنبل ، ابو القاسم . بن حنبل المصلي -
٣٩٧ هـ . ط ٢ لندن ، مطبعة بريل ١٩٣٨ م .

١٥٩ طبقات اخوان الشعراء ، ابن سلام ، ابو عبد الله محمد المحمدي
البصري . دار المعارف للطباعة والنشر .

١٦٠ - الطبقات الكبرى . بن سعد ، محمد . ٢٣٠ هـ . تحقيق ادوارد
سحقو لندن ، مطبعة بريل ١٣٢١ هـ .

١٦١ - الطب السوي - الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد ٧٤٨ هـ .
القاهرة ، مطبعة مصطفى الناني الحلبي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م

١٦٢ - الطرائف الادبية (مجموعة من الشعر تشتمل على ديوان الأفواه
الأودي وديوان الشعري وقصائد ودونويس اخرى) - نشر
عيد العزيز الميمى القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٧

١٦٣ - العشر مقالات في الفين - منسوب لحسين بن اسحاق - ٢٩٤ هـ
تحقيق ماكس مايرهوف ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ١٩٢٨ م

١٦٤ - المممة ابن رشيق القيرواني ، ابو علي الحسن - ٤٦٣ هـ . تحقيق
محمد يحيى لدير عبد الحميد . مطبعة حجازي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٤ م .

١٦٥ - العبد الخليل بن محمد القزويني ١٧٥ هـ . ونسب إلى الثالث

إبن المطهر بن نصر بن حيدر الخراساني . تحقيق الأثر السنن

نوري الكرملي . عدد ، مطبعة دار الأمام ١٩١٤ م .

١٦٦ - عيون الأثر في فضل معصري والنبأ والسير . إبن سيد الس

٧٣٤ هـ القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٦ .

١٦٧ - عيون الأحبار . إبن فنية ، أبو محمد عبد الله بن مسلم

الدينوري ٢٧٦ هـ القاهرة : دار الكتب المصرية ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ |

١٩٢٥ - ١٩٣٠ م

١٦٨ - عريب الحديث . أبو عبد الله القاسم بن سلام . ٢٧٤ هـ تحقيق

محمد عبد الحميد خان . دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن

١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

١٦٩ - عريب القرآن المسمى برفعه القلوب . السجستاني ، أبو بكر محمد

إبن عزي ٣٣٠ هـ مطبعة محمد علي صبيح مصر ١٣٧٢ هـ /

٩٥٢ م

١٧٠ - الماهر أبو طالب المفضل بن سلمة بن حاصم ٢٧١ هـ . تحقيق

عبد العظيم الطحاوي الماهرة ، وزارة الثقافة والإشاد

١٣٨٠ هـ | ١٩٦٠ م

١٧١ - الفصل المرد ، أبو الماس محمد بن يزيد ٢٨٥ هـ تحقيق

عبد العزيز إسمي القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥ هـ |

١٩٥٦ م .

١٧٢ - نجر السودان . الحافظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ .

نشر ضمن رسائل الحافظ . تحقيق عبد السلام هارون مكتبة

الخاتمي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

١٧٣ - مع الفقه وسر العريضة - الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد البغدادي ٤٢٩ هـ - تحقيق مصطفى السقا ، وديراهيم الأبياري ، وعدد الحفيظ شالي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

١٧٤ - الفهرست . بن السديم ، محمد بن اسحاق - نحو ٣٨٧ هـ . القاهرة مطبعة الاستقامة .

١٧٥ - في طريق الميثولوجيا عند العرب الخوت ، محمود سليم - بيروت ١٩٥٥ .

١٧٦ - قاموس الكتاب المقدس - ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست بيروت المطبعة الأمريكية ١٩٠١ .

١٧٧ - القرآن الكريم .

١٧٨ - فشرة الأرس - محمد صفي الدين - مصر ، دار الطباعة ١٩٥٧ .

١٧٩ - الكس في التاريخ - ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني - ٦٣٠ هـ القاهرة ، دار الطباعة ١٢٩٠ هـ .

١٨٠ - الكامل في اللغة والأدب - المرد ، ابو العباس محمد بن يزيد - ٧٨٥ هـ ، تحقيق حمد محمد شاكر بمصر - مطبعة مصطفى السقا

الخطي ١٩٣٧ .

١٨١ - الكتاب المقدس .

١٨٢ - الكشاف - الزمخشري ، ابو القاسم حار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ

القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٩٧ هـ - ١٣٧١ هـ .

١٨٣ - لباب الآداب - اسامة بن منقذ - ٥٨٤ هـ ، تحقيق احمد محمد

- شاكر • مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٥ م • ١٣٥٤ هـ •
- ١٨٤ - لسان العرب - ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٧١١ هـ ، بولاق ، المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ •
- ١٨٥ - لسان الميرن ابن حمد محمد بن علي استوفى سنة ٨٥٢ هـ •
- حيدر اماد الدكن • مطبعة دائره المعارف العشابه ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ •
- ١٨٦ - اللغات في القرآن - ابن عباس ، عبد الله ، تحقيق صلاح الدين المنجد • مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م •
- ١٨٧ - مقتهات القرآن - بن شهر آشوب • محمد بن علي الباربدراي •
- ابران مطبعة شركة سامي ١٣٢٨ هـ •
- ١٨٨ - مح القرآن - ابو عبيدة معمر بن النضر النخعي سنة ٢١٠ هـ •
- تحقيق محمد فؤاد مكرز • مصر • محمد • الخايجي ١٣٧٤ هـ •
- ١٩٥٥ م •
- ١٨٩ - محاسن نعلب نعلب ، ابو الحسن احمد بن يحيى - ٢٩١ هـ •
- تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠ •
- ١٩٠ - محاسن العلماء - الرحاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق - ٣٤٠ هـ • تحقيق عبد السلام محمد هارون • الكويت ، وراثة الارشاد والانباء ١٩٦٢ •
- ١٩١ - مجمع الأمثال ابيدائي ، ابو الفضل محمد ٥١٨ هـ • القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ هـ •
- ١٩٢ - المحاسن - البرقي ، ابو حمزة احمد بن خالد • نشر محمد كامل الكتبي • العجب الأتشف • المطبعة الجبدرية ١٣٨٤ هـ •
- ١٩٣ - المحاسن والأصداق - الحافظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر -

- ٢٥٥ هـ ، تصحيح محمد بن الخايمي . المطبعة الجمالية .
- ١٩٤ - محاسن في تاريخ العرب - علي ، صالح احمد . تعداد مطبعة المعارف ١٩٥٩ .
- ١٩٥ - الخبر ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية البغدادي .
- ٢٤٥ هـ تحقيق الدكتورة . يلز ليحقن ستيغ عبيد رآد الدكن . مطبعة جمعية دائرة المعارف النمانية ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م .
- ١٩٦ - المحكم - ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ ج ١ ، تحقيق مصطفى السقا ، حسين نصار مصر ، مطبعة مصطفى الناني الحلبي ١٩٥٨ م ١٣٧٧ هـ ج ٧ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ١٩٥٨ - ١٣٧٧ مصر ، مطبعة مصطفى الناني الحلبي
- ١٩٧ - مختصر البلدان - ابن الفقيه ، ابو بكر ، احمد بن ابراهيم ٣٦٥ هـ لندن . مطبعة بريل ١٣٠٢ .
- ١٩٨ - المختص ابن سيدة - علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ . بولاق . المطبعة الأميرية سنة ١٣١٦ هـ
- ١٩٩ - المداخلات او المداخل - غلام ثعلب ، ابو عمر . محمد بن عبد الواحد الراشد المطرر - ٣٤٤ هـ - ٣٤٥ هـ تحقيق عبد المزيذ اسمي الراشكوتي نشر في مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق المجلد ٢٩٩ ج ٨ ، ج ٩ . ١٩٢٩ م | ١٣٤٨ هـ .
- ٢٠ - مرصد لاطلاع على اسماء الاممكة والبقاع - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ٧٣٩ تحقيق علي الجاوي . مصر ، دار الكتب العربية ١٩٥٤ .
- ٢٠١ - المزهري في علوم اللغة العربية - السيوطي ، عبد الرحمن حلال الدين

- ٩١١ هـ ، تحقيق محمد احمد جاد ، ملولى وآخرون . مصر دار
احياء الكتب العربية ١٩٥٨ م ١٣٧٨ هـ .
- ٧٠٢ - المسالك والممالك - ابن حزدادة ، ابو العاسم عبيد الله بن عبد الله -
٣٠٥ هـ . لندن ، مطبعة بريل ١٨٨٩ م .
- ٣٠٢ - المستقصى في امثال العرب - الريحتمري حار الله محمود بن عمر -
٥٣٨ هـ ، تحقيق محمد عبد الرحمن حان . حيدر آباد الدكن ،
مطبعة دائرة المعارف المنابية ١٩٦٢ - ١٣٨١ هـ .
- ٢٠٤ - اسلسل في عريب لغة العرب - النجدي ، ابو الطاهر محمد بن
يوسف بن عبد الله - ٦٣٨ هـ ، تحقيق محمد عبد الجواد . مصر
وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- ٢٠٥ - مسند الامام احمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١ هـ .
- ٢٠٦ - مشاهد العيمة في المراآل الكريم - سيد قطب . القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٠٧ - المفصلات - المعصل الضي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام
محمد هارون ط ٣ . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ م .
- ٢٠٨ - المعارف - ابن فنية ابو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ هـ .
تحقيق ثروت عكاشة ، مصر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٩٦٠ م .
- ٢٠٩ - معاني الشمر - الاشمايداني ، ابو عثمان سعيد بن هارون سنة
٣٢١ هـ ، تحقيق صلاح الدين انسجد . بيروت . دار الكتب
الحديد ١٩٦٤ م .
- ٢١٠ - معاني القرآن - المراء ابو ذكريا يحيى بن رباد سنة ٢٠٧ هـ ،
تحقيق احمد يوسف نحاتي ، ومحمد علي السجار . القاهرة دار

الكتب المصرية ١٩٥٥ م .

- ٢١١ - المعاني الكبير ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم -
 ٢٧٦ هـ . جيلر آزاد الدكن . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ .
 ٢١٢ - معجم البلدان ، الطوسي ، أبو عبد الله يعقوب بن عبد الله ٢٧٦ هـ .
 ليرج ١٨٦٨ .
 ٢١٣ - معجم الشعراء - الرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن
 موسى ، تحقيق كركنو ، القاهرة ، مكتبة القدسي ١٣٥٤ هـ .
 ٢١٤ - معجم ، استعجم السكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز
 بن أبي مصعب - ٤٨٧ هـ . المغرب ، المعهد الحسيني للأبحاث
 العربية ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
 ٢١٥ - المعجم المفسر لألفاظ القرآن - محمد مؤيد عبد الباقي ، مطابع
 الشعب ١٣٧٨ هـ .
 ٢١٦ - معجم مفاتيح اللغة - بن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس
 بن زكريا - ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة
 دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ .
 ٢١٧ - المغرب عن الكلام الأعجمي - الخواشي ، أبو منصور ، مؤهوب
 ابن أحمد بن محمد - ٥٤٠ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة
 مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ .
 ٢١٨ - المعروضات الحشاني ، أبو حاتم سهل بن عثمان - ٢٥٠ هـ ،
 تحقيق عبد النعم طاهر مصر ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ .
 ٢١٩ - معي اللبيب عن كتب الأمازيغ - ابن هشام ، أبو محمد عبد الله
 جمال الدين بن يوسف - ٧٩١ هـ ، تحقيق محمد عبي الدين

عبد الحميد .

٢٢٠ - المفردات في غريب القرآن - الرابع الأسعفاني محمد بن الفصل -

٥٠٧ هـ كراجي ١٩٦١ .

٢٢١ - المقدمة - ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون - ٨٠٨ هـ تحقيق

نصر الموريني ١٣٧٤ هـ .

٢٢٢ - الملاهي وسأؤها الفصل من ملحة ٢٩٠ هـ تحقيق عباس

المزاوي مع كتاب الموسيقى العراقية لعدد شركه التجارة

والطباعة المحدودة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ .

٢٢٣ - من حديث امام في الأدب العربي جميل سعيد (مستل من مجلة

للمجمع العلمي العراقي) لعدد مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .

٢٢٤ - المنازل والديار - اسامة بن سعد بن مرشد بن مقلد نشر الس

ابن خالدوف موسكو ، دار النشر للاداب الشرقية ١٩٦١ .

٢٢٥ - الملقى في اخبار قریش ابن حبيب محمد ابو حمير البغدادي

٢٤٥ هـ حيدر آباد الـكس دائرة المعارف الثمانية ١٣٨٤ -

١٩٦٤ م .

٢٢٦ - المؤلف والمختلف - الأمدي ابو القاسم الحسن بن نشر بن

يحيى ٣٧٠ هـ تحقيق عبد السار احمد ورج القاهرة ، دار احياء

الكتب العربية ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م

٢٢٧ - الموطن - مالك بن اس . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة

در احياء الكتب العربية .

٢٢٨ - النبات - (نقطة من الجزء الخامس) ابو حبيفة . احمد بن

- دودالديوري ٨٢٨٧ شرب - لويس ، لندن . مطبعة بريل ١٩٥٣ .
- ٢٢٩ محبة عقد الحباد في الصلوات الحباد الحواثري ، محمد . بيروت
المطبعة الأهلية ١٣٢٦
- ٢٣٠ رهه الألباء في طيفت لأدباء . بن الأبياري ، ابو العركات
كمال الدين عبد الرحمن بن محمد . تحقيق . إبراهيم السامرائي بغداد
مطبعة اسراف ١٩٥٩ م
- ٢٣١ - رهه العمر في التمهيد بن البص والود والسمير البيوطي ،
عبد الرحمن حلال الدين ٩١١ هـ . دمشق المكتبة العربية
- ٢٣٢ نسب قریش الزيري ، ابو عبد الله المصنف بن عبد الله بن
مصنف ٢٣٦ هـ تحقيق ليبي بروفيسال . القاهرة دار اسراف
١٩٥٣ م .
- ٢٣٣ نظام العربي - ارمي ، عيسى بن إبراهيم ٤٨٥ هـ تصحيح
بولس بروقة . مصر . مطبعة هدية .
- ٢٣٤ - القافض - (قافض جرير والعردى) ابو عبيدة ، معمر
إلى الثاني ٢١٥ هـ لندن . مطبعة بريل ١٩٠٥ م .
- ٢٣٥ الهدية في غريب الحديث - اسارك بن محمد الحردي . تصحيح
عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاوي مصر مطبعة العتابة ١٣١٩ م
- ٢٣٦ الوادر - ابو مسهل الاعرابي ، عبد الوهاب بن حريش .
تحقيق الدكتور عزة حسن دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية
١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٣٨ هذا العالم - الشرفاوي . محمد عبد النعم ، ومحمد محمود الصياد
القاهرة دار المعارف . ١٩٥٩ م .

- ٢٣٨ - جمع المواعع في شرح جمع الخوامع في عم العربية . البيوطي ،
 جلال الدين عماد الرحمن ابو بكر - ٩١١ هـ . تحقيق محمد
 بدر الدين المسبتي . مصر ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣٩ - الوحيات (وهو الحاشية المصرية) - ابو تمام ، حبيب بن
 اوس . تحقيق عبد العزيز الميمي الزحكوفى . القاهرة . دار
 المعارف ١٩٦٣ .
- ٢٤٠ - الوصف في شعر العراقي في القرن الثالث والاربع امجريين .
 جميل سعيد . بغداد . مطبعة الهلال ١٩٤٨ .
- ٢٤١ - وفاة لوطا باحد دار المصطفى - السموودي علي بن احمد
 المصري ٩١١ هـ تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد .
- ٢٤٢ - السباع - السجستاني ، ابو بصير اسحاق ٣٣١ هـ تحقيق مصطفى
 طالب . بيروت . مكتب التحاري للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

ج - المقالات

- ٢٤٣ - احساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات - جميل سعيد . مجلة
 كلية الآداب العدد الأول لسنة ١٩٥٦ بغداد مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٦ .
- ٢٤٤ - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية . مار اغناطيوس افرام الأول
 برصوم مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٣ ج ٢ . ج ٣ ،
 ج ٤ لسنة ١٩٤٨ .
- ٢٤٥ - الأسبجة في القرنين الأول والثاني - صالح احمد العلي مجلة لاهوت
 ج ٤ كانون الأول السنة ١٤ لسنة ١٩٦١ .
- ٢٤٦ - البيئة العربية في القرآن الكريم - ابراهيم السامري . مجلة البيئة

السنة الأولى العدد العاشر ١٩٦٣ م - ١٣٨٢ هـ •

٢٤٧ - دحييل في اللغة العربية • فؤاد حسن علي • مجلة كلية الآداب

المجلد ١١ ج ١ • مايو سنة ١٩٤٩ م • مطبعة جامعة فؤاد الأول

• ١٩٤٩ م •

٢٤٨ - ديل الالفاظ السريانية في المعاجم العربية - مار انطانيوس

• فؤاد الأول بوصوم • مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٤

• لسنة ١٩٥١ •

الكتب الأجنبية :

- 249 - Arabic English Lexicon - (ed. by) A. J. Arberry - Edinburgh
England , 1955 .
- 250 - Encyclopedia of Islam - (ed. by) M. J. L. Meek - London , 1960 .
- 251 - Encyclopedia of Religion and Ethics , Art - Religion of the
Semites , Sixth Vol . I .
- 252 - The Quran - Arabic Text - (ed. by) M. J. L. Meek - London
1936 .

الفهارس

- ١ - الاحاديث النبوية .
- ٢ - الاشعار .
- ٣ - الاعلام .
- ٤ - التعابير القرآنية .
- ٥ - المحتوى .

فهرس الاحاديث النبوية

٢٩٦	اذا اكل احدكم طعاماً...٠٠٠
٣٠	دع دامي اللبن...٠٠٠
٢٠٦	شدة الحر...٠٠٠
٣٠٥	عليكم بالشفائين...٠٠٠
■	عبادة المريض...٠٠٠
٣٠٩	من اراد...٠٠٠
٢٠٦	من صبر على حر
٥٥	من قاتل في سبيل الله

فهرس الاشعار

الصدر العجر الشاعر الصفحة

(الالف)

١٣٧	الحارث بن حازمة	عبره	أسد
١٢٠	زهير بن أبي سلمى	حلاء	مارزة
٤١	بشر بن أبي حارم	اللقاء	بشيب
١٩٥	زهير بن أبي سلمى	انظاء	هبأأن
١٤٤	عنبرة بن شداد	دواء	لئن لك
٧٣	ابو ريد	الدهاء	عاجدا الله

(الاء)

٢٧٧	اللهي	العرب	وان الاحصر
٢٢	عامر بن عمرو	المعجب	ولا تقربني
٢١٥	عبر مسوب	متعب	كأن بها
٤٢	طهين العنوي	متحدث	هبانوا
١٠٩	المثقب العدي	تشيب	يطيف
٤٨	امرؤ القيس	معب	فلساق
١٥٥	ذو الرمة	كذبوا	زرق
١٨١	علقمة الفحل	تصوت	فلا تعدلي
٣٠٣	عدي بن ريد	شاربها	اد عفته
٢٩٦	عنبرة بن شداد	الاحرب	لا تذكرني

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
تصتر	شمع	امرؤ القيس	٢٧٤
لما عدوت	التراب	عبر منسوب	١٨١
بمطعم	مشذب	اييف بن حلة	١٢٧
		(الحميم)	
بأرعن	تهملح	الناقة الجعدي	٦٦
لا تنكسع	الناتج	الحارث بن حلرة	٢٩٣
		(الحواء)	
ومهمه	يطلحوا	غير منسوب	٦٨
تركها	الرائع	عنترة بن شداد	٢٦١
كان على	صباحا	الناقة الديباني	٤٥
تراجعت	القباح	بشار بن برد	١٥٨
		(الدال)	
فما أحشمت	سود	الاعشى	١٤٢
وحسن	حروود	قيس بن خويلد	٢٤٧
وللخيل	سود	بشار بن برد	١٥٨
طوف	جده	الطرماح	١٠٩
تحلها	اكسادها	الاعشى	١٥٥
واني	المردا	غير منسوب	٢٣٤
اذا سيل	سودا	مسلم بن الوليد	١٥٨
رعى	سودا	الكهيت بن زيد	١٤٣
بدل	يسود	ابو ربيد	١٤٣
وعذنا	بالصفاد	عنترة بن شداد	٢٦١

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
مجنن	الممدد	دريد بن الصمة	١٩
فهن	الصادي	القحطامي	٢٢٣
ويروي	المحمد	الاحشي	١٥٥
صهاية	اليد	طرفة	٨٧
وان تبغني	تعطد	طرفة	٢٩٨
يعيون	جلدي	عنترة بن شداد	١٤٤
موسكان	غدي	طرفة	١٧٦

(الراء)

واذا تاسني	فقر	طرفة	١٢٢
انا آبن	رمر	ابن ماوية	٢٤
حين فادى	الذعر	طرفة	٣٢
واذا قامت	منقعر	طرفة	٢٩
لمن الديار	المور	الحطينة	٨٦
اوقد	صر	حاتم الطائي	٢٨١
وقوم	عود	عمرو بن الأهم	٢٣
يعيون	المجر	عنترة بن شداد	١٤٥
انراب	الخضر	دو الرمة	٢٧٧
من يك	تعار	عنترة بن شداد	٢٩٤
قروا	مشافره	الحطينة	٢٩٣
تري	سوارها	ابو ذؤيب	٣٠٣
وضرجا	اصيرا	دريد بن عمرو بن الصمق	٢٦٢

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
مشهتهم	فَقْتِيرَا	امروء القيس	٢٧٥
انّا ملوك	نضرا	غير منسوب	١٦٢
كأد القرنفل	مشورا	الاعشى	٢٩١
وسبتك	الستارة	الاعشى	١٦٣
وَرَايَا	الفقارا	الاعشى	١٢١
تلاعب	قفر	طرفة بن العبد	٢٥٢
كانك	حادر	زيان بن صبار الفراري	٢٤٣
ومكبل	أبصر	عوف بن عطية	١٧٥
فيامس	النضر	ظالم بن البراء	١٦٣
قوم	الأنفار	النايفة الديباني	٤٥
يا لك	أصمري	طرفة بن العبد	٢٧
والشاعرون	الناصر	الاعشى	١٦٢
قوم	الزجر	الحرق بنت همام	٤٨
وبصدق	جر	قيس بن الخطيم	٢١٤
أعب	القطر	رهير بن أبي سلمي	٨٦
لو كنت	كلبر	غير منسوب	٩٣
كان	مثنار	النايفة الديباني	٣٠٦
(السنين)			
وُجِعَتْ	ابلاس	العجاج	١١٧
وجيف	حادم	المرقش الأكبر	٢٣
فباتوا	هموس	أبو زيد	١٣٦
عس	نفسا	غير منسوب	٧٥

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
تضيئكم	نحاس	الباقفة الجعدي	٢٢٣
لا تحرا	نسا	غير منسوب	٧٢
يا صاح	اللسا	غير منسوب	١١٥
أجد	الهمس	امرؤ القيس	١٣٨
		(الضاد)	
احمصه	غضيفض	امرؤ القيس	٢٤
		(الطاء)	
لما سمعت	منحط	غير منسوب	٤٩
		(الطاء)	
الآن من	عكاظ	امية بن حلف	٢٢٢
فتأنيه	عكاظ	حسان بن ثابت	٢٢٢
		(العين)	
تعبدي	مهطع	غير منسوب	١٢٩
ان الصلاة	لا تضيق	غير منسوب	١٢١
قله ضريب	لا يطلع	متمم بن نويرة	٢٩٥
ارى	توجع	الاعرج المعنى	٢٩٦
اشرف	مقنعا	رؤية	١٣٣
ونادى	اجمعا	الكلحة العربي	٤١
وقد كان	امرعا	متمم بن نويرة	٣٠
حتى اذا	رضعا	الاعشى	٥٤
جرى	بجمع	غير منسوب	١٧٢
بستهطع	ممع	غير منسوب	١٢٨

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
ندجلة	السماع	يزيد بن مفرغ	١٢٨
الا منعت	بالصريع	مالك بن حوف الغامدي	٢٤٩
اودى	الاذرع	الحادرة	٢٤٤
بما كرن	الوقيع	الشاخ	١٣٢
(الفاء)			
عجيز	أعرف	غير منسوب	٢٥٣
اعدل	هاتف	مالك بن نويرة	٢٩٥
ير ماون	كلف	غير منسوب	١٤٣
(القاف)			
برشح	طوانق	غير منسوب	١٦٢
لقد زرقت	ازرق	سويد بن ابى كامل	١٥٧
كذلك	تزرق	الاعشى	١٥٧
وما كنت	مطرق	المزرد بن ضرار	١٥٥
يمري	فانخرقا	زهير بن ابى سلمى	٢٩
ويشربه	اورقا	غير منسوب	٢٩٤
واليك	الوناق	المهاهل بن دبيعة	٢٦٢
فاتبعتهم	شبرق	امرؤ القيس	٢٤٧
فقمنا	يحرق	امرؤ القيس	١٦٣
(الكاف)			
أبني	شمالك	اس الدمينه	١٩٨
(اللام)			
صلان	فسل	النايقة الجعدي	١٠٤

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
يستخفون	تزل	النايفة الجعدي	٣٢
كان	غل	امرؤ القيس	٢٩١
اذا أبس	براطيل	عبد بن الطيب	٧٤
اديم	فادهل	الشمرى	٢٥٩
لما وجد	بتصلصل	غير منسوب	٢٤٤
كان	عجل	الاعشى	٨٦
ولا أعالف	عول	طعيل الغنوي	٣٠٢
ان زحلوة	تهل	غير منسوب	٦٤
فان لك	تفتالها	الخنساء	٦٤
تقلت	الحالا	امرؤ القيس	١٨١
لئن رحلت	طولا	المربيع بن زياد	١٨٦
ايقتلي	اغوالا	امرؤ القيس	٢٥٤
كبكر	المخلل	امرؤ القيس	١٤١
الا ايهدا	مخلدي	طرفة بن العبد	٢٩٩
مهفهفة	كالسجنجل	امرؤ القيس	١٤١
كان	عل	الاصم بن سالم	١١٣
اني اذا	اتعمل	دريد بن الصمة	٤١
وما زالت	بالاول	غير منسوب	٣٠١
ان الفرزدق	المصطلي	جرير	١١٤
اودى	المصطلي	غير منسوب	١١٢
		(الميم)	
قطار	يطم	الاعشى	٦٧

الصدر	المعجز	الشاعر	الصفحة
بمشملة	جاحم	الاعشى	٢١٤
قد أدر	ترميم	عقمة المحل	٢٦٧
احرث	هم	لييد	٢٤٤
الا يا نحلة	السلام	غير منسوب	٢٢٤
وما يندوهم	فنام	بشر بن أبي خازم	٣٧
تجناف	هيامها	لييد	٢٤٥
كانك	هيمها	غير منسوب	٢٤٣
فتلك	اكاهها	لييد	٦٨
نميد	الحزما	النابعة الديباني	٢٥٣
تحمي	فانهدما	النابعة الديباني	٢٩
واني	جرمي	ابو خراش المذلي	٢٥٩
فاذا سكرت	يكلم	عنزة بن شداد	٣٠٣
كان	يعظم	زهير بن أبي سلمى	٧٧
مق	صيام	غير منسوب	٣٢
ولقد شربت	المعلم	عنزة بن شداد	٢٩٩
تخور	اجسامها	الظرماع	٥٤

(السود)

لقد نطحتاهم	الصورين	غير منسوب	١٩
اراك	الرجوان	القتال الكلابي	١٤٣
يقولون	ودينها	غير منسوب	١٥٦

الصفحة	الشاعر	المعجم	الصلو
١٤١	عمرو بن كلثوم	تهوينا	على آثارنا
٢٩٨	عمرو بن كلثوم	الاندرييا	الاهي
٩٣	عمرو بن كلثوم	طبيا	وانا اشارون
٣٨	ذو الاصبع العذراي	المون	عف
٢٤٦	لييد	الكشان	يزع
١٤٥	عشرة بن شد د	العبون	وما وجد
	(الياء)		
١٥٤	صميم	عاريا	رأت قتنا
٢٣٤	امرؤ القيس	ريا	لعمرك
١٤٥	صميم	بسواديا	ولو كنت
٢٣٢	غير منسوب	أنبي	تبشري

فهرس الاعلام

(أ)

ابراهيم السامري (الدكتور) ٢٠٠١٢٠٨ .
ابن الاعرابي ٢٢ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٦١ ،
١٨٠ ، ١٦٢
ابن الاثير ٢٠ ، ١٩٥ .
ابن بري ١٢٧ .
ابن حني ٤٠ .
ابن حبان ٢٦٣ .
ابن خلدون ٦ ، ١٧١ .
ابن دارة ١٧٢ .
ابن دريد ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٩٢ .
ابن الدمية ١٩٧ .
ابن رسته ٦ .
ابن السكيت ٧٢ ، ١٦١ .
ابن سيده ٤٧ ، ١٤٩ .
ابن عباس ١١ ، ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ،
١٠٣ ، ١١٩ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٨٤

٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٣٠١ ،
ابن فارس ٧ ، ٢٢ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٣ ،
٨٩ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،
١٦٤ ، ١٩١ .
ابن الفقيه ١٤٢ .
ابن قتيبة ٧ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ،
٢١٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
٢٧٨ .
ابن الكلبي ١٠٨ .
ابن ماجة ٢٤ ، ٢٥ .
ابن المنصور ٣٠٤ .
ابن مسعود ٨٧ ، ٨٣ .
ابن منظور ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ٢٧٨ .
ابن النديم ١٩٤ .
ابن هشام ٢٧ .
ابو تمام ١٧٢ .
ابو جهل ٢٥١ ، ٢٥٢ .
ابو حاتم الرازي ٢١٢ .

ابو حنيفة الدينوري ٨٩ ، ١٦١ ، ٢٦٢
 ابو دؤيب ٣٠٣ .
 ابو زيد الطائي ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ .
 ابو زيد الانصاري ٣٥ ، ٣٧ .
 ابو عبد الرحمن بن سهل (احمد بن
 سهل) ١٢٤ .
 ابو عبيد القاسم بن سلام ٣٥ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ .
 ابو عبيدة ٦ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ،
 ٦٢ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠٤ ،
 ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ،
 ١٤٦ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٣٠١ .
 ابو عثمان المازني ٤٨ .
 ابو محمد النعمي ٢٦٢ .
 ابو مسحل (عبد الوهاب بن حريش)
 ١٢٤ .
 ابو الهيثم ١٨ ، ٣٧ ، ١٣٧ .
 ابيس ١١٦ .
 الاحوص ٢٣٤ .
 الاخفش ٨٦ .
 لارهري ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٧٤ ، ٨٥ ،
 ١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٦٤ .
 الاسلام بن سالم الضبي ١١٣ .

الاشعث بن قيس ١٧٥ .
 الاعرج المعنى ٢٩٦ .
 الاعشى ٥٤ ، ٦٧ ، ٨٦ ، ١٢١ ، ١٤٢ ،
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ٢٩١ .
 الاصمعي ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ١٣٣ ، ١٧٩ ،
 ١٩٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٣ .
 كتم بن صبيحي ١٧٠ .
 امرؤ القيس ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٧ ، ١٦٣ ،
 ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩١ .
 امية بن خلف ٢٢٢ .
 ابيف بن جهلة ١٢٧ .
 (ب)
 بجير بن عبد الله العامري ٢٦٢ .
 البحاري ١٥٤ .
 اليسوس ١٥٣ .
 شار بن برد ١٥٧ ، ١٥٨ .
 شرين ابى خازم ٣٧ ، ٤١ .
 بشر بن عمرو بن مرثد ٤٨ .
 ملال الحاشي ٢٢٢ .
 بنت الشاطي ٨٠ ، ٩٠ .
 بنو بكر بن وائل ١٨٢ .

بنو تغلب ١٨٢ .

بنو خلف ٢٧٨ .

بنو سلاءان ١٧٦

بنو سليم ٩٧

بنو لؤي ٢٢٢ .

بنو مارن ١٧١ .

بنو محزوم ٩٧ .

بيري ٩٦ .

(ت)

تأبط شرأ ٢٤٨ .

التسري ٧

(ث)

ثعلب ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٩ ، ١٩٠

٢٣٤ .

ثمود ٣٤ .

(ج)

الجاحظ ٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٦ ،

١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ .

جبريل ١٥٤ .

جبر ١١٤ .

جساس ١٨٢ .

جميل سعيد (الدكتور) ٨ ، ١٢ ، ٢٥٧

جواد علي (الدكتور) ٣٠٤ .

الجواليقي ٢١

الجوهري ١٩ ، ٨٦ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،

١٣٥ ، ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ٣٠٤ .

(ح)

حاتم الطائي ٢٨١

الحادرة ٢٤٣ .

الحارث بن حلزة ١٣٧ ، ٢٩٣ .

حام (ابن النبي نوح) ١٤٧ .

حان بن ثات ٢٢٢ .

الحسن البصري ١٦ ، ١٨ ، ٢٤٧ .

الحسن المؤدب ١٦٠ ، ١٦١ .

حسين بنصار ١٢

الخطبة ٨٦ ، ٢٩٣ .

حنين بن احمق الطبيب ١٥٠ .

(خ)

خالد القصري ١٥٦ .

خالد بن سنان ٩٧ ، ٩٨ .

الخرنق بنت همان ٤٨ .

الخطابي ٣ ، ٢ .

الخطيب البغدادي ١٦٠ .

الخفاجي ٢١ .

الخليل بن احمد ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ،

٤٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٩ ، ١٨٦ ، ٢١٦ .

الحساء ٦٤ .

(د)

الدجال ١٦ .

دريد بن الصمة ١٨ ، ٤١ .

(ذ)

ذو الاصبع العدواني ٣٨ .

ذو الرمة ١٥٥ ، ٢٧٧ .

ذهل بن مالك ١١٣ .

(ر)

الرازي ٧ .

الراغب الاصمهاني ٤٧ ، ٨٠ .

الربيع بن زياد العبسي ١٨٦ .

الربيع بن سليمان ٧٤ .

ربيعة بن مقروم ٢٤٤ .

رؤنة ١٣٣ .

رؤبة بن رومانس ٢٦٢ .

(ز)

زبان بن صبار الفزاري ٢٤٣ .

الزجاج ٤٩ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ١٨٣ ، ١٥٠ .

زراشت ٢٠٤ .

الزخري ١١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٦ .

١٦٣ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٣١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠١ .

رهير بن ابي سلمى ٢٩ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٩٥ .

(س)

السجستاني ٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ٢١٥ .

سليم عبد بني الحساس ١٤٥ .

السمهودي ٩٦ ، ٩٨ .

سمويل ١٨٦ .

سويد بن ابي كاهل ١٥٧ .

سويوه ٣٥ .

السيد الحميري ١٢٨ .

سيد قطب ٩ .

السيوطي ٢١ .

(ش)

شداد بن معاوية العمسي ٢٩٤ .

الشرقاوي ٩٦ .

الشريف المرتضى ٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

شليفر ٩٦ .

الشاخ ١٣٢ ، ١٥٥ .

الشمرى ١٧٦ ، ٢٥٨ .

(ص)

صهار العبدى ١٥٣ .

(ط)

الطبرى ١١٠٧ ، ٥١٠ ، ٥٣٠ ، ٦٢ ، ٦٦

٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٨ ، ١٥٠ ،

١٦٠ ، ١٨٤ ، ٢٠٢ ، ٢٤٥ .

طرفة بن العبد ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٨ ،

٨٧ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

الطرماع ٥٤ ، ١٠٩ .

طويل القسوى ٤٢ ، ٣٠٢ .

الطوسى ٢٧ ، ٥١ ، ٦٦ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ،

٢٩١ .

طى ١٧٢ .

(ظ)

طالم بن البراء ١٦٣ .

(ع)

عمار بن ياسر ٢٩٧ .

عائشة ٣٤ ، ١٨٩ ، ٣٠٥ .

عامر بن صعصعة ٢٦٢

عامر بن الضرب العلوانى ١٧٠ .

عامر بن الظمیل ٢٣٣ .

عاس بن شراحيل العبدى ١٥٣ .

عبد الجبار بن احمد (القاضي المعزلى)

١٨٥ ، ٢٥١ .

عبد الرحمن بن هوف ٢٢٢ .

عبد السلام هارون ٢٠ ، ٢٤ .

عبد الملك بن مروان ٢٧٧ .

عبد بن الطيب ٧٣ .

عيس ٩٧ .

عثة بن ابي سفيان ١٢١ .

العجاج ١١٥ ، ١١٧ .

عدي بن زيد ٣٠٣ .

عروم ٢٤٣ .

عردانيل ١١٦

علقمة الفصل ٤٧ ، ١٨١ ، ٢٦٦ .

علي بن ابي طالب ١٢٣ ، ٢٣٤ .

عمر بن الخطاب ٥ ، ١٢٣ ، ١٥٥ .

عمرو بن الاثم ٢٣ .

عمرو بن كلثوم ٩٣ ، ١٤١ ، ٢٩٨ .

عمرو بن هند ١٠٩ .

عترة بن شداد ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ،

٢٦١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ .

عوف بن عطية ١٧٥ ، ١٨٠ .

عيد الله بن رباد ١٢٨

عظمان ٧٢ ، ١٧٢ .

عيلان بن صاحبة ١٧٠ .

العارسي (أبو علي) ٨١ ، ٢١٥ .

القراء ١٧ ، ٥٣ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٣٧ .

١٦٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

مرات الكوفي ٧

القرزدق ١٥٧ .

المفضل بن الربيع ٢٥٤ .

مروان ٣٤ ، ١١١ .

مؤاد حسنين ٢٩١ .

قتادة ٨٥ ، ١٣٢ .

القتال الكلالي (الحسن بن علي) ١٤٣ .

قريب بن أنيف ١٧١ .

القروبي ٦ .

القسطلاني ١٥٤ .

القطامي ٢٢٣ .

قعب بن عتاب الرياحي ٢٦٢ .

قيس بن الخطيم ٢١٤ .

قيس بن زهير ١٥٣ .

(ك)

كارادي مو ٢١٠ ، ٢١١ .

الكلحية العربي ٤١ .

كليب ١٨٢ .

الكيت بن زيد ١٤٣ .

ليد ٦٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .

اللهي (الفضل بن عباس بن عتبة) ٢٧٧

الكيت بن المطفر ٢٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٩٢ .

(م)

ماجوج ١٠٣ .

مار اعناطيوس ٧٦ ، ٢٢٩ .

مالك بن عوف العامدي ٢٤٩ .

مالك بن نوبيرة ٣١ ، ٢٩٥ .

المبارك بن الأثير ١٧ .

المبرد ٢٤ ، ٨١ ، ٢٧٨ .

متمم بن نوبيرة ٣١ ، ٢٩٥ .

المظب العبدي ١٠٩ .

المتقي بن حارثة ٧٣ .

مجاهد ١٨٤ ، ١٨٥ .

محمد (النبي وقد ترد الرسول) ١٦٠٥

١٧ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٩٨ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٠

١٧٥ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤

٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٠

محمد بن مروان ٣١ ، ٢٦٣ .

المقبل السعدي ٢٥ .

المرقش الأكبر ٢٣ .

المررد بن صرار ١٥٥ .

مسلم بن الوليد ١٥٨ .

مصطفى جواد ١٢ ، ٢١ .

معاوية ١٢١ ، ١٥٣ .

المفضل بن سلعة ٥٥ .

مقاتل بن سليمان ٧ .

المقدسي ٢٨١ .

موسى (النبي) ١٩٧ .

المهمل بن ربيعة ٢٦٢ .

(ن)

المانعة الجعدي ٣١ ، ٦٦ ، ١٠٤ ، ٢٢٣ .

النايسة الذرياني ٢٩ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢٢٣ .

٢٥٣ ، ٣٠٦ .

نافع بن الاررق ١١ ، ٢٢١ .

العمان بن السدر ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٨٦ .

نقطويه ٧٤ .

نوح (النبي) ٣٤ ، ١٤٧ .

نوف الكالي ٢٦٣ .

(هـ)

١٨٢ م .

(ي)

ياجوج ١٠٣ .

ياقوت ١٠٨ .

يزيد بن عمرو بن الصمق ٢٦٢ .

يزيد بن مفرغ الحميري ١٢٨ .

اليحقوبي ١٦٩ .

يوس بن حبيب ٢١٠ .

فهرس التعابير

(الياء)

رداً ٢٤١ (إن جهنم كانت مرصداً ، للطاغين ماأنا لأبئس فيها احقانا ، لا يدوقون فيها رداً ولا شراً) سورة الانأ ٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

برق البصر ١١٨

(فاذا برق البصر ، وخف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ ابن المر) سورة القيامة ٧٥ : ١ - ٥ .

باسرة ١١٩

(وجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة) سورة القيامة ٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

بُسَّتْ الجبال ٧١ - ٧٥

(اذا رجبت الارض رجا ، ونبت الجبال نبأ ، فكانت هباءً منبثا) سورة الواقعة ٥٦ - ٢ - ٥ .

يلس ١١٥ - ١١٨ .

(ويوم تقوم الساعة يلس المجرمون) سورة الروم ٣٠ : ١٢

نبتص وجوه ١٣٩ - ١٤٨

(يوم نبتص وجوه ، ونسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين ابصت وجوههم فهي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة ال عمران ٣ - ١٠٦ - ١٠٧ .

(التاء)

مثقال ذرة ١٨٧ - ١٩٠

(وما يعربُ عن ذلك من مثقال ذرة في الارض ، ولا في
السماء ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر الا في كتاب مبين)
سورة يونس ١٠ : ٦١ .

(الجيم)

الجحيم ٢١٣ - ٢١٥

(والله كفروا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) سورة المائدة
١١ : ٥ .

جراد منتشر ١١٠ - ١١١

(فتولّ عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكُرُ ، خشعاً أنصارهم
يخرجون من الاحداث كأنهم جراد منتشر) سورة القمر
٥٤ - ٦٠ - ٨ .

جماليات صفر ٢٢٨ - ٢٣٠

(بها ترمي شرر كالقصر ، كأنه جمالات صفر) سورة المرسلات
٧٧ . ٣٢

الجنة ٢٧٣ - ٢٨٠

جهنم ٢٠٩ - ٢١١

(الحاء)

حبة خردل ١٩٠ - ١٩١

(وتضع الموارين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وان
كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى يسا حاسبين)
سورة الانبياء ٢٠ : ٤٧ .

الحشر ٣٧

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) سورة مريم ١٩ - ٨٥ .

الحجيم ٢٣٥ - ٢٣٩

(ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهلل بعلي في (البطون

كعبي لحجيم .) سورة الاحقاف ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

اليحموم ٢٢٣ - ٢٢٤

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحجيم ، وصل من

يحموم ، لا ارد ولا كريم) سورة الواقعة ٥٦ . ٤١ - ٤٤ .

(الخفاء)

خشعا ابصارهم ١٣٥ - ١٣٦

(فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء 'نكبر' ، خشعا

اصواتهم يرحلون من الاحداث كأنهم حرائد منتشر) سورة

القمر ٥٤ : ٦ - ٧ .

خشعت الاصوات ١٣٤ - ١٣٦

(ويسألونك عن الجبل فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا

لا ترى فيها عرجا ولا أمنا ، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له

وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) سورة طه ٢٠ :

١٠٥ - ١٠٨ .

خضر ٢٧٦ - ٢٨٠

(متكئين على رفرف خضر) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ .

(الدال)

الداعي ٢٨ - ٣٤

(ويسألونك عن الجبل فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعا

صفصفا ، لا ترى فيها عرجا ولا أمنا ، يومئذ يتبعون الداعي

لاعرج له ، وخشفت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا (سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧ .

دكت الجبال ٧٦

(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الارض واجمال فدكتا دكة واحدة) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦ .

مدهامتان ٢٧٨

(ومن دونها حitan ، فاي آلاء ربكما تكذبان ، مدهامتان) سورة الرحمن ٥٥ : ٦٢ .

الدهان ٧٩ - ٨٢

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ .

(النال)

ذرة ١٨٩ - ١٩٠

(من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) سورة الزلزلة ٩٩ : ٨ .

(الراء)

رؤوس الشياطين ٢٥٢ - ٢٥٦

(أدلك خبيرٌ "نزل" ام شجرة الزقوم ، انا جعلناها نفاةً لنطالين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كآله رؤوس الشياطين) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٧ .

رجت الارض ٦١ - ٦٥

(اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا ، وبُستت الجبال بستا) سورة الواقعة ١٠٥٦ - ٥٠ .

(الزاء)

الزجرة ٤٥ - ٥٠

(يوم ترحف الراجعة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجصة
انصارها خاشعة ، يقولون [إنا لمردودون في الخافرة . إذا كنا
عظاماً نخرة ؟ قالوا تلك اذا كرة حاسرة وانما هي زجرة واحدة
فاداهم في الساهرة) سورة النازعات ٧٩ - ٦ - ١٤ .

الزاجرات : ٤٧

(والصداء صفا ، والزاجرات رحرا) سورة الصافات ٣٧ - ١ - ٢

مردجر : ٤٩

(ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) سورة القمر ٤: ٥٦ .

زرقا ١٤٨ - ١٥٩

(يوم ينصح في الصور ، ويحشر المجرمين يومئذ زرقا) سورة
طه ٢٠ : ١٠١ - ١٠٢ .

الزقوم ٢ - ٢٥٢

(ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ، كالمهل يعني في الطول كهي
الحميم) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ .

زلزلات الارض ٦٣

(اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض انفاها . وقد
الانسان ما لها ؟ يومئذ تحدث اخبارها . . .) سورة الزلزلة
٩٩ . ١ - ٤

الزنجيل ٢٩٠ - ٢٩١

(ويطاف عليهم بآنية من فضة ، واكواب كانت قواريرا .
قوارير من فضة قدروها تقديرا وسقون فيها كأساً كان مزاجها
رغيبا ، عينا فيها تسمى سليلا) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

(السين)

سعون ٢٦٢ - ٢٦٤

(حذوه فعلوه ثم الحميم صلوه ثم في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً
فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤ .

سجرت ٩٤

(اذا اليعازر سجرت) سورة التكوين ٨١ : ٦ .

السراب ٦٥ - ٦٦

(اعلمهم كسر اب بقبعة يحسبه الطمآن ماء) سورة النور ٢٤ : ٣٩ .

السير ٢١٥ - ٢١٩

(كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السير)

سورة الحج ٢٢ : ٤ .

سقر ٢١٩ - ٢٢١

(سأصلبه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر لوحه

للشعر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩ .

سلاسل ٢٦٠

(يا اعتدا للكافرين سلاسلًا واعلالًا وسعيرا) سورة الانعام

٧٦ : ٤ .

تسود وجوه ١٤١ - ١٤٨

(يوم تبص وجوه ، وتسود وجوه ، فاول الذين اسودت وجوههم

اكثرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واول الذين

ابصت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة آل

عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

أساور ٣٠٩ - ٣١٠

(يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضر)

سورة الكهف ١٨ : ٣٦ .

الساهرة ٤٥

(فانما هي رجرة واحدة ، فاداهم بالساهرة) سورة البارعات

. ٧٩ : ١٤ .

نستير الجبال ٦٥

(يوم نستير الجبال وترى الارض نارية . وحشرناهم فلم يغادر

منهم احدا) سورة الكهف ١٨ : ٤٦ .

(الشين)

شاخصة ١١٩

(واقرب الوعد الحق فاداهي شاخصة ابصار الذين كهروا)

سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ .

شعاعة ١٧١ - ١٧٤

(واتقوا يوماً لا تجري نفس عن نفس شيئاً ولا تقبل منها

شعاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة ٤٨ .

انشقت السماء ٨٨

(وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) سورة الحاقة ٦٩ : ١٦ .

الشمال ١٩٣ - ١٩٩

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وطل من

يحموم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤٤ .

الشواط ٢٢١ - ٢٢٢

(يرسل عليكما شواط من نار ومحاس فلا تنصران) سورة

الرحمن ٥٥ : ٣٥ - ٣٦ .

(الصاد)

صديق ٢٣٩ - ٢٤٠

(واستفتحوا وحاب كل جبار عتيد ، من ورائه جهنم ويستقى من ماء صديق) سورة ابراهيم ١٤ : ١٥ - ١٦ ،

الصور ١٥ - ٢١

(ويوم ينفع في الصور ففرع من في السموات والارض الامن شاء الله وكل أتوه داخرين) سورة المل ٢٧ . ٨٧ .

الصيحة ٤٣ - ٤٥

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) سورة يس ٣٦ - ٤٨ .

(الصاد)

ضريع ٢٤٦ - ٢٥٠

(وجوه يومئذ خاشعة ، عامية باصة . تصلى باراً حامية نسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع ، لا يسمن ولا يفتي من جوع) سورة الفاشية ٨٨ : ٦٢ .

(الظاء)

طمست ٩١ - ٩٢

(فاذا الحوم طمست واذا السماء فرجت .) سورة المرسلات

٧٧ - ٨ - ١٢

(العين)

العدل : ١٧٨ - ١٨٣

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ بها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة ٤٨:٢ .

اعمى ١٥١ - ١٥٢

(ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضسكا ونحشره يوم
القيامة اعمى قال ربى لم حشرنى اعمى ٢ وقد كنت بصيرا ؟)
سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦ .

العهن ٧٦ - ٧٧

(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل
حيم حيميا) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩ .
(القين)

الفساق : ٢٤١ ، ٢٠٧

(إن جهنم كانت مرصادا ، للطاعين مآبا ، لاشين فيها احقبا ،
لا يذوقون فيها بردا ولا شرا ، الا حيميا وعساق) سورة النبأ
٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

الفيلين ٢٥٧ - ٢٥٨

(فليس به اليوم ههنا حيم الاطعام من غلبين) سورة الحاقة
٦٩ : ٣٠٦ .

الفول ٣٠١ - ٣٠٢

(يطاف عليهم بكأس من معين ، بيساء لدة للشاربين ، لافيهما
عول - ولا هم عنها يعرفون) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

الاعلال ٢٦٠

(انا أعتدنا للكافرين سلاسلًا واعلالًا وسعيراً) سورة الانسان
٧٦ : ٤ .

(الفناء)

تفجير ٢٩٠

(عينا يشرب بها عباد الله يعحرونها تفتيحاً) سورة الانسان

٧٦ : ٦ .

الفداء ١٧٤ - ١٧٨

(إن الذين كفروا وماتوا وهم ككفار فنن يقيـل من اءءهم ملء

الارض ذهباً ، ولو اءءى به اولئك هم عذاب اليم) سورة

آل عمران ٣ : ٩١ .

الفردوس ٢٧٤

الفراش المئوء ١١٠ - ١١٤

(يوم يكون الناس كالفراش المئوء ، وتكون الجبال كالءهن

المفوء) سورة الفارة ١٠٢ : ٢ - ٥ ،

منفطر به ٨٨ - ٩٠

(فكيف ننون ان كءنم يوماً يحمل الولءان شيئاً الساء منفطر

به ، كان وعءه مءولا) سورة الزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ :

الفارة ١١٩ - ١٢٦

(وءوه يومئء ناسرة نطن ان يقمل بها فارة) سورة القيامة

٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

فواق ٥٣ - ٥٦

(وما ينظر هؤلاء الا صبة واحدة مالمسا من فواق) سورة

ص ٣٨ : ١٥ .

(القاف)

قءة ١٤٠

(وءوه يومئء عابها عرة ، رءفها قءة ، اولئك هم الكفرة

الفجرة (سورة عبس ٨٠ : ٤٣ .

القصر ٢٢٦ - ٢٢٨

(اطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، اطلقوا الى ظل ذي ثلاث
شعب لا طيل ولا يعي من الاله ، انها ترمي شر كالقصر
كأنه حمالات صخر) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣١ .

قطران ٢٦٥ - ٢٦٨

(وترى المحرمن يومئذ مقرنين في الاصفاد ، سربيلهم من
قطران وتعضى وجوههم النار) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

مقنعي ١٣١ - ١٣٤

(ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم
طريقهم واعتدتهم هواء) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .
(الكاف)

كثيب مهيل ٧٨ : ٧٩

(يوم ترجف الارض والحبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً)
سورة الزمل ٧٣ : ١١ - ١٤ .

انكدت ٩٢ - ٩٤

(ادا الشمس كودت ، واذا النجوم انكدت . . .) سورة
التكوير ٨١ : ١ - ٢ .

كافور ٢٩١ - ٢٩٢

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلً واعلالاً وسعيراً ، ان الارار
يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) سورة الانسان ٧٦ : ٤-٦ .

كورت ٩٥

(اذا الشمس كورت) سورة التكويد ٨١ : ١ .

(اللام)

لباسهم ٣٠٨

(يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيهاحرير)

سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

لبن ٢٩٢ - ٢٩٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن .

وانهار من لبن لم يتغير طعمه) سورة محمد ٤٧ : ١٤ .

(الميم)

مسك ٣٠٤

(ان الابرار لفي نعيم ، على الارائك يبطرون ، تعرف في

وجوههم نصرة النعيم يسفون من رحيق مخنوم ، ختامه مسك وفي

ذلك فليتأنس المنافسون) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦ .

تمور ٨٥ - ٨٨

(يوم تمور السماء موراً ، ونسير الجبال سيرا ، فويل يومئذ

للكاذبين) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

المهل ٨٢ - ٨٥

(انهم يرويه بعيدا وبراة قريبا ، يوم تكون السماء كالمهل وتكون

الجبال كالعفن ولا يسأل حيم حيا) سورة المعارج ٧٠ : ٧ - ١١ .

المهل ٢٤٠

(وان يستعيثوا يفتاوا يماء كالمهل يشوي الوجوه ، شس الشراب

وماءات مرتققا) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(الواو)

واحدة ٥٢

(وما ينظر هؤلاء الاصبحة واحدة مألها من فواق) سورة ص
٣٨ : ١٢ - ١٥ .

وردا ٢٣٠

(يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق الكافرين الى جهنم
وردا) سورة مريم ١٩ : ٨٦ .

وردة كالدهان ٧٩ - ٨٢

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن
٥٥ : ٣٧ .

الموازين ١٨٣ - ١٨٧

(من ثقلت موازينه اولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) سورة المؤمنون ١٠٣-١٢٣
يوسفون ١١٠

(كأنهم الى نصب يوسفون) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(اللنون)

انتثرت ٩٤

(اذا السماء امطرت ، واذا الكواكب انتثرت) سورة الانقطار
٨٢ : ١ - ٣ .

المنادي ٣٤ - ٤٣

(واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون
الصيحة بالخلق ذلك يوم الخروج) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٢ .

يُرفقون ٣٠٢ - ٣٠٤

(لا فيها غول ، ولا هم عنها يُرفقون) سورة الصافات ٤٧:٣٧

ينسفها ٦٩ - ٧١

(ويسألونك عن الخيل فقُل ينسفها ربِّي نسفاً ، فيذرها قاعاً

صفصفا . .) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٦ .

ينسلون ١٠٣ - ١٠٦

(ودمج في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون)

سورة يس ٣٦ : ٥٢ .

نصب ١٠٦

(يوم يخرجون من الاجداث سرعاً كما هم الى نصب يوهصون)

سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

ناصرة ١٥٩ - ١٦٤

(وجوه يومئذ ناصرة الى ربها ناصرة) سورة القياسة ٧٥ :

٢٢ - ٢٣ .

النعم ٢٣٢

(كلا لو تعلمون عَمَّ اليقين ، لتروا الحميم ، ثم لترونها عين

اليقين ، ثم تستلن عن النعم) سورة التكاثر ١٠٢ : ٥ - ٨ .

الماقور ٢١ - ٢٨

(فاذا نقر في الماقور فذلك يومئذ عسير ، على الكافرين

غير يسير) سورة المدثر ٧٤ : ٧ - ٨ .

انهار من خمر ٢٩٨ - ٣٠٤

(مثل الحنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار

من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لدة للشاربين)

سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

انهار من غسل ٣٠٤ - ٣٠٨

(مثل الحنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من حمر لذة للشاربين ،
وانهار من غسل مصفى) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥ .
(الهاء)

مهيمن ١٢٧ - ١٣١

فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم
مهيمن الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) سورة القمر
٥٤ . ٦ - ٨

الممس ١٣٦ - ١٣٨

(وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) سورة طه
٢٠ : ١٠٨

هاوية ٢١١ - ٢١٣

(فاما من حثت موازينه فامه هاوية ، وما ادراك ما هي نار)
حامية) سورة القارعه ١٠١ : ٨ - ١١ .

الميم ٢٤٢ - ٢٤٦

(ثم انكم ابها الصالون المكذبون ، لا تكون من شجر من
زقوم فالتون منها البطون فشاربون عليه من الخميم ، وشارون
شرب الميم . .) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .
(الياء)

البين ١٩٢ - ١٩٩

(يوم ندعو كل اناس امامهم ، من اوتى كتابه بيمينه قارئك
يقرأون كتابهم ، ولا يظلمون فتىلا) سورة الاسراء ١٧ : ٧١ .

المحتوى

١٢ - ٥	١ - المقدمة
٥٧ - ١٥	٢ - الفصل الاول : العير (بحث اناس من القصور)
٩٩ - ٦١	٣ - الفصل الثاني : اضطراب السماوات والارض
١٦٥ - ١٠٣	٤ - الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيامة
١٩٩ - ١٦٩	٥ - الفصل الرابع : القضاء بين الناس
٢٦٩ - ٢٠٣	٦ - الفصل الخامس : العقاب بالنار
٣١٠ - ٢٤١	٧ - الفصل السادس : الثواب بالجنة
٣١٥ - ٣١١	٨ - الخاتمة
٣٤٧ - ٣١٦	٩ - المراجع والمصادر
٣٨٢ - ٣٥٠	١٠ - فهارس الكتاب

التصويبات

الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر	الخطأ	الصواب
٢٤ ٢٣	أثاني	١٥٨ ١	تسلها	تثلهما
٣١ ١٣	نأ	١٧٧ ١١	لربهم	لربهم
٦٦ ١٣	٢٦٧	١٨٠ ٢٢	قتية	قتية
٦٧ ٥	اهيته	١٨٦ ١٢	بن	ان
٧٠ ٥	الطبة	٢٣٦ ٥	صور	صور
٧١ ٧	بروضة	٢٤٣ ٨	مطر	مطر
٧١ ٨	ملت	٢٦٥ ٣	لله	لله
٧٥ ١٢	وتكون	٢٦٧ ٢	سيم	ترسيم
٨٣ ١٧	العلا	٢٧٩	لقد اعملت الاشارة الى	
٨٩ ١٢	ويعكسه	مصدر النص الاول وهو مأخوذ من فخر		
١٠٥ ٤	مير	السودان : رسائل الاحاط ١ : ٢٠٤ .		
١٢٥ ٦	مشعره	٢٩٠ ١٥	قوارير	قوارير
١٣٦ ٩	تستمع	١٨٢ ١٢	لقد قطعت بعض العبارات	
١٣٨ ٢	أجد	وصواب النص : ومعناه فداء ذلك والعدل		
١٤٩ ٧	الزرق	المثل وذلك ان تقول عندي عدل علامت		
١٥٣ ٧	بأحمر	وعدل شاتك اذا كانت شاة تعدل شاة		
١٥٥ ١٥	زرق	او غلام يعدل غلاماً .		
١٥٥ ١٥	جارورتهم	جارورتهم		

Library of



Princeton University.



32101 074320738